بسم الله الرحمن الرحيم
وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق
صدق الله العظيم

الإيمان

عبد المجيد الزنداني
و
عبد الله الوظاف أحمد سلامة
فيصل عبد العزيز حزام البهلولي
توحيد عبد الحميد

الطبعة الأولى
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م
دار المجتمع للنشر والتوزيع

الإيمان

عبد المجيد الزنداني

و

عبد الله الوظاف   أحمد سلامة

فيصل عبد العزيز   حزام البهلولي

توحيد عبد الحميد

الطبعة الأولى

١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م

دار المجتمع للنشر والتوزيع

جدة : ميدان الجامعة ـ ص. ب : ٤٠٨٤٥ جدة ٢١٥١١ ت : الإدارة ٦٨٩١٤١٧
المكتبة ٦٨٩٤٤٦١

الخبر: ش الأمير نايف ص.ب ٢٣٢١ الخبر ٣١٩٥٢ ت ٨٩٤١١٣٦

فرع المدينة المنورة ـ شارع الستين

أسماء أصحاب الفضيلة العلماء[1]

الذين قاموا بمراجعة هذا الكتاب

١ ــ إبراهيم بن عمر عقيل
٢ ــ أحمد بن إبراهيم العيزرى
٣ ــ أحمد بن أحمد حربة
٤ ــ أحمد بن إسماعيل العنسى
٥ ــ أحمد بن حمود الشيخ
٦ ــ أحمد بن عبد الرزاق الرقيحى
٧ ــ أحمد بن عبد الله خليل
٨ ــ أحمد بن عبد الله الظامرى
٩ ــ أحمد بن على الآنسى
١٠ ــ أحمد بن على الشامى
١١ ــ أحمد بن على العفيف
١٢ ــ أحمد بن على الغرسى
١٣ ــ أحمد بن على أحمد المتوكل
١٤ ــ أحمد بن على المرتضى
١٥ ــ أحمد بن عيدروس علوى
١٦ ــ أحمد بن قاسم البحر
١٧ ــ أحمد بن محمد غمضان
١٨ ــ أحمد بن محمد المجاهد
١٩ ــ أحمد بن محمد المهدى
٢٠ ــ أحمد بن مقبل بن نصر
٢١ ــ أسد حمزة
٢٢ ــ إسماعيل بن صالح نصار
٢٣ ــ حسن بن قاسم البحر
٢٤ ــ حسن بن يحي الذارى
٢٥ ــ حسين بن عبد الله البدرى
٢٦ ــ حسين بن على كعيبه
٢٧ ــ حسين بن يحي الشعوبى
٢٨ ــ حمود بن محمد بن عبد الله شرف الدين
٢٩ ــ حمود بن هاشم الذارحى
٣٠ ــ حميد بن قاسم عقيل
٣١ ــ راشد بن عوض الوصابى
٣٢ ــ زيد بن على الآنسى
٣٣ ــ زيد بن على الكبير

---

(١) تنبيه : رتبت أسماء أصحاب الفضيلة العلماء بحسب ترتيب حروف الهجاء .

٣٤ ــ شرف بن قاسم الوجيه
٣٥ ــ عبد الخالق بن محمد شمسان
٣٦ ــ عبد الرحمن بن عباس بن إبراهيم
٣٧ ــ عبد الرزاق بن أحمد الرقيحى
٣٨ ــ عبد القادر بن عبد الله
٣٩ ــ عبد الكريم بن على الرحبى
٤٠ ــ عبد الله بن عبد الحق المطرى
٤١ ــ عبد الله بن عبد الله الوظاف
٤٢ ــ عبد الله بن عبده بن مهدى الأبى
٤٣ ــ عبد الله بن قاسم الوشلى
٤٤ ــ عبد الله بن محمد الشرفى
٤٥ ــ عبد الله بن محمد العنسى
٤٦ ــ عبد الله بن يحي العنسى
٤٧ ــ عبد المعز بن عبد الستار
٤٨ ــ عبد النور بن محمد البركانى
٤٩ ــ على بن أحمد واصل
٥٠ ــ على بن محمد الحبسى
٥١ ــ على بن محمد بن على الشرفى
٥٢ ــ على بن مطهر عشيش
٥٣ ــ على بن يحي شمسان
٥٤ ــ لطف بن محسن سارى
٥٥ ــ محمد بن أحمد التعزى
٥٦ ــ محمد بن أحمد العزانى
٥٧ ــ محمد بن أحمد العمال
٥٨ ــ محمد بن أحمد الغربانى
٥٩ ــ محمد بن أحمد الوهابى
٦٠ ــ محمد بن إسماعيل العمرانى
٦١ ــ محمد بن إسماعيل العنسى
٦٢ ــ محمد بن إسماعيل بن محمد المتوكل
٦٣ ــ محمد بن حسن قاسم
٦٤ ــ محمد بن سعيد الشيبانى
٦٥ ــ محمد بن سليمان الأهدل
٦٦ ــ محمد بن شرف الدين
٦٧ ــ محمد بن عبد الرحمن العنسى
٦٨ ــ محمد بن عبد الجليل الغزى
٦٩ ــ محمد بن عبد الله بن لطف شاكر
٧٠ ــ محمد بن عبد الله الهدار
٧١ ــ محمد بن على البدرى
٧٢ ــ محمد بن على البطاح
٧٣ ــ محمد بن على بن محمد الأكوع
٧٤ ــ محمد بن على عجلان
٧٥ ــ محمد بن على المنصور
٧٦ ــ محمد بن على الهيصمى
٧٧ ــ محمد بن محمد الغشم
٧٨ ــ محمد بن محمد أبو الغيث
٧٩ ــ محمد بن محمد القديمى
٨٠ ــ محمد بن مشعوف الأسلمى
٨١ ــ محمد بن مقبل بن نصر
٨٢ ــ محمد بن يحي المطهر

٨٣ ـ محمد بن يحي الدولة
٨٤ ـ محمد بن يحي قطران
٨٥ ـ محمد بن يحي مرشد
٨٦ ـ محمد بن على الرحبى
٨٧ ـ محمد بن يحي شمسان
٨٨ ـ محسن بن قاسم حميد
٨٩ ـ مشرف بن عبد الكريم المحرابى
٩٠ ـ مطهر بن شرف الدين حنش
٩١ ـ منصور بن ناجى صالح
٩٢ ـ مهيوب سعيد مدهش
٩٣ ـ يحي بن أحمد شمسان البعدانى
٩٤ ـ يحي بن أحمد التعزى
٩٥ ـ يحي بن عبد الله حسوسه
٩٦ ـ يحي بن عبد الله الحبشى
٩٧ ـ يحي بن على الآنسى
٩٨ ـ يحي بن الصعفانى
٩٩ ـ يحي بن لطف الفسيل
١٠٠ ـ يسن بن عبد العزيز



بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَـدّمَـة

إنَّ الحمدَ للهِ ، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ، ونعوذُ باللهِ من شُرورِ أنفُسِنَا وسَيِّئَاتِ أعمالِنَا . مَن يَهدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لهُ ، ومَن يُضلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وأشهدُ أن لا إِلَٰـهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وأشهدُ أَنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وآله وسلَّم .

وبعد : فَإِنَّ أولَ واجبٍ عَلَى الإنسانِ أَنْ يَعْرِفَ اللهَ سُبحانَهُ عَن طَرِيق العلمِ ، قَالَ تَعالَى : ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰـهَ إِلَّا ٱللَّهُ** ﴾(١) . وأن يَعْرِفَ رَسُولَ رَبِّهِ ، وَصِدْقَ رِسَالَتِهِ ؛ عَن طَرِيقِ الْعِلمِ الَّذِى يُورِّثُ اليَقِينَ ، قَالَ تَعالَى : ﴿ **أَفَمَن يَعلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ** ﴾(٢) ، وأن يعرِفَ الحِكْمَةَ مِن خَلْقِهِ فِى هذهِ الدُّنيا ، وَأن يَعرِفَ مَصِيرَهُ الَّذِى إِليه يَسِيرُ ، وأن يَعرِفَ دِين رَبِّه الَّذى هُو مَأْمُورٌ بِاتِّبَاعِهِ .

وَإِذَا كَان شَرَفُ العِلمِ بِشَرَفِ الْمعْلُوم ، فَإِنَّ عِلم الإِيمَانِ يَتعلَّقُ بمَعرِفَةِ اللهِ ، ومَعرِفَةِ رَسُولِهِ ، ومَعرِفَةِ دينِ اللهِ ، وَإِذَا كَانت أهميةُ الْعمَلِ تَتَناسبُ مَعَ الْفائِدَةِ الَّتى يَجنِيهَا الإنسانُ منهُ ، كَما تَتَناسَبُ مَع الْخَطَرِ الَّذى يدْفَعُهُ الإِنسانُ عَن نَفْسِهِ بِهَذَا الْعِلمِ ؛ فَإِنَّ عِلم الإِيمانِ يُحقِّقُ لِلإِنسانِ السَّعادةَ والفوزَ العَظِيمَ ؛ فى الدُّنيا والآخِرَةِ .

---

(١) سورة محمد ﷺ : الآية (١٩) .
(٢) سورة الرعد : الآية (١٩) .

وَلقدْ وَعدَ اللهُ المُؤْمِنِينَ فى الدُّنيا بِوعُودٍ كثيرةٍ ، مِنهَا :

١ ــ النَّصرُ على أعدائِهمْ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١) .

٢ ــ الدِّفاعُ عَنهُم ، قَالَ تَعالَى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا ﴾(٢) .

٣ ــ الْوِلَايةُ لَهُمْ ، قَالَ تعالَى : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾(٣) .

٤ ــ الْهِدَايةُ لَهُمْ ، قَالَ تَعالَى : ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٤) .

٥ ــ عدمُ تسليطِ الكافِرينَ عليهم ، قَالَ تعالَى : ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾(٥) .

٦ ــ التَّمْكِينُ لَهُمْ والاسْتِخلَافُ فِى الأَرْضِ ، قَالَ تعالَى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً ﴾(٦) .

٧ ــ الرِّزق الطَّيِّبُ ، قَالَ تَعالَى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَٱتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(٧) .

٨ ــ العِزَّةُ ، قَالَ تَعالَى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٨) .

---

(١) سورة الروم : الآية (٤٧) .
(٢) سورة الحج : الآية (٣٨) .
(٣) سورة البقرة : الآية (٢٥٧) .
(٤) سورة الحج : الآية (٥٤) .
(٥) سورة النساء : الآية (١٤١) .
(٦) سورة النور : الآية (٥٥) .
(٧) سورة الأعراف : الآية (٩٦) .
(٨) سورة المنافقون : الآية (٨) .

٩ ـ الحَياةُ الطيِّبَةُ ، قَالَ تَعالَى : ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَٰلِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوٰةً طَيِّبَةً** ﴾(١) .

هَذَا بعضُ مَا يَفُوزُ بِه المُؤمِنُونَ فِي الدُّنْيا ، وَهذَا هُو الَّذِى تحَقَّقَ لِأَسْلَافِنَا المُؤْمِنِين الصَّادِقِينَ .

أَمَّا الدَّارُ الآخِرةُ فحَسْبُهم قَولُ اللهِ سُبْحَانَه : ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً**(٢) ، **خَٰلِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً** ﴾(٣) وقَولُه تَعالَى : ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ** ﴾(٤) .

وَمَن يَتأَمَّلُ أحوالَ المُسْلِمِينَ اليَومَ يَجِدُ أنَّ مَا وَعدَ اللهُ المُؤمِنينَ بِهِ فِى الدُّنْيا غَيرَ مُتَحَقِّقٍ لَهُم ، مِمَّا يَشْهَدُ بِأَنَّ إِيْمَانَهُم ضَعِيفٌ ، أَوْ أَنَّهُم فَقَدُوا صِفَاتٍ كثِيرةً مِنَ الإِيمَانِ أَوْ أَكْثَرَها ، فغاب عنهم فى حياتهم الدُّنيا ما وعد اللهُ به المؤمِنينَ مِنَ : النَّصْرِ ، وَالوِلَايَةِ ، وَالدِّفَاعِ ، وَالْهِدَايَةِ ، وَالاسْتِخْلَافِ ، وَالتَّمْكِينِ ، وَعَدَمِ تَسْلِيطِ الكَافِرِينَ ، والرِّزْق الطيِّب ، والعِزَّةِ ، والحَيَاةِ الطَّيِّبةِ ، وَمَن اسْتَمَرَّ عَلى حَالِه هَذا فَسَيخسَرُ ما أَعَدَّهُ اللهُ لِلْمُؤْمِنينَ فى الآخرَةِ كَما خَسِرَ فى الدُّنيا ، بَلْ رُبَّما خَسِرَ نفسَه فى نَارِ جَهَنَّمَ .

لِذلِكَ كانَ لا بُدَّ من تَقْوِيةِ الإِيْمانِ وتَثْبِيتِهِ وتَجْدِيدِه وذلك بِنَشْرِ عُلُومِهِ بَيْن المُسْلِمينَ ، وبِتَطْبِيقِ أَحْكامِ الدِّينِ ، وكان على العُلَماءِ أن يُبَادِرُوا لِلْقِيامِ بِهذا الوَاجِبِ ، خَاصَّةً وهُم يُشاهِدُونَ هُجُومَ المَبادِىء الإِلْحاديِّةِ على المُسلِمين ، ونشاطِ الحَرَكاتِ التَّنْصِيريَّةِ ، كَما يُشاهِدُونَ انتِشَارَ الخُرافَاتِ والأَباطِيلَ ، التى يُحاولُ أَهلُها أن يَنْسِبُوهَا بِالباطِلِ إِلَى الدِّين .

---

(١) سورة النحل : الآية (٩٧) .

(٢) أى منزلاً أو ما يهيأ للضيف النازل من طعام وغيره .

(٣) أى تحولاً عنها إلى غيرها . سورة الكهف : الآيتين (١٠٧ ، ١٠٨) .

(٤) سورة لقمان : الآيتان (٨ ، ٩) .

وَهَذَا كتابُ الإيمَانِ ، نَضَعُه بين يَدَى المُسْلِمين ، مِن سِلْسِلَةِ تَعْلِيم الوَاجِبَاتِ الدِّينِيَّةِ ، ونَسأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَهُ خَالصاً لِوَجهِهِ ، وَأَنْ يَنْفَعَ بِهِ المُسلِمِينْ .

وإِنَّنا نَطلبُ مِن كلِّ غَيُورٍ عَلى دِينِهِ ، أَن يَبْذُلَ جُهدَهُ لِتَعَلُّمه وَتَعْلِيمِهِ لأَهلِهِ وجِيرَانِه ، ولسائِرِ المُسلِمينَ .

واللهُ الموفِّقُ . وَآخِرُ دَعْوَانَا أَن الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ .

المؤلفون



الإيمان وحقيقته

لَقد بيَّنَ اللهُ سُبحَانَه لِعِبَادِهِ حَقِيقَةَ الإيْمانِ الَّذِى يَقْبَلُ اللهُ بِهِ الأَعمَالَ . ويتحَقَّقُ بِهِ مَا وَعد اللهُ المؤمِنِينَ .

الإيْمَانُ اعْتِقَادٌ وَعَمَل :

قَالَ تَعَالَى : ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا**(١) **وَجَـٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللهِ أُوْلَئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ** ﴾(٢) ، ونرى من هذه الآيةِ أنَّ الإيمَانَ المَقْبُولَ الصَّادِق ، هو الاعتِقَادُ الَّذِى لا يُخَالِطَهُ رَيْبٌ ، وَهْوَ العَمَلُ المُتَمثِّلُ فِى الجِهَادِ بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ فِى سَبِيلِ اللهِ .

ذَلِكَ لأَنَّ اعتِقَادَ القَلْبِ لَا يكْفِى لِقَبُولِ الإيْمَانِ فلَقد كَانَ إبْلِيسُ مُعْتَقِداً باللهِ ، فَقَدْ جَاءَ عَلى لِسَانِه فى القرآنِ الكَرِيم : ﴿ **رَبِّ فَأَنظِرْنِى إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾(٣) ، وَمَع ذَلِكَ فقَدْ وَصفهُ اللهُ بِالكُفْرِ لِتَكَبُرِهِ عَنْ عَمَلٍ مَا أمَرَهُ اللهُ بِهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكـٰفِرِينَ** ﴾(٤) .

فالإيْمَانُ الحَقُّ إِذَنْ هُوَ الَّذِى يَشْتَمِلُ عَلَى :

١ ــ العَقِيدَةِ الثَّابتةِ الَّتِى لا يُخَالِطُهَا شَكٌ .

٢ ــ العَملُ الَّذِى يُصدِّقُ العَقِيدَةَ وَهُوَ ثمرتها .

---

(١) « لم يرتابوا » : لم يشكو .

(٢) سورة الحجرات : الآية (١٥) .

(٣) سورة ص : الآية (٧٩) .

(٤) سورة البقرة : الآية (٣٤) .

وَالعَمَلُ أنْوَاعٌ :

● **عَمَلُ القلبِ ، مِثْلُ :** الْخَوفِ مِنَ اللهِ ، والإنَابَةِ إِليْهِ ، والتَّوكُّلِ عَلَيْهِ .

● **عَمَلُ اللِّسَانِ ، مِثْلُ :** نُطقِ الشَّهَادتَيْنِ ، والتَّسْبِيحِ والاسْتِغْفَارِ ، والدَّعْوَةِ إلى اللهِ .

● **عَمَلُ الجَوَارِحِ ، مِثْلُ :** الصَّلاةِ ، والزَّكاةِ ، والصَّومِ ، والجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وطَلَبِ العِلْم للهِ ، والتِّجارةِ والزِّرَاعَةِ والصِّنَاعَةِ تحقيقاً لِأمرِ اللهِ فى اسْتِخْلَافِ الأَرْضِ طِبْقاً لِتَعَالِيمِ الإسْلامِ .

الإيْمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُص :

وهُنَاكَ أسْبَابٌ ، تُقَوِّى الإيمَانَ فَيزِيدُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا** ﴾[1] ، وهُنَاكَ أسْبَابٌ مِن المَعاصى تُضْعِفُ الإيمان ، كقول رسول الله ﷺ : « ولا يَزْنى الزَّانى حين يَزْنِىَ وهُو مُؤْمِنٌ ... »[2] .

وإذَا أَرَدْنَا الفَوزَ بِتحقِيقِ الإيْمَانِ فَعَلَيْنَا أَنْ نُقِيمَه :

١ ـــ تَصدِيقاً ثَابتاً فِى القُلُوبِ عَن طَرِيقِ العِلْم .

٢ ـــ وعَمَلاً فِى القُلُوبِ : عَن طَرِيقِ التَّذكُّرِ والتَّفكُرِ ، وخَاصَّةً فِى آياتِ اللهِ الكونِيَّةِ والقرآنية وفِى الوَعدِ والوعِيدِ .

٣ ـــ وقولاً باللِّسَانِ : بِكَثْرَةِ الذِّكْرِ ، وقَولِ الحقِّ ، والدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ ، والأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ ، وتَعَلُّمِ العلم وتَعلِيمِه ، والتَّواصى بِالحقِّ والتَّواصى بالصَّبر .

٤ ـــ وعَملاً بِجَوارِحنَا : بِإقَامَةِ أرْكَانِ الإسْلَامِ ، والجِهَادِ فِى سَبِيلِ اللهِ

(١) سورة الأنفال : من الآية (٢) .
(٢) متفق عليه .

بِالْمَالِ والنَّفْسِ وبِمُجَاهَدِةِ النَّفْسِ لِلامْتِثَالِ لِأَمْرِ اللهِ ، وبِمُجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً * وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾(١) .

وَهَذَا كُلُّهُ يَحْتَاجُ أَوَّلاً إِلَى إِصْلَاحِ القُلُوبِ وَتَنْقِيَتِهَا مِنْ الْأَمْرَاضِ الصَّادَّةِ عَنِ الْهُدَى .



(١) سورة الكهف الآيتان (٢٨ ، ٢٩) .

اصلاح القلوب

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾(١) .

القلبُ السليمُ قَلبُ المُؤمِن :

فَكَمَا أنَّ الأَرْضَ الصالحةَ للزِّراعةِ تتَّصِفُ بأَوْصَافٍ ، فَكَذَلِكَ قَلْبُ المؤمِنِ يتَّصِفُ بِأوصاف ، منها :

١ ــ الإقْبَالُ عَلَى الحَقِ :

الَّذِى يَنْتُجُ عَنْهُ مَعْرِفةُ الحقِّ واتِّباعِه ، قَالَ تَعالَى : ﴿ **فَبَشِّرْ عِبَادِ * ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَاهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَـٰئِكَ هُمْ أُوْلُوا ٱلْأَلْبَـٰبِ** ﴾(٢) ،أما القُلُوبُ الكَافِرَةُ السَّقِيمَةُ ، فَتَرَاهَا مُعْرِضَةً عَنِ الحَقِّ ، فَتَبْقَى جاهِلةً لا تَهْتَدِى إليْه ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّن ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ** ﴾(٣) .

٢ ــ حبُّ الحَقِّ وانْشِرَاحُ الصّدرِ للإسْلامِ :

وصَاحِبُ القَلْبِ السَّلِيمِ يُحِبُّ الحَقَّ ، ويَنْشَرِحُ صَدْرُه لِتَعَلُّمِ الإسْلَامِ ، فَيسْتَحِقُّ بِذَلِكَ هِدَايَة الله . وَأَمَّا صَاحِبُ القَلْبِ السَّقِيمِ ، فَتَرَاهُ يَكْرَهُ الحَقَّ ،

(١) سورة الشعراء : الآية (٨٨) . السليم : الصحيح من الشك والشبهة .

(٢) سورة الزمر : الآيتان (١٧ ، ١٨) .

(٣) سورة الأنعام : الآية (٤) .

ويضيق صَدْرُهُ لِسَمَاعِ الإِسْلَامِ ، وبِهَذَا يُعْرِّضُ نَفْسَهُ لِعِقَابِ اللهِ لَهُ بإضْلَالِهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **فَمَنْ يُرِدِ ٱللَّهُ أن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَـٰمِ وَمَن يُرِدْ أن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ** ﴾[١] وذَلِكَ لأَنَّهَمْ يَكْرَهُونَ الحَقَّ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **بَلْ جَآءَهُم بِالحَقِّ وأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ** ﴾[٢] .

٣ ـــ إِجَابَة دَعْوَة الإِيمَان ، وحُب الازْدِيَاد مِنْهُ :

وَصَاحِبُ القَلْبِ السَّلِيم يَسْتَجِيبُ لِدَعْوةِ الإِيمَانِ ، كَمَا حَكَى اللهُ عَنْ أَهلِ القُلُوبِ السَّلِيمةِ قولهم : ﴿ **رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ** ﴾[٣] ، ويُحِبُّ المُؤْمِنُ دَائِماً أَنْ يَزْدَادَ مِن الإِيمَانِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِ إِيمَـٰناً فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَىٰ رِجْسِهِمْ** ﴾[٤] .. وأَمَّا أَهْلُ القُلُوبِ المَرِيضَةِ فتَراهُم يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَـٰوةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ ويَبْغُونَهَا عِوَجاً أُوْلَئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ بَعِيدٍ** ﴾[٥] .

وتَرَى أَهْلَ القُلُوبِ السَّلِيمَةِ يَتَفَكَّرُونَ فِى أَنْفُسِهِم ، وفى خَلْقِ السَّمـٰواتِ والأَرضِ ، وفِى الهُدَى الَّذى جَاءَهُم مِن خَالِقِهِمْ ، يُعَرِّفُهُمُ الْحِكْمَةَ مِن حَيَاتِهِم ، ومَوْتِهِم ويَصِفُ لَهُم ماضِيَهُم ومُسْتَقْبَلَهِم ، والجَنةَ الَّتِى أَعَدَّهَا اللهُ لِعِبَادِهِ المُؤْمنِين ، والعَذَابَ الَّذِى يَنْتَظِرُ الكَافِرِين ، ويَتَفكَّرُونَ فِى مُعجِزَاتِ الرَّسُولِ

(١) حرجاً : شديد الضيق . سورة الأنعام : الآية (١٢٥) .
(٢) سورة المؤمنون : الآية (٧٠) .
(٣) سورة آل عمران : الآية (١٩٣) .
(٤) « مرض » : أى ضعف اعتقاد . « رجساً » : كفراً إلى كفرهم . سورة التوبة : الآيتان « ١٢٤ ، ١٢٥ » .
(٥) « يصدون » : يردون أنفسهم والناس عن الإيمان « يبغونها عوجاً » : يطلبونها معوجة . سورة إبراهيم : الآية (٣) .

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، وأدِلَّةِ صِدْقِهِ وكَيْفَ يُطَبِّقُونَ ما أمَرَهُم به لِتَتَحَقَّقَ لَهُم سعادَةُ الدُّنيا وَالآخِرَة ، وليَتَّقُوا عَذَابَ النَّارِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلاً سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ** ﴾(١)، ولَكِنَّ الكَافِرِين، عَطَّلُوا أسْمَاعَهُم وعُقُولَهُمْ ، عَمَّا خُلِقَتْ له مِنَ التَّفكُّر ، فلا يَعْتَرِفُون إلَّا يومَ يَنْدَمُونَ يوم القِيَامَةِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْهُمْ : ﴿ **وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴾(٢) .

٤ ــ التَّذَكُّــر :

والإنسانُ يَنْسَى ، ولكِن صَاحِبَ القلبِ السَّلِيمِ يتَذَكر ، فيُبْصِرُ ولا يَعْمى ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَٰئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ** ﴾(٣) ، لِذَلِكَ شَرَعَ اللهُ التَّذْكِيرَ ، فقَالَ سُبْحَانه : ﴿ **وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾(٤) ، وقَالَ سُبْحَانه : ﴿ **فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ * سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ * وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى * ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ * ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ** ﴾(٥) أمَّا أَهْلُ الْقُلُوبِ السَّقِيمَةِ فَتَرَاهُمْ فِي غَفْلَةٍ لَا يُؤْمِنُونَ قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَايُؤْمِنُونَ** ﴾(٦) فَإن ذَكَّرتَ بَعْضَ الْغَافِلِينَ عَن الآخِرَةِ فَرُبَّمَا يَقُولُ لَكَ : أَجِئْتَ لِتُعَلِّمَنِى الإِسْلَامَ اليومَ ؟ وأنا مُسْلِمٌ خَيْرٌ مِنْكَ ؟!.

٥ ــ الْيَقِيْــن :

وتَرى صَاحِبَ القلبِ السَّلِيمِ الَّذِى يَتَفكَّر ، ويَتَعَلَّم ، ويَتَذَكَّر ، قَد وَصلَ

---

(١) سورة آل عمران : الآية (١٩١) .
(٢) سورة الملك : الآيتان « ١٠ ، ١١ » .
(٣) سورة الأعراف : الآية « ٢٠١ » .
(٤) سورة الذاريات : الآية (٥٥) .
(٥) يصلى : يدخل النار . سورة الأعلى : الآيات « ١٠ ــ ١٣ » .
(٦) يوم الحسرة : اسم من أسماء يوم القيامة . سورة مريم : الآية « ٣٩ » .

إلى اليَقِين كَما بيَّن ذَلك رَبُّنا في قوله سبحانه : ﴿ **إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾(١) . أَمَّا الغَافِلُ الْمُعْرِضُ فَتراهُ فِي رَيْبٍ وَشَكٍّ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ** ﴾(٢) .. ولا يَعْرِفُ اليَقِينَ إِلَّا كما قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ** ﴾(٣) .

٦ ــ لِينُ القُلُوبِ لِذِكْرِ الله :

وتَرى أهلَ القُلوبِ السَّلِيمَةِ تَلِينُ قُلوبُهمْ وجُلُودُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وآياتِه ، أَمَّا الكافِرُونَ فَتَرى قُلوبَهُم قَاسِيَةً ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُولَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰباً مُّتَشَٰبِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ** ﴾(٤) . فَتَرى أَهلَ هَٰذِهِ القُلُوبِ القَاسِيَةِ يَتَكبَّرونَ ويُعَانِدُونَ ويَجْحَدُون الآياتِ والدَّلائِلَ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوًّا** ﴾(٥) .. وهَؤُلاءِ المُتَكبِّرون يُعَاقَبُونَ ، كما قَالَ تَعَالَى : ﴿ **سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ** ﴾(٦) . هَذا فى الدُّنيا وأَمَّا يومَ القِيَامَةِ فَجزاؤُهُمْ كما قَالَ تعالَى : ﴿ **وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ** ﴾(٧) .

(١) يبث : ينشر ويفرق . سورة الجاثية : الآيتان « ٣ ، ٤ » .
(٢) سورة الدخان : الآية (٩) .
(٣) سورة السجدة : الآية (١٢) .
(٤) « فويل » : فهلاك وحسرة . « مثانى » : مكرراً فيه الأحكام والقصص والمواعظ . « تقشعر » : تضطرب وترتعد من قوارعه . سورة الزمر : الآيتان « ٢٢ ، ٢٣ » .
(٥) سورة النمل : الآية « ١٤ » .
(٦) سورة الأعراف : الآية « ١٤٦ » .
(٧) عذاب الهون : الهوان والذل . سوة الأحقاف : الآية (٢٠) .

٧ ـ إتبَاع القُرآن والسُّنة :

وتَرى صَاحِبَ القلْب السَّليمِ ، قد التزَم الطَّاعَةَ لِرَبِّه ولِرَسُولِ ربِّه ، وأخذ يَسْلُكُ فِي الدُّنيا فِي كلِّ شأنٍ مِن شئونِه ، طِبْقاً لِكِتَابِ الله وسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى الله عليهِ وآلِهِ وسلَّم كما قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللهُ ، إِنَّ ٱللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾(١) . والْتَزَمَ أمْرَ الله القَائِل : ﴿ **يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا ٱللهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ** ﴾(٢) ، والقائل : ﴿ **وَمَاءَاتَـٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَـٰكُمْ عَنْهُ فَٱنْتَهُوا وَٱتَّقُوا ٱللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾(٣) ، ذَلِكَ لِأَنَّ طَاعَةَ الرَّسُولِ طَاعَةٌ للهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللهَ** ﴾(٤) .

وأمَّا صَاحِبُ القَلْبِ المَرِيضِ فَتَراهُ يَتَّبِعُ كلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ، وتَراهُ يَتَّبِعُ هَواهُ ويُعَبِّدُ نَفْسَهُ لِغَيْرِ اللهِ ، ويَنْدَمُ لَكِنْ يَومَ لايَنْفَعُ النَّدَمُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا** ﴾(٥) .

فإذا اتَّصَفَتْ قُلُوبُنَا بِالصِّفَاتِ الطَّيِّبَةِ السَّابِقَةِ فَعِنْدَئِذٍ نَكُونُ مِن أهْلِ القُلُوبِ السَّلِيمَةِ الصَّالِحَةِ الَّتِى تَنْبُت فِيهَا شَجرةُ الإيمانِ ، وتَترعْرَعُ وتُثْمِرُ الأعْمَالَ الصَّالِحَةَ وإذَا كُنا لَا نَجِدُ فى أنفُسِنا الأعْمَالَ الصَّالِحَةَ فإنَّ ذَلِكَ يَرجِعُ إلى ضَعْف شَجَرَةِ الإيمانِ الَّتى نَبَتَتْ فى قُلُوبِنَا والَّتى لَمْ تَسْتَكْمِلْ صِفَاتِ الصَّلَاحِ ، ومَا لَم نُبَادِرْ بإصْلَاح ما فى قُلُوبِنَا فَلَن يَتَغَيَّر شَىءٌ من حَالِنَا ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **إِنَّ ٱللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِم** ﴾(٦) .

---

(١) سورة التوبة : الآية (٧١) .
(٢) سورة النساء : الآية (٥٨) .
(٣) سورة الحشر : الآية (٧) .
(٤) سورة النسا : الآية (٧٩) .
(٥) سورة الأحزاب : الآية (٦٦) .
(٦) سورة الرعد : الآية (١١) .

وَقَالَ ﷺ : « أَلَا إِنَّ فِى الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِىَ الْقَلْبُ »(١) .. ولَن تَصْلُحَ القُلُوبُ إِلَّا بِنُموِّ الإِيمَانِ فِيهَا وتَمكُّنِه .



(١) رواه البخارى ومسلم من حديث النعمان بن بشير .

الإيمان بالله

الإِيمانُ باللهِ تَعَالَى وَاجِبٌ عَلَى الإِنسَانِ :

إِذَا تَفَكَّرَ الإِنْسَانُ قَلِيلاً سَيَجِدُ أَنَّ اللهَ الَّذِى خَلَقَهُ قَدْ أَعْطَاهُ أَدَوَاتٍ يَتَعَلَّمُ بِهَا سَائِرَ العُلُوم الدِّينيَّةِ والدُّنْيَويَّةِ وبِغَيْرِهَا لَايُمكنُه أَنْ يكْتَسِبَ شَيْئاً مِن عِلْمٍ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾[1] .

ومِن أَوّلِ شُكْرِهِ سُبْحَانَه أَنْ نَستَخدِمَ أَدواتِ العلْمِ التى وهَبَنا إِيَّاهَا ، فى الْعِلمِ به ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ** ﴾[2] ، وبِغَير أَنْ يَعْلَمَ الإنسَانَ خَالِقَه لَا يُمْكِنَهُ أَنْ يَتَّبِعَ هُدَاهُ الَّذِى يُسْعِدُهُ فى الدُّنيا والآخِرَةِ فَيَكُونَ مِن الخَاسِرِين ، لِذَلِكَ كَانَ أَوَّلُ واجِبٍ عَلَى الإِنسَانِ أَنْ يَعْرِفَ اللهَ تَعَالَى .

* * *

---

(١) الأفئدة » : القلوب . سورة النحل : الآية « ٧٨ » .

(٢) سورة محمد ﷺ : الآية (١٩) .

العلم طريق الإيمان

وَإِذَا أَرَادَ الإِنْسَانُ إِيمَاناً صَحِيحاً فَعَلَيْهِ بِالْعِلْمِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ** ﴾(١)، ذَلِكَ لأَنَّ إِيمَانَ الْمُقَلِّدِ لِغَيْرِهِ سُرْعَانَ مَا يَهْتَزُّ عِنْدَ أَوَّلِ آمتِحَانٍ وَعِنْدَ أَوَّلِ شُبْهَةٍ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَٰبِ** ﴾(٢) ، وَقَالَ : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ** ﴾(٣) .

* * *

(١) سورة الرعد : الآية (١٩) .

(٢) سورة الزمر : الآية (٩) .

(٣) « على حرف » أى على طرف وجانب من الدين سرعان ما ينقلب . سورة الحج الآية (١١)

الأدلة العلمية على
الإيمان بالله سبحانه وتعالى

القــواعِـد العَقْلِيــةِ

القَاعِدَةُ الأُولَى : العَدم لا يَخْلُقُ شَيْئاً

العَدَم الَّذِى لَا وجُودَ لَه لَا يَسْتَطِيعُ أنْ يَصْنعَ شَيْئاً لأنَّه غيرُ موجُود .

الموجود

إِذَا تَأَمَّلْنَا فِى المَخْلُوقَاتِ الَّتِى تُولَدُ فِي كلِّ يومٍ ، مِن إِنسَانٍ ، وحَيَوَانٍ ، ونَبَاتٍ ، وتفَكَّرْنَا فى كلِّ ما يَحْدُثُ فى الوجُودِ ، مِن رِياحٍ ، وأمطَارٍ ، ولَيْلٍ ، ونَهَارٍ ، ونَظَرنَا إِلَى مَا يَجْرِى فى كُلِّ حِينٍ : مِن حَرَكَاتٍ مُنْتَظِمَةٍ للشَّمسِ والْقَمَرِ ، والنَّجومِ والكواكبِ ، إذا تَأَمَّلنَا فى هَذا وَغيرِه مِنَ التغيُّرَاتِ المُحْكَمَةِ التِى تجْرِى فِى الوُجُودِ ، فى كلِّ لَحْظَةٍ ، فإِنَّ العَقْلَ يَجْزِمُ بِأَنَّ هَذا كُلَّه لَيسَ من صُنعِ الْعَدم ، وإِنَّما مِن صُنْعِ الخَالِقِ المَوْجُودِ سُبْحَانَه . قَالَ تَعَالَى : ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ** ﴾(١) .

القَاعِدَةُ الثَّانِيَةِ : التَّفَكُّرُ فِى المَصنُوعِ يَدُلُّ عَلَى بَعْضِ صِفَاتِ الصَّانِعِ

إنَّ كُلَّ شَىْءٍ يُوْجَدُ فِى الْمَصْنُوعِ يَدُلُّ عَلَى قُدْرَةٍ ، أَوْ صِفَةٍ عِنْدَ الصَّانِعِ ،

---

(١) سورة الطور : الآيتان « ٣٥ ، ٣٦ » .

فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُوجَدَ شَيْءٌ فِي الْمَصْنُوعِ ، إِذَا كَانَ الصَّانِعُ لَا يَمْلِكُ قُدْرَةً ، أَوْ صِفَةً ، مكّنَتْهُ مِنْ فِعْلِ ذَلِكَ الشَّيْءِ فِي المَصْنُوعِ . مِثَال :

إِذَا رَأَيتَ باباً مِنَ خَشَبٍ ، قد أُتْقِنَ صُنْعُه ، فإِنَّكَ سَتَعْلَمُ أَنَّ الصَّانِعَ يَمْلِكُ الخَشَبَ ، وَأَنَّه يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْطَعَه بانْتِظَام ، وَأَنَّه قَادِرٌ عَلَى أن يَجْعَلَ الخَشَبَ أَمْلَس ، وأَنَّه يَمْلِكُ مَسامِيرَ ، وأَنَّه يَقْدِرُ عَلَى تَثْبيتِ أَجْزَاءِ البابِ بالمسَامِيرِ ، وأَنَّ لَدَيهِ خِبرَةً فِي صِناعَةِ الأَبوَابِ .. فإِذَا وجدنا ثُقْباً منتظماً فِي البَابِ (مَحَلَّ المِفْتَاحِ) شَهِدَ لنَا ذَلِكَ بأَنَّ الصَّانِعَ لَدَيْهِ قُدْرَةٌ ، عَلَى ثَقْبِ البَابِ بِدِقَّةٍ وأَنَّ لَدَيه إحكَاماً فى عَمَله ، وَهَكَذَا نَجِدُ كُلَّ شَيءٍ فِي الْمصْنُوعِ ، يَدُلُّ عَلَى قُدْرَةٍ ، أَوْ صِفَةٍ عِنْدَ الصَّانِعِ ، لأنه لَايُمكِنُ أَنْ يُوجَدَ شيءٌ فِي الْمصْنُوعِ إِلَّا إِذَا كانَ الصَّانِعُ يَمْلِكُ قدْرَةً أو صِفَةً تُمكِّنُهُ مِنْ صُنْعِ ذَلِكَ الشَّيءِ .

وهَكَذَا سَنَجِدُ أَنَّ التَّفكُّرَ فى المَصْنُوعِ يَدلُّنَا عَلَى بَعْضِ صِفَاتِ صَانِعِهِ ، وَمِنْ هُنَا نَعْرِفُ أَنَّ التَّفكرَ فى المَخْلُوقَاتِ يَدُلُّ عَلى بَعْضِ صِفَاتِ الخَالِقِ .. قَالَ تَعَالَى : ﴿ **إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ * وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ * وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِ يُؤْمِنُون** ﴾[1] وإذا تَأَمّلنا وتَفَكّرنا فِي المَخْلُوقَاتِ فستُعْلِمُنَا آياتُ اللهِ فِيهَا بِبَعْضِ صِفَاتِ اللهِ سُبْحَانَه ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **قُلِ ٱنظُرُوا مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ** ﴾[2] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **أَوَ لَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ** ﴾[3] .

---

(١) « آيات » علامات . « تصريف الرياح » : تقليبها فى مهابها وأحوالها سورة الجاثية : الآيات « ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ » .

(٢) سورة يونس : الآية « ١٠١ » .

(٣) سورة الأعراف : الآية « ١٨٥ » .

الحى الدائم

إِنَّ الطَّعامَ الَّذِىْ نَأْكُلهُ لايَسْمَعُ ، ولايُبْصِرُ ، ولايَتحَرَّكُ ، ولايَنْمُو ، ولايَتَنَفَّسُ ، ولايَتزَوَّجُ ، وَلَايَنَامُ ، وَلَايَسْتَيقِظُ ، فإذَا دَخَلَ الطَّعامُ جِسْمَكَ أَصْبَحَ جِسْماً حيًّا ، يتَّصِفُ بالأوصافِ السَّابِقَةِ ، وكذلِكَ الحَالُ فِى طَعامِ الحَيوانِ ، وكَذَلِكَ موادُّ الماءِ والتُّرابِ والهَواءِ الَّتى يتغذَّى بها النَّباتُ لَاتَنْمُو وَلَاتُثْمِرُ وَلَاتَتَنَفَّس وَلَاتَتغذَّى . فَإِذَا دَخَلَتْ جِسْمَ النَّباتِ تَحَوَّلَت إِلَى نَبَاتَاتٍ حَيَّةٍ ، ذَاتِ بَهْجَةٍ ، فَهَذِهِ الحَيَاةُ الَّتى تَدُبُّ فِى كلِّ جِسْمٍ ، مِن نَبَاتٍ أَوْ حَيَوَانٍ أَوْ إِنسانٍ ، فِى كلِّ يومٍ ، وفِى كُلِّ لَحْظَةٍ ، تَشْهَدُ أَنَّها مِنْ صُنْعِ واهِبِ الحَيَاةِ .

وَلَقدْ حَاوَلَ الإِنسَانُ أَنْ يَخْلُقَ الحَيَاةَ ؛ فَباءَ بِالفَشَلِ الذَّرِيع ، وأَعْلَنَ البَاحِثُونَ فِى الشَّرقِ والغَرْبِ عَجْزَهُمْ عنْ خَلْقِ الحَياةِ .. وَصَدَقَ اللهُ القَائِلَ : ﴿ يَٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَو ٱجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْئاً لَّايَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا ٱللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ ٱللهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[1] . نَعَمْ : وَالبَشَرُ يَعْجَزُوْنَ عن استِرِدَاد أَىِّ شَىْءٍ يَأْخُذهُ الذُّبَابُ ، لِأَنَّهُ بِمُجَرَّدِ أَخْذِهِ يَصُبُّ عَلَيهِ مِنْ لُعَابِهِ ، فيُحَوِّلَه مِن فَوْرِهِ شَيْئاً آخرَ لَا يُمْكِنُ اسْتِعَادَتُه .

إِنَّ الحَيَاةَ الَّتى نُفِخَتْ ، وتُنفَخُ علَى الدَّوامِ فِى الكَائِناتِ ، لَاتَكُونُ إِلَّا مِنْ الحَىِّ الدَّائِم سُبْحَانه .

وكُلُّ حَياةٍ يُهَدِّدُهَا الموتُ متَى جَاءَتْ أَسْبَابُه ، لكِنَّ خَالِقَ الأَسبَابِ لاتَضُرُّه الأَسبَابُ ، فَهَوَ الحَىُّ الدَّائِمُ الَّذِى لَايَمُوتُ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ

(١) سورة الحج : الآيتان « ٧٣ ، ٧٤ » .

وَٱلْأَرْضِ يُحْيِى وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾[2] .



---

(١) سورة الحديد : الآية « ٢ » .

(٢) سورة الفرقان : الآية « ٥٨ » . .

العليم

إذَا تَأمَّلْتَ فِى أجِنَّةِ الحَيَوانَاتِ ، ستَرَى أنَّ العُيُونَ تُخْلَقُ فِى أرْحَامِ الأمَّهَاتِ ، حَيْثُ الظَّلَامُ الشَّدِيدُ ، مَعَ أنَّ العُيُونَ لاتَرَى إلَّافِى الضَّوءِ ، فَيَشْهَدُ ذَلِكَ : أنَّ الَّذِى يَخْلُقُ العُيونَ ، يَعْلَمُ أنَّ تِلْكَ الأجِنَّة ستَخْرُجُ إلى عَالَم فِيهِ النُّورُ ، وَهَكذَا يَشْهَدُ خَلْقُ الأجْنِحَة للطُّيورِ داخِلَ البَيْض : أنَّ الخَالِقَ يَعلمُ أنَّها ستَطِيرُ فِى الهَواءِ ، فَخلَقَ لَها الأجنِحَةَ قَبلَ وِلَادَتِهَا ، وَهَكذا كلُّ مَخْلُوقٍ نَرى خَلْقَه وهو جَنِينٌ ، قَد أُعِدَ بِمَا يُنَاسِبُ ظُروفَ الحياةِ الَّتى سَيَعِيشُ فِيهَا ، حَتى جَنِينَ الشَّجَرةِ (البذرَةِ) يُهيِّئه اللهُ بِجُزءٍ يُكَوِّنُ الأوْراقَ وَالأغْصَانَ ، و جُزءٍ يَضْرِبُ فى الأرْضِ لامْتِصَاصِ المَاءِ والتُّرابِ (الأملاح) ، ولايَكُونُ ذلِك ؛ إلَّا مِنْ صُنْع مَنْ يَعْلَمُ أنَّ النَّباتَ سَيَحْتَاجُ إلى الماءِ ، والتُّراب ، والضَّوءِ ، والهواءِ .

وَإذا رَأيتَ الذُّكُورَ تُخلَقُ ، فَستَرى أنَّ الخَالِقَ قد عَلِم أعْدَادَهَا ، فَخَلَقَ لَها مِنَ الإناثِ مَا يُكَافِىء تِلْكَ الأعداد وسَيَشْهَدُ لكَ ذلك أنَّه مِنْ صُنع العَليمِ سُبحانَه ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾(١) .

وَالماءُ الْعَذْبُ إذا كانَ رَاكِدَاً تَعَفَّنَ ، ولكِنَّ العَلِيمَ بِذَلِكَ جَعَلَ البِحَارَ مَالِحَةً ، وجَعَلَ مَوْجَهَا مُتَحَرِّكاً ، حَتَّى لاتَفْسُدَ الحَيَاةُ عَلى الأرْضِ بِعُفُونَةِ البَحْرِ .

هذَا وكلُّ مَا فى الكَون يَشْهَدُ : بأنَّ الخَالِقَ لهذَا الكونِ لاشَكَّ عَلِيمٌ بما يَخلُقُ ، سُبحانَه ، وهو القائل : ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ** ﴾(٢) . وعِلمُ اللهِ مُحِيطٌ بِكُلِّ شيءٍ لَم يَسْبِقْه جَهْلٌ ، ولا يدخل عليه نسْيان ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **لِتَعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا** ﴾(٣) .

(١) سورة الذاريات : الاية « ٤٩ » .
(٢) سورة الملك : الآية « ١٤ » .
(٣) سورة الطلاق : الآية « ١٢ » .

الحكيم

وإذَا تَأمَّلْت فِي صُوَرِ المَخْلُوقَاتِ ، وَجَدتَ أنَّ كُلَّ جِنْسٍ يُحْكِمُه الخَالِقُ سُبْحَانَه عَلى مِثَالٍ واحِد .

فَفِي الإنْسَانِ : العَيْنَان فِي الوَجْهِ ، والأنفُ بَيْنَهُمَا ، واليَدَانِ فِي الجَانِبَينِ ، والقَدَمَانِ مِنْ أسفَلَ . وَلَا تَجِدَ أنَّ عَيْنًا نَبَتَتْ لإنسَانٍ فِي رُكْبَتِه ، أو يَداً ظَهَرتْ فِي رَأْسِه ، وهَذَا يَشْهَدُ أنَّه مِنْ صُنْعِ الحَكِيمِ ، الَّذِى أحْكَمَ خَلْقَ الإنسَان .. وكَذَلِكَ كُلُّ جِنْسٍ مِنَ الحَيَوانِ ، أوِ النَّبَاتِ ، قَد أحْكَمَه رَبُّه ، عَلى صُورَةٍ وَمِثَالٍ وَاحِد .

فَمَنْ أحْكَمَ هَذِهِ الصُّورَةَ إلَّا القَائِلُ : ﴿**هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ**﴾[1] .

وَإذَا تَأمَّلْتَ فِي الْهَواءِ الَّذى تَتَنَفَّسُهُ ، سَتَرَى ؛ أنَّكَ تَسْتَهلِكَ الهَوَاءَ الصَّالِحَ (الأُكسِجِين) ، وَتُحَوِّلُهُ إلي هَواءٍ فَاسِدٍ (ثانى أُكسيد الكربون) ، ولَكِنَّ مِقْدَارَ الهَواءِ الصَّالِح لَا يَنْقُصُ ، لِأنَّ الخَالِقَ ، أمَرَ النَّبَاتَ ، أن يُعَوِّضَ الهَواءَ الصَّالِحَ ، بِقَدَرٍ مُحْكَمٍ ، بحَيثُ تَبقَى نِسْبَةُ الهَواءِ عِنْدَ قَدرٍ مَعْلُومٍ ، لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ ، ألَا يَشْهَدُ ذَلِكَ : أنَّه مِن صُنْعِ العَلِيمِ الْحَكِيمِ ؟!.

وإذا نَظَرتَ إلَى أَنْفِك ، وجدتَهُ قدْ أُحْكِمَ لِيَتَناسَبَ مَعَ وَظِيفَته ، فَالهَواءُ يَدْخُلُ مِن ثُقْبَينِ بَيْنَ العَيْنَيْنِ ، لَكِنَّ العَلِيمَ الحَكِيمَ غَطَّى هَذَيْنِ الثُّقْبَينِ بِالأنْفِ ، وجَعَلَ النِّصفَ الأعلَى مِنَ الأنِف عَظْماً ، حَتَّى لَا تَضْغَطَ الرِّيَاحُ عَلى هَذَا الغِطَاءِ ،فَيَسُدُّ الثُّقْبَينِ ، فَيَمْتَنِعَ التَّنَفُّسُ ، كَمَا يُشَارِكُ عَظَم الأنِف فى حِمَايَةِ

(١) سورة آل عمران : الآية « ٦ » .

العَيْنَيْنِ. وَفَتَحَ الأنف باسْتِمْرَارِ لِدُخولِ الهَواءِ، إِذْ لو كَانَ الأَنْفُ كُلُّهُ مِنْ عِظَامٍ لَمَا تَمَكَّنَّا مِن إِخْرَاجِ الْمُخَاط . وجَعَلَ الخَالقُ جِدَارَ الأَنْفِ مَائِلاً لِكَىْ يَصْطَدِمَ الهَواءُ بِالجِدَارِ المَائِل ، فَيَرُدَّهُ إِلى الْحَواجِزِ الدَّاخِلِيَّةِ ، لِيَصْطَدِمَ بَها ، فَيُلَامِسَ الهَواءُ الدَّاخِلُ المُخَاطَ المُبَطِّنَ لِجدَار الأَنْفِ ، فَتلْتَصِق ، به الجَرَاثِيمُ ، والأَتربةُ ، فَيَتصَفَّى الهَواءُ قبلَ دُخُولِه .. وفى الشِّتَاءِ تَتَكَاثَرُ الدِّماءَ فى الأُنِف ، فَتَراهُ مُحْمَرًّا ، وذَلِكَ لِتَدْفِئَةِ الهَواءِ الدَّاخِلِ ، وفى الصَّيْفِ يَقومُ الأَنفُ بِتَرطِيبِ وتَبْرِيدِ الهَواءِ الجَافِّ ، أو الحَارِّ .

أَلَا يَشهَدُ ذَلك كُلُه أَنَّه مِن صُنْعِ العَلِيمِ الحَكِيم ؟!.

وهَكذا : لَوْ تَأَمَّلْنا فى خَلْقِ كُلِّ شَىْءٍ فى الأَرْضِ والسَّمَاءِ ، لوجَدْنَا أَنَّه قَدْ خُلِقَ فى غَايَةِ الإِحْكَامِ .

والإِحْكَامُ فى كلِّ شَىْءٍ ، يَشْهَدُ لِكُلِّ عَاقِلٍ ، أَنَّه مِنْ صُنعِ الحَكِيمِ العَلِيمِ سُبحَانَه ، قَالَ تَعَالى : ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ** ﴾(١) .



(١) سورة الزخرف : الآية « ٨٤ » .

الخبير

تَأَمَّل إِلَى طَعَامَك ؛ كَيفَ خَرَجَ مِنْ تُرَابٍ ، ومَاءٍ واحِدٍ أنواعاً مُختلِفةَ الثِّمَارِ ، والألوَانِ : ستَجِدُ ذَلِكَ يَشْهَدُ لَكَ أَنَّهُ مِن صُنْعِ الخَبِيرِ الَّذِى يُخْرِجُ مِنَ الأَصْلِ الوَاحِدِ أَنْوَاعاً مُخْتَلِفَةً مُتَبَايِنَة فِى غَايَةِ الإِحْكَامِ ، وتَأَمَّلْ إِلَى هَذَا الطَّعَامِ : كَيَفَ يُكَوِّنُ مِنْهُ الخَبِيرُ سُبْحَانَه ، لَحْماً ، ودَمًا ، وَعَظْمًا ، وشَحْمًا ، ولَبَنًا ، وجِلْدًا ، وشَعْرًا ، وأَصَابعَ ، وأَظافِرَ ، وأعصَابَ ، وسَوَائِلَ مُخْتَلِفَة .

وتأَمَّل إِلَى وَجْهِكَ ؛ كَيفَ يَخْرُجُ اللُّعَابُ مِنْ الفمِ والمُخَاطُ مِنْ الأَنْفِ ، والدَّمْعُ مِنَ العَيْنَيْنِ ، والشَّمعُ مِنْ الأُذْنَينِ ، وكلُّ هَذِهِ الإِفرَازَاتِ مِنْ طَعَامٍ واحِدٍ!! فَيَشْهَدُ لَكَ خَلْقُهَا أنهَا مِن صُنْعِ الخَبِير .

وكَيْفَ يَكُونُ الحَالُ لَو خَرَجَ اللُّعَابُ مِنَ الأَنْفِ؟! والمُخَاطُ مِنَ الفَمِ ؟! والشَّمعُ مِنَ العَينِ ؟! والدَّمعُ مِنَ الأُذن ؟!، فَمَنْ حَدَّدَ التَّركِيبَ ؟! ومَنْ حَدَّدَ المَكَانَ ؟! أَلَا هُوَ العَلِيمُ الخَبِيرُ الحَكِيم .

والنُّطفَة الَّتِى خُلِقَ الإنسَانُ مِنْهَا ؛ جَعَلَهَا الخَبِيرُ العَلِيم الحَكِيمُ أعضَاءَ متَبايِنَةً ، وأَجْهِزةً مُحْكَمَةً ، مُتعَاوِنةً ، لِخِدمَةِ الإِنْسَان .

والسَّمَكُ فِى البَحْرِ يَحتَاجُ إلى الهَواءِ لتَنَفُّسِهِ ، فأَذابَ له الخَبِيرُ الرَّحِيمُ الهَواءِ ، مع قَطَرَاتِ المَطَرِ ، الَّتِى تَنْزِلُ فِى البَحْرِ ، وأعدَّ السَّمكَ بِجِهَازٍ خَاصٍ (الْخَيَاشِيمِ) لِتَسْتَخْلِصَ بِه ذَلِكَ الهَواءَ الذَّائِبَ فى المَاءِ .

وإِذَا تَفَكَّرْتَ وأَمْعَنْتَ النَّظَرَ وجَدتَ كلَّ شَىْءٍ فِى الكَوْن ، قَد صُنِعَ بِخِبْرَةٍ بالِغَةٍ ، تَشْهدُ لَكَ أَنَّها مِنْ صُنْع الخَبِير سُبْحانه .

الرزاق

عِندَمَا كان الإِنسَانُ حَبِيسًا فِي ظُلُمَاتِ الرَّحِمِ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ بَشَرٌ أَنْ يَمُدَّهُ بِشَىءٍ ، مِنَ ماءٍ ، أَو غذاءٍ ، حَتَّى الأَبُ ، والأُمُّ الَّتى هُوَ فى جَوفِهَا يتخَلَّق ، لٰكِنَّ رَحْمَةَ رَبِّهِ الرَّزَّاقُ ، سَاقَتْ لَه الرِّزْقَ نَاضِجًا مَهْضُومًا ، مِن أُنْبوبَةٍ هِىَ حَبْلُ السُّرة ، وعِنْدَمَا يَخْرُجُ الطِّفْلُ وَيَنْقَطِعُ حَبْلُ السُّرَّةِ، يُخرِجُ الرَّزَّاقُ غِذَاءَ ذَلِكَ الوَلِيد مِنْ أُمِّهِ، ويُلْهِمُهُ استِخْراجَ ذَلِكَ الغِذاءَ، (اللَّبن) بِمَصِّ الثَّدْىِ، وهوَ بَعْدُ لايُبصِرُ، ولا يَسمَع، ولا يعقِلُ .

ثُمَّ يَرزُقُ اللهُ العِبَادَ ، مِنَ النَّباتَاتِ ، والَأشجَارِ ، الَّتِى تَصْنَعُ الطَّعَامَ مِنَ المَاءِ ، والتُّرَابِ ، والهَواءِ ، ويُسَخِّرِ اللهُ الشَّمسَ للنَّباتِ ، لِأتْمَام صُنْعِ الغِذَاءِ الَّذِى يَحْتَاجُهُ الإنسانُ ، والحَيوانُ ، وَما كانَ لِلغِذَاءِ أَن يُوفَّرَ ، لَولَا أَنَّ اللهَ يَسُوقُ المَاءَ العَذبَ ، ويُهيىءُ التُّرْبَةَ الصَالِحةَ لِلزِّراعَةِ ، ويُوجدُ الجوَّ ، والظُّرُوفَ المُناسِبَةَ ، لإِنتَاجِ الغِذاءِ مِنَ النَّباتَاتِ ، قال تعالى : ﴿ **فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَاٱلأَرْضَ شَقًّا* فَأَنْبَتْنَا فِيها حَبًّا * وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْتُوناً وَنَخْلًا * وَحَدَآئِقَ غُلْباً * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعاً لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ** ﴾(١) .

فَإِذَا أَكَلَ الإِنْسَانُ ، أَوْ الْحَيَوَانُ الطَّعَامَ ، وَتَمَّ هَضْمَهُ بِمَا خلَقَ اللهُ لِكُلِّ كَائِنٍ مِنْ أُجْهِزَةِ هَضْمٍ ؛ سَاقَهُ الرَّزَّاقُ إِلَى كُلِّ نُقْطَةٍ فِى جِسْمِ الْكَائِنِ الحَىِّ سَوَاءٌ كَانَتْ فِى وَسَط الْمُخِّ ، أَوْ عَلَى سَطْحِ الْجلْدِ ، أَوْ مُخِّ الْعِظَامِ .. وَصَدَقَ اللهُ الْقَائِلُ : ﴿ **أَمَّنْ هَذَا الَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ** ﴾(٢) .

---

(١) قضباً : علفاً رطباً للدواب كالقضب وغيره . غلباً : بساتين عظيمة متكاثفة الأشجار . أباً : كلأ وعشباً أو التبن خاصة . سورة عبس : الآيات من « ٢٤ ــ ٣٢ » .

(٢) لجوا : تمادوا فى استكبار وعناد . سورة الملك : الآية « ٢١ » .

إنَّ الرزَّاقَ سُبْحَانَهُ ، قَدْ تَكَفَّلَ بِالأرْزَاقِ ، فَسَاقَ رِزْقَ بَعْضِ الأسْمَاكِ إِلَى أَعْمَاقِ الْبِحَارِ ، وَسَاقَ رِزْقَ بَعْضِ الدُّودِ ، إِلَى جَوفِ الصَّخْرِ ، وَسَاقَ رِزْقَ الأجِنَّةِ إِلَى ظُلُمَاتِ الأرْحَامِ ، وَسَاقَ رِزْقَ جَنِينِ النَّبَاتِ ، إِلَى جَوْفِ الْبِذْرَةِ .. قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** ﴾(١) وَقَالَ : ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ** ﴾(٢) . وَمَنْ أَيْقَنَ أَنَّ رِزْقَهُ مَوْهُوبٌ لَهُ مِنْ خَالِقِهِ ، فَلَنْ يَقْدر أَحدٌ عَلَى سَلْبِهِ رِزْقَهُ وَلَنْ يَخْشَى عَلَى رِزْقِهِ أَحداً غَيرَ اللهِ .



(١) سورة هود : الآية « ٦ » .
(٢) سورة فاطر : الآية « ٣ » .

الهادى

إِذَا تَأَمَّلْتَ فِى أَهْدَابِ الْجَفْنِ الأعلى فِى العَيْنِ ، وَجَدْتَهَا تَنْحَنِى إِلَى أَعْلَى ، وَأَهْدَابِ الجَفْنِ الأَسْفَلِ ، تَنْحَنِى إِلَى أَسْفَل ، وَلَوْ انْعَكَسَ الأَمْرُ لَتشَوَّشَ رُؤيةُ العَيْنِ .. فَمَنْ هَدَى وَيَهْدِى كُلَّ شَعْرَةٍ فِى كُلِّ جَفْنٍ ، مِنْ إِنْسَانٍ أَوْ حَيَوَانٍ ، إِلَّا الهَادِى سُبْحَانَهُ ؟!.

مَنِ الَّذِى يَهْدِى أَسْنَانَ الفَكِّ الأَسْفَلِ أَنْ تَتَّجِهَ إِلَى أَعْلَى ، وَأَسْنَانَ الفَكِّ الأَعْلَى أَنْ تَتَّجِهَ إِلَى أَسْفَل ؟! مَنِ الَّذِى هَدَى الأَنْيَابَ أَنْ تَنْمُو فَوْقَ الأَنْيَاب ؟! وَالأَسْنَانَ فَوْقَ الأَسْنَانِ ؟! وَالأَضْرَاسَ « المطاحن » فَوْقَ الأَضْرَاسِ ؟

مَنْ ؟ إِلَّا الهَادِى ﴿ **الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ** ﴾[1] .

مَنْ يَهْدِى كُلَّ عُضْوٍ فِى كُلِّ جِسْمٍ ، مِنَ نَبَاتٍ ، أَوْ حَيَوَانٍ ، أَوْ إِنْسَانٍ ، إِلَى أَنْ يَأْخُذَ مَكَانَهُ الصَّحِيحَ ، بَيْنَ بَاقِى الأَعْضَاءِ ، وَأَنْ يَنْمُو بِالْقَدْرِ المُنَاسِبِ لِبَاقِى الأَجْزَاءِ ؟!.

وَمَنْ الَّذِى يَهْدِى البَذْرَةَ « الحَبَّةَ » ، وَهِىَ تَشُقُّ التُّربَة عِنْدَ نُمُوِّهَا أَنْ تُرْسِلَ العُرُوقَ « الجُذُورَ » إِلَى أَسْفَلَ ، وَالسَّاقَ وَالأَوْرَاقَ إِلَى أَعْلَى ؟! . وَلِمَاذَا لَمْ نَجِدْ بَذْرَةً وَاحِدَةً يَنْعَكِسُ الأَمْرُ فِيهَا ؟!

أَلَا يَشْهَدُ ذَلِكَ كُلُّهُ لِكُلِّ صَاحِبِ عَقْلٍ : أَنَّ ذَلِكَ مِنْ صُنْعِ الْهَادِى سُبْحَانَهُ .

مَنْ الَّذِى يَهْدِى أَوْرَاقَ الشَجَرِ إِلَى التَوَزُّعِ عَلَى السَّاقِ ، أَوِ الأَغْصَانِ ، فَإِذَا خَرَجَتِ الوَرَقَةُ الأُولَى مِنْ جِهَةٍ ، خَرَجَتِ الثَّانِيَةُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى ؟!

---

(١) سورة الأعلى : الآيتان « ٢ ، ٣ » .

مَنِ الَّذِى يَهْدِى الشَّمْسَ ، والقَمْرَ ، والنُّجُومَ فِى حَرَكَاتِهَا ، وَيَهْدِى الطُّيُورَ الرَّحالَةَ إِلَى بُلْدَانِهَا الْبَعِيدَةِ ؟!

أَلَا هُوَ الْهَادِى ﴿ **الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَى** ﴾(١) .

وَالَّذِى يَهْدِى الشَّعْرَةَ ، وَالْبَذْرَةَ وَالْوَرَقَةَ ، وأَكْمَلَ هِدَايتَهُ لِلإِنْسَانِ فَأَرْسَلَ لَهُ الرُّسُلَ وَأَبَانَ لَهُ الهُدى .

وَمَنْ أَيْقَنَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْهَادِى الْحَكِيمُ فَلَنْ يَقْبَلَ أَىَّ فِكْرَةٍ تُعَارِضُ هُدَى اللهِ ، شِعَارُهُ قَولُ اللهِ تَعَالَى : ﴿ **قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى** ﴾(٢) .



---

(١) سورة الأعلى : الآيتان « ٢ ، ٣ » .

(٢) سورة الأنعام : الآية « ١٧١ » .

الحافظ

إِنَّ الَّذِى حَفِظَكَ مِنَ الأَخْطَارِ وَأَنْتَ تَتَخَلَّقُ فِى بَطْنِ أُمِّكَ ، هُوَ الَّذِى يَحْفَظُ الْمُخَّ الضَّعِيفَ بِقَفَصٍ قَوِىٍّ مِنَ عِظَامِ الْجُمْجُمَةِ ، وَيَحْمِى الْعَيْنَ بِعِظَامِ الْحَاجِبِ وَالأَنْفِ وَالْوَجْنَةِ ، وَيَحْمِى الْقَلْبَ وَالرِّئَتَيْنِ بِالْقَفَصِ الصَّدْرِىِّ .

إِنَّهُ الَّذِى يَحْفَظُ حَيَاتَكَ ، فَيَسَّرَ لَكَ أَسْبَابَ الْحَيَاةِ ، مِنْ طَعَامٍ ، وَمَاءٍ ، وَهَوَاءٍ ، وَضَوْءٍ ، وَحَرَارَةٍ وَغَيْرِهَا .

إِنَّهُ الَّذِى لَمْ يُكَلِّفْكَ بِإِدْخَالِ الْهَوَاءِ إِلَى جِسْمِكَ ، أَوْ إِخْرَاجِهِ فِى نَوْمِكَ أَوْ يَقْظَتِكَ ، وَلَوْ كَلَّفَكَ ذَلِكَ ، لَما تَمَكَّنتَ أَنْ تَعْمَلَ شَيْئاً ، غَيْرَ إِدْخَالِ الْهَوَاءِ وَإِخْرَاجِهِ ، فَإِنْ غَلَبَكَ النَّوْمُ ، انْقَطَعَ عَنْكَ الْهَوَاءُ وَيَأْتِيكَ الْمَوْتُ .

إِنَّ الْحَافِظَ هُوَ الَّذِى يَسُوقُ السُّحُبَ فَوْقَ رَأْسِكَ ، فَلَا يُنْزِلُهَا سُيُولاً تَصُبُّ ، فَتُهلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ .

إِنَّ الْحَافِظَ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِى أَحَاطَ الْأَرْضَ بِغِلَافٍ مِنَ الْهَوَاءِ يَمْنَعُ الْأَشِعَّةَ الْكَوْنِيَّةَ الْقَاتِلَةَ الْقَادِمَةَ مِنَ الشَّمْسِ وَالنُّجُومِ ، مِنْ أَنْ تُهْلِكَ الْحَيَاةِ وَالأَحْيَاءَ ، وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ غِلَافَ الْهَوَاءِ دِرْعاً وَاقِياً مِنْ تَدْمِيرِ الشُّهُبِ ، وَالنَّيَازِكِ الَّتِى تَسْقُطُ عَلَى الْأَرْضِ بِالْمَلَايِين ، كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، وَهُوَ الَّذِى ثَبَّتَ الْأَرْضَ ، مِنْ أَنْ تَمِيدَ تَحْتَ أَقْدَامِنَا بِالْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ !! .

أَفَلَا نَشْكُرُ لِلْمَوْلَى سُبْحَانَهُ : أَنْ حَفِظَنَا مِنْ دَاخِلِنَا ، وَمِنْ فَوْقِنَا ، وَمِنْ تَحْتِنَا ، وَصَدَقَ اللهُ الْقَائِلُ : ﴿ **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ** ﴾[1] .

---

(١) معقبات : ملائكة تتعاقب على حفظه فى الليل والنهار ، سورة الرعد : الآية « ١١ » .

وَمَنْ أَيْقَنَ أَنْ اللهَ حَافِظُهُ ، فَلا يَضُرُّهُ مَنْ فِى السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ إِلَّا بِمَا قَدَّرَ اللهُ لَهُ ، شِعَارُهُ قَوْلُ اللهِ : ﴿ **قُلْ لَّنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا** ﴾[1] .



(١) سورة التوبة : الآية « ٥١ » .

صفات أخرى

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ إِلَى الطَّعَامِ الْوَاحِدِ ، تَأْكُلُهُ الأُسْرَةُ ، فَيَتَكَوَّنُ فِى جِسْمِ الرَّجُلِ رَجُلاً ، وَفِى جِسْمِ الْمَرْأَةِ امْرَأَةً وَفِى جِسْمِ الطِّفْلِ طِفْلاً .. فَإِذَا أَكَلَهُ الْهِرُّ تَحَوَّلَ إِلَى جِسْمِ هِرٍّ ، وَإِنْ أَكَلَهُ الْفَأْرُ ، أَوْ الْكَلْبُ ، كَانَ فَأْرَاً ، أَوْ كَلْبَاً ، مَعَ أَنَّهُ نَفْسُ الطَّعَامِ .. فَسُبْحَانَ الْمُصَوِّرِ الَّذِى يُصَوِّرُ كَيْفَ يَشَاءُ .

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ إِلَى حَنَانِ الأُمِّ ، وَرَحْمَتِهَا بِابْنِهَا ، سَوَاءً كَانَتْ امْرَأَةً ، أَمْ أُنْثَى حَيَوَانٍ ، وَجدتَ التَّضْحِيَةَ الْبَالِغَةَ تَظْهَرُ لَكَ حَتَّى إِنَّ الدَّجَاجَةَ الَّتِى تَخَافُ مِنْ صَوْتِ الطِّفْلِ تَنْتَفِشُ ، وَتُهَاجِمُ مَنْ أَرَادَ فِرَاخَهَا بِسُوءٍ .

إِنَّ تِلْكَ الرَّحْمَةَ الَّتِى تُحْمَى بِهَا صِغَارُ الْمَخْلُوقَاتِ تَشْهَدُ أَنَّهَا مِنْ صُنْعِ الرَّحِيمِ الرَّحْمٰنِ .

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ إِلَى ضَخَامَةِ الْمَخْلُوقَاتِ : كَالنُّجُوم ، الَّتِى هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أَرْضِنَا بِمَلَايِينَ مَلَايِينِ الْمَرَّاتِ ، وَتَأَمَّلْتَ إِلَى أَدَقِّ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِى تَجْتَمِعُ الْمَلَايِينُ مِنْهَا فِى قَطْرَةِ مَاءٍ ، وَسَأَلْتَ نَفْسَكَ : كَيْفَ خَضَعَتْ كُلُّ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ ، لِسَيْطَرَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَنِظَامٍ مُحْكَمٍ دَقِيقٍ ؟! عِنْدَئِذٍ سَتَجِدُ الإِجَابَةَ : بِأَنَّ هَذَا مِنْ صُنْعِ الْقَوِىِّ الْمُهَيْمِنِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

الواحد الأحد

وَيُقَدِّمُ الْوُجُودُ كُلُّهُ شَهَادَةً بِأَنَّهُ مِنْ صُنْعِ الوَاحِدِ الأَحَدِ .

فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ غِذَاءَكَ ؛ يَتَوَقَّفُ عَلَى عَمَلِ الْمَعِدَةِ ، وَالأَمْعَاءِ ، وَيَقُولُ الأَطِبَّاءُ : إِنَّ عَمَلَ الأَمْعَاءِ يَتَوَقَّفُ عَلَى عَمَلِ الدِّمَاءِ ، وَيَتَوَقَّفُ دَوْرُ الدِّمَاءِ عَلَى الْهَوَاءِ وَحَرَكَةِ التَّنَفُّسِ ، وَيَتَوَقَّفُ الْهَوَاءُ الصَّالِحُ لِلتَّنَفُّسِ عَلَى عَمَلِ النَّبَاتَاتِ ، وَيَتَوَقَّفُ عَمَلُ النَّبَاتَاتِ عَلَى وُجُودِ الشَّمْسِ ، وَوُجُود الشَّمْسِ يَتَوَقَّفُ عَلَى وُجُودِ الْكَوَاكِبِ الْمُحِيطَةِ بِهَا وَالنُّجُومِ الأُخْرَى .. وَهَكَذَا نَجِدُ : أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ، يَعْتَمِدُ فِي وُجُودِهِ وَعَمَلِهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الأَشْيَاءِ كَمَا رَأَيْنَا أَنَّ الْمَعِدَةَ مُرْتَبِطَةٌ بِنُجُومِ السَّمَاءِ ؛ وَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّ الْجَمِيعَ مِنْ صُنْعِ رَبٍّ وَاحِدٍ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿**مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾[1] وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ۞ اللهُ الصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ**﴾[2] .

وَلَوْ كَانَ هُنَاكَ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ لَحَدَثَ الصِّرَاعُ بَيْنَهُمْ عَلَى تَسْيِيرِ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ وَعِنْدَئِذٍ يَدُبُّ الْفَسَادُ إِلَى الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾[3] .

* * *

(١) سورة المؤمنون : الآية « ٩١ » .

(٢) أحد : لا معبود سواه ولا رب غيره . الصمد : الغنى الذى يقصد فى الحوائج ولا يحتاج إلى أحد . سورة الإخلاص : الآيات « ١ ، ٢ ، ٣ » .

(٣) سورة الأنبياء : الآية « ٢٢» .

من صاحب هذه الصفات ؟

رَأَيْنَا مِمَّا سَبَقَ أَنَّنَا إِذَا تَفَكَّرْنَا فِي الْكَوْنِ وَالْمَخْلُوقَاتِ مِنْ حَوْلِنَا وَجَدْنَا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَشْهَدُ بِأَنَّ خَالِقَ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ هُوَ : الْخَالِقُ ، الْحَيُّ ، الدَّائِمُ ، الْعَلِيمُ ، الْحَكِيمُ ، الخَبِيرُ ، الرَّزَّاقُ ، الْهَادِي ، الْحَافِظُ ، الْمُصَوِّرُ الرَّحِيمُ ، الْقَوِيُّ ، الْقَادِرُ ، الْمُهَيْمِنُ ، الْوَاحِدُ الأَحَدُ .

وَكَمَا شَهِدَ الوجُودُ كُلُّهُ بِهَذِهِ الشَّهَادَاتِ فَإِنَّ الْمُسْلِمَ قَدْ أَسْلَمَ مَعَ الْكَوْنِ كُلِّهِ وَرَدَّدَ هَذِهِ الشَّهَادَةَ عَنْ عِلْمٍ وَيَقِينٍ فَقَالَ : « أَشْهَدُ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ » .

وَإِذَا كُنَّا عَرَفْنَا مِن الْقَاعِدَةِ الْأُولَى : أَنَّ الْعَدَمَ لَا يَخْلُقُ شَيْئاً ، وَعَرَفْنَا مِنَ الْقَاعِدَةِ الثَّانِيَةِ بَعْض صِفَاتِ الْخَالِقِ ، فَإِنَّنَاسَنَعْرِفُ مِنَ القَاعِدَةِ الثالِثةِ أَنَّه لَا يَتَّصِفُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ .

القاعدة الثالثةُ : فاقِدُ الشَّيءِ لَا يُعْطِيهِ :

إِنَّ الَّذِى لَا يَمْلِكُ مَالاً ، لَا يَطْلُبُ النَّاسُ مِنْهُ الْمَالَ ، وَالْجَاهِلَ لَا يَأْتِى مِنْهُ الْعِلْمُ ، ذلك لِأَنَّ فَاقِدَ الشَّيْءِ لَا يُعْطِيهِ .

وَبِالتَّفَكُّرِ رَأَيْنَا الْعَلَامَاتِ ، وَالآيَاتِ فِي الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِى تُعَرِّفُنَا بِصِفَاتِ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ ، وَإِذَا عَرَفْنَا الصِّفَاتِ ، عَرَفْنَا الْمَوْصُوفَ .

فَالَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ الطَّبِيعَةَ خَلَقَتْهُمْ ، خَالَفُوا الْعَقْلَ وَحَارَبُوا الْحَقَّ ، لأَنَّ الْكَوْنَ يَشْهَدُ أَنَّ خَالِقَه حَكِيمٌ ، عَلِيمٌ ، خَبِيرٌ ، هَادٍ ، رَزَّاقٌ ، حَافِظٌ ، رَحِيمٌ ، وَاحِدٌ أَحَدٌ .

والطَّبِيعَةُ الصَّمَّاءُ الْجَامِدَةُ لَا تَمْلِكُ عِلماً ، وَلَا حِكْمةً ، وَلَا حَيَاةً ، وَلَا رَحْمَةً ، وَلَا إِرَادَةً . فَكَيْفَ ظَنَّ الْجَاهِلُونَ هَذَا الظَّنَّ ؟! وَفَاقِدُ الشَّيْءِ لَا يُعْطِيهِ .

مَا هِىَ الطَّبِيعَــةُ ؟ :

الطَّبِيعَةُ هِىَ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ بِمَا هِىَ عَلَيْهِ مِنْ صِفَاتٍ ، وَلَقَدْ عَبَدَ الْوَثَنِيُّونَ أَجْزَاءَ مِنَ الطَّبِيعَةِ مِثْلَ : الشَّمْس ، وَالْقَمَرِ ، وَالنُّجُومِ ، وَالنَّارِ ، وَالأَحْجَارِ ، وَالإِنْسَانِ . وَيَتَوَهَّمُ الْوَثَنِيُّونَ الجُدُدُ « الطَّبِيعِيُّونَ » أَنَّ مَجْمُوعَ الأَوْثَانِ السَّابِقَةِ « الطَّبِيعَةِ » هِىَ الَّتِى خَلَقَتْهُمْ ، مَعَ أَنَّ الطَّبِيعَةَ لَا تَمْلِكُ عَقْلاً ، وَلَهُمْ عُقُولٌ ؟!! وَلَا تَمْلِكُ عِلْماً ، وَلَهُمْ عِلْمٌ !!! وَلَا تَمْلِكُ خِبْرَةً ، وَلَهُمْ خِبْرَةٌ !!! وَلَاتَمْلِكُ إِرَادَةً ، وَلَهُمْ إِرَادَةٌ !!! أَمَا عَلِمُوا أَنَّ فَاقِدَ الشَّىْءِ لَا يُعْطِيهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ . إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ** ﴾(٢) .

شبهة ورد

يَزْعُمُ بَعْضُ الْمَلَاحِدَةِ بِأَنَّ الطَّبِيعَةَ هِىَ الَّتِى تَخْلُقُ الْمَخْلُوقَاتِ . وَيَسْتَدِلُّونَ عَلَى ذَلِكَ بِمَا يُشَاهَدُ مِنْ تَكَوُّنِ الدُّودِ عَلَى بَقَايَا وَفَضَلَاتِ بَعْضِ الْحَيَوَانَاتِ وَالإِنْسَانِ !.

وَلَقَدْ تَقَدَّمَ الْعِلْمُ وَكَشَفَ لِلنَّاسِ أَنَّ هَذَا الدُّودَ الَّذِى يَتَكَوَّنُ عَلَى الْفَضَلَاتِ وَغَيْرِهَا قَدْ جَاءَ مِنْ بَيْضٍ صَغِيرٍ لَا تَرَاهُ الْعُيُونُ . وَأَمْكَنَ مُشَاهَدَتَهَا بِالْمُكَبِّرَاتِ « الْمَجَاهِرِ أَوْ المايكرسكوبات » وَسَقَطَتْ شُبْهَةُ الْمَلَاحِدَةِ فِى هَذَا الْبَابِ .

وَلَكِنَّهُمْ عَادُوا وَقَالُوا : إِذَا كَانَ الدُّودُ قَدْ جَاءَ مِنْ دُودٍ سَابِقٍ عَنْ طَرِيقِ الْبَيْضِ الصَّغِيرِ الَّذِى لَمْ نَرَهُ ، فَإِنَّ الْجَرَاثِيمَ الَّتِى تُعَفِّنُ الأَطْعِمَةَ وَتُفْسِدَهَا فَقَدْ جَاءَتْ مِنَ الطَّبِيعَةِ ، وَلَمْ تُوْلَدْ مِنْ جَرَاثِيمَ سَابِقَةٍ ، وَلَكِنَّ هَذِهِ الشُّبْهَةَ أَيْضاً دُحِضَتْ قَبْلَ أَكْثَر مِنْ ثَمَانِينَ عَاماً عِنْدَمَا اكْتَشَفَ البَاحِثُونَ طَرِيقَةً يَحْفَظُونَ بِهَا

(١) سورة الحج : الآيتان « ٧٣ ، ٧٤ » .

الطَّعَامَ دُونَ أَنْ يَتعفَّنَ ، وَذَلِكَ بِعَزْلِ الطَّعَامِ فِى عُلَبٍ مُحكمةٍ تُقْتَلُ فِيهَا الْجَرَاثِيمُ بالْحَرَارَةِ ، أَوْ الأَشِعَّةِ ، وَتُعْزَلُ عَن الْهَوَاءِ حَتَّى لَا تَأْتِى جَرَاثِيمُ جَدِيدَةٌ عَنْ طَرِيقِ الْهَوَاءِ . وَبِهَذَا عَرَفَ النَّاسُ أَنَّ جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ تَأْتِى مِنْ مَخْلُوقَاتٍ سَابِقَةٍ ، وَلَا تَتَوَلَّدُ مِنَ الطَّبِيعَةِ كَمَا يَزْعُمُ الجَهَلَةُ مِنَ الْمُلْحِدِينَ .

وَإِنْ تَعْجَبْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ فَمِنْ زُعَمَاءِ الإِلْحَادِ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ الْحَقَائِق مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ ثَمَانِينَ عَاماً ، وَلَكِنَّهُمْ يُصِرُّونَ عَلَى نَشْرِ هَذِهِ الْجَهَالَاتِ لِتَرْوِيجِ الإِلْحَاد الَّذِى لَا يَعِيشُ إِلَّا مَعَ الْجَهْل !!..

* * *



الرد على ضلالات النَّصَارَى

عِنْدَمَا نَجَّى اللهُ عِيسَى ــ عليه الصلاة والسلام ــ مِنْ كَيْدِ أَعْدَائِهِ ، وَرَفَعَهُ إِلَيْهِ ، وَقَعَ بَاقِي الْعُلَمَاءِ مِن النَّصَارَى تَحْتَ إِرْهَابِ الرُّومَانِ ، فَاخْتَفَى كَثِيرٌ مِنْهُمْ ، وَقُتِلَ آخرُونَ ، فَشَاعَ الْجَهْلُ بَيْنَ النَّصَارَى ، وَضَاعَ إِنْجِيلُ عِيسَى ، فَاسْتَبْدَلُوهُ بِأَنَاجِيلَ مِنْ تَأْلِيفِهِمْ ، وَكَتَبَ كُلُّ مُؤَلِّفٍ اسْمُهُ عَلَى إِنْجِيلِهِ الَّذِى يَخْتَلِفُ عَنْ بَاقِي الْأَنَاجِيل وَأَصْبَحَ لَدَيْهِمْ عَدَدٌ مِنَ الأَنَاجِيل ، مِثْل : إِنْجِيل مَتَّى ، إِنْجِيل يُوحَنَّا ، إِنْجِيل مَرْقُص ، إِنْجِيل لُوقَا ، إِنْجِيل بِرْنَابَا ، حَتَّى بَلَغَ عَدَدُ الأَنَاجِيلِ أَكْثَرُ مِنْ سَبْعِينَ إِنْجِيلاً ثُمَّ اخْتَارُوا فِي مُؤْتَمرٍ نَصْرَانِيٍّ أَرْبَعَةً مِنْ هَذِهِ الأَنَاجِيلِ ، وَأَحْرَقُوا مَا بَقِيَ ، وَزَعَمُوا : أَنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاَ ثَةٍ ، وَأَنَّ عِيسَى ابْنُ اللهِ .. تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبيراً ... ثُمَّ قَالُوا بَعْدَ ذَلِكَ : إِنَّ اللهَ وَاحِدٌ ، فَأَصْبَحُوا يَعْتَقِدُونَ بِمَا لَا يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ ، وَهُوَ أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ ، وَأَنَّهُ ثَلَاثَةٌ فِي نَفْس الْوَقْتِ .

قَالَ الْبُوصِيرِى :

جَعَلُوا الثَّلاَثَةَ وَاحِداً وَلَوْ اهْتَدُوا　　لَمْ يَجْعَلُوا الْعَدَدَ الْكَثِيرَ قَلِيلاً

وَيَزْعُمُونَ : أَنَّ اللهَ « أَىْ عِيسَى » مَاتَ مَصْلُوباً ، مَعَ اعْتِقَادِهِمْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَمُوتُ ، وَأَنَّ الْبَشَرَ « الْيَهُودَ وَالرُّومَانَ » هُمُ الَّذِينَ قَتَلُوا عِيسَى . وَيُقَرِّرُونَ فِي أَنَاجِيلِهِمْ أَنَّ بَعْضَ أَتْبَاعَ الْمَسِيحِ وَجَدُوهُ حَيًّا ، بَعْدَ حَادِثَةِ الصَّلْبِ وَاللهُ يَقُولُ : ﴿ .. **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً** ﴾[1] .

---

(١) سورة النساء : الآيتان « ١٥٧ ، ١٥٨ » .

وَأَمَّا قَوْلُهُم : أَنَّ عِيسَى لَا أَبَ لَهُ ، مِمَّا يَدُلُّ ــ بِزَعْمِهِمْ ــ عَلَى أَنَّ الله أَبُوهُ ، فَقَدْ رَدَّ الْقُرْآنُ عَلَيْهِمْ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾(١) . وَقَدْ بَيَّنَ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ : أَنَّ عِيسَى بَشَرٌ كَانَ يَأْكُلُ الطَّعَامَ ، وَمَنْ أَكَلَ الطَّعَامَ احْتَاجَ لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ فَكَيْفَ يَكُونُ رَبًّا مَنْ تَحْكُمُه ضَرُورَاتُ الطَّعَامِ ، وَالشَّرَابِ ، وَقَضَاءِ الْحَاجَةِ ؟! قَالَ تَعَالَى : ﴿ **مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ٱنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمْ ٱلآيَاتِ ثُمَّ ٱانْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴾(٢) .



(١) سورة آل عمران : الآية « ٥٩ » .

(٢) سورة المائدة : الآية « ٧٥ » .

مُجيبُ المضْطَرِّ إذَا دَعَاه

وَيُمْكِنُ لِكُلِّ إنْسَانٍ أيْضاً ، أنْ يَعْرِفَ رَبَّهُ عَنْ قُرْبٍ وَذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ مُشَاهَدَةِ إجَابَةِ اللهِ للدُّعَاءِ ، فَكَمْ خَرَجَ الْمُؤْمِنُونَ يَطْلُبُونَ — بِقُلُوبٍ وَجِلَةٍ تَائِبَةٍ — مِنْ رَبِّهِمْ أنْ يَسْقِيَهُمْ الْغَيْثَ ، فَكَانَ الْجَوَابُ عَلَى الْفَوْرِ فِى كَثِيرٍ مِنَ الْأحْيَانِ ، وَيَأْتِى الْغَيْثَ إلَى الْقَرْيَةِ أوْ الْمَدِينَةِ الَّتِى خَرَجَتْ تَدْعُو رَبَّهَا ، وَالْقُرَى والْمُدْنُ الَّتِى بِجِوَارِهَا لَا يَأْتِيهَا شَيْءٌ ، وَكَمْ رَأَى الْمُضْطَرُّونَ تَفْرِيجاً لِحَالَةِ الْكَرْبِ بِدُعَائِهِمْ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ** ﴾(١) . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَكَمْ أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ جَفَافْ ... فَنَفَرُوا ثِقَالَهُمْ مَعَ الخِفَافْ
وَطَلَبُوا مِنَ الإِلٰهِ الفَرَجَا ... فَحَقَّقُوا الْفَوْزَ وَنَالُوا الْمَخْرَجَا
فَهَلْ طَبِيعةٌ أَجَابَتْ أَمْ وَثَنْ ... أَمْ أَنَّهُ السَّمِيعُ كَشَّافُ الْمِحَنْ

مَوْقِفُ الْكَافِرِينَ مِنْ أَدِلَّةِ الإيمَان :

إنَّ أدِلَّةَ الإيمان بِاللهِ كَثِيرَةٌ ، وَعَدَدُهَا كَعَدَدِ مَخْلُوقَاتِهِ ، لأنَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ يَدُلُّ عَلَى صِفَاتِ خَالِقِهِ ، لَكِنَّ الْكَافِرِينَ لَمْ يَنْتَفِعُوا بِهَذِهِ الأدِلَّةِ ، لأنَّ **قُلُوبَهُمْ** مَرِيضَةٌ ، لَيْسَتْ صَالِحَةً لاسْتِقْبَالِ الْهُدَى ، كَمَا هُوَ حَالُ الْقُلُوبِ **الْمُؤْمِنَةِ** — كَمَا بَيَّنَّا سَابِقاً — فَتَرَى الْكَافِرَ : مُعْرِضاً عَنْ آيَاتِ اللهِ ، وَيُجَادِلُ بِالْبَاطِلِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِى اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ** ﴾(٢) .

---

(١) سورة النمل : الآية « ٦٢ » .

(٢) « بغير علم » : وهو الدليل العقلى الضرورى « ولا هدى » : وهو الدليل العقلى الاستدلالى . « ولا كتاب منير » : وهو الدليل النقلى من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ سورة الحج : الآية « ٨ » .

وتَرَاهُ يُكَابِرُ فِي آيَاتِ اللهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا** ﴾[1] . وَتَرَاهُ يُلْبِسُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[2] .. وَتَرَاهُمْ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا** ﴾[3] .

التَّقْلِيدُ فِي الْكُفْرِ :

وَمِنْ أَهَمِّ سِمَاتِ الْكَافِرِينَ : أَنَّهُمْ ــ وَهُمْ يَرْفُضُونَ الإِيمَانَ بِأَدِلَّتِهِ السَّاطِعَةِ ــ يَسْتَبْدِلُونَ بِهِ الْكُفْرَ بِدُون دَلِيلٍ ، اللَّهُمَّ إِلَّا التَّقْلِيدَ الأَعْمَى ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ** ﴾[4] .

افْتِرَاءُ الشُّبُهَاتِ :

وَمِنْ أَسَالِيب الْكَافِرِينَ لِصَدِّ الْمُؤْمِنِينَ : افْتِرَاءُ الشُّبُهَاتِ ، الَّتِي قَدْ تُؤَثِّرُ فِي مَنْ يَجْهَلُ عَقِيدَتَهُ ، وَلَمْ يَتَحَصَّنْ ضِدَّ شُبُهَاتِ الْمُلْحِدِينَ .

وَمِنْهَا : أَنَّ الْمَلَاحِدَةَ الْيَوْمَ يُرَدِّدُونَ مَا قَالَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى ، كَمَا حَكَاهُ الْقُرْآنُ : ﴿ **وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً** ﴾[5] مَعَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِوُجُود الْعُقُولِ الْمُفَكِّرَةِ وَبِوُجُودِ الْهَوَاءِ وَبِالْجَاذِبِيَّةِ الْأَرْضِيَّةِ الَّتِي تَجْذِبُ كُلَّ شَيْءٍ إِلَى الأَرْضِ ، وبِأَمْوَاجِ الإِذَاعَةِ تَأْتِيهُمْ مِنْ أَمَاكِنَ بَعِيدَةٍ ، وَهُمْ

---

(١) سورة النمل : الآية « ١٤ » .

(٢) « ولا تلبسوا » : لا تخلطوا . سورة البقرة : الآية « ٤٢ » .

(٣) سورة النساء : الآية « ١٦٧ » .

(٤) « حسبنا » : كفانا ما كان عليه الآباء والأجداد ، وإن كان هو الضلال والكفر والجهالة بدلاً من الإيمان والهداية والعرفان الذى جاء به رسول الله ﷺ سورة المائدة الآية « ١٠٤ » .

(٥) « جهرة » : عياناً بالبصر . سورة البقرة : الآية « ٥٥ » .

مَا شَاهَدُوا شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ لَكِنَّهُمْ رَأَوْا آثَارَ الْعُقُولِ قَدْ ظَهَرَتْ عَلَى سُلُوكِ الْعُقَلاءِ ، وَآثَارَ الْهَوَاءِ ظَهَرَتْ بِتَحْرِيكِ أَغْصَانِ الأشْجَارِ وَغَيْرِهَا ، وَآثَارَ الْجَاذِبِيَّةِ ظَهَرَتْ بِجَذْبِ الأشْيَاءِ إِلَى الأرْضِ ، وَآثَارَ الأمْوَاجِ ظَهَرَتْ أَصْوَاتاً فِي جِهَازِ الْمِذْيَاعِ « الرَّادِيُو » فَآمَنُوا بِالْعُقُولِ وَالْهَوَاءِ ، وَالْجَاذِبِيَّةِ ، والأمْوَاجِ ، بَعْدَ أَنْ شَاهَدُوا آثَارَهَا ، فَعِنْدَمَا عَجَزَتِ الأبْصَارُ عَنْ الرُّؤْيَةِ ، لِضَعْفِهَا ، عَلِمَتِ الْعُقُولُ بِوُجُودِ الْمُؤَثِّرِ مِنْ آثَارِهِ الْمُشَاهَدَةِ . وَلَوْ تَخَلَّى الْكُفَّارُ عَنْ اسْتِكْبَارِهِمْ بِأَبْصَارِهِمْ الضَّعِيفَةِ ، الْعَاجِزَةِ ، الَّتِي لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرَى الْهَوَاءَ الَّذِي يُلَامِسُهَا ، وَلَا تَرَى مَنْ فِي خَارِجِ الْمَكَانِ ، وَتَفَكَّرُوا ؛ لَوَجَدُوا : أَنَّهُمْ وَمَا فِي الْكَوْنِ ، مِنْ أَرْضِهِ ، وَسَمَائِهِ لَيْسُوا إِلَّا آثَاراً ، وَآيَاتٍ بَيِّنَاتٍ تُعَرِّفُهُمْ بِخَالِقِهِمْ سُبْحَانَهُ .

إِنَّ الْبَصَرَ الضَّعِيفَ ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحِيطَ بِرُؤْيَةِ النُّجُومِ ، وَهِيَ : « زِينَةُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا » فَكَيْفَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحِيطَ بِالَّذِي عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ، « وَمَا السَّمواتُ السَّبْعُ بِالنِّسْبَةِ لِكُرْسِيِّهِ ، إِلَّا كَسَبْعَةِ دَرَاهِمَ فِي تِرْسٍ[1] ، وَمَا الْكُرْسِي بِالنِّسْبَةِ لِلْعَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ فِي صَحْرَاءَ » .

وَإِذَا كَانَ بَصَرُ الإنْسَانِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَا يَحْتَمِلُ النَّظَرَ إِلَى الشَّمْسِ مُبَاشَرَةً ، فَكَيْفَ يَتَحَمَّلُ النَّظَرَ إِلَى نُورِ اللهِ جَلَّ وَعَلا ؟!

وَلَوْ تَجَلَّى اللهُ عَلَى عِبَادِهِ فِي الدُّنْيَا ، لَأَسَرَهُمْ ذَلِكَ التَّجَلِّي ، وَمَا كَانَتْ الدُّنْيَا عِنْدَئِذٍ تَصْلُحُ دَارَ ابْتِلَاءٍ لِأَنَّ الإِيمَانَ عِنْدَئِذٍ يَكُونُ إِجْبَارِيًّا ، وَلَا مَعْنَى بَعْدَ ذَلِكَ لِلاخْتِبَارِ أَو الامْتِحَان .

وقديماً طَلَبَ مُوسَى ــ عَلَيْهِ السَّلَامُ ــ رُؤْيَةَ رَبِّهِ : ﴿ **فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا** ﴾[2] .

والنَّاسُ جَمِيعاً بِمَا فِيهِمْ الْكُفَّار يُصدِّقُونَ الأطِبَّاءَ ، والْخُبَرَاءَ ، والأسَاتِذَةَ ،

---

(١) الترس : الدرقة التى يتقى بها الفارس ضربة السيف .

(٢) « تجلى » : أى ظهر له شيء من نوره تعالى . « دكاً » : مدكوكاً متفتتاً . « صعقاً » : مغشياً عليه . سورة الأعراف : الآية « ١٤٣ » .

وَهُمْ يُخْبِرونَهُمْ بِأُمُورٍ مَا شَاهَدَتْهَا أَبْصَارُهُمْ ، ذَلِكَ لِأَنَّ الْمُخْبِرِينَ أَهْلُ ثِقَةٍ عِنْدَ السَّامِعِينَ .

وَلَوْ تَرَكَ الْكَافِرُونَ الاسْتِكْبَارَ ، لَعَرَفُوا رَبَّهُمْ أَيْضاً ، عَنْ طَرِيقِ رُسُلِهِ الصَّادِقِينَ ، الَّذِينَ قَدَّمُوا مِنَ الْمُعْجِزَاتِ ، وَالبَيِّنَاتِ مَا يَجْعَلُهُمْ أَوثَقَ أَهلِ الْأَرْضِ فِيمَا يَقُولُونَ عَن رَبِّهِمْ .

اشْتِرَاطُ الإجابة :

وَهُنَاكَ مَنْ يَشْتَرِطُ لِإيمَانِهِ بِاللهِ ، أَنْ يَسْتَجِيبَ اللهُ لِمَا يَقْتَرِحُهُ مِنْ مُقْتَرَحَاتٍ ، كَأَنْ يَقُولُ أَحَدُهُمْ : إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ أُومِنَ بِهِ ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا ، وَكَذَا .. وَهَذَا شَبِيهٌ بِقَوْلِ الْكَافِرِينَ ، كَمَا حَكَى عَنْهُمْ الْقُرْآنُ : ﴿ **وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعاً * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيراً * أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَٱلْمِلَائِكَةِ قَبِيلاً** ﴾[١] .

وَلَوْ جَعَلَ اللهُ الطَّرِيقَ إِلَى الإِيمَانِ ، هُوَ : أَنْ يَسْتَجِيبَ سُبْحَانَهُ لِمُقْتَرَحَاتِ النَّاسِ ؛ لَوَجَدْنَا مَنْ يَشْتَرِطُ لِإِيمَانِهِ أَنْ يَجْعَلَ اللهُ اللَّيْلَ نَهَاراً ، والشَّمْسَ قَمَراً ، والأَرْضَ سَمَاءً ، والرِّجَالَ نِسَاءً ، وَنَجِدُ غَيْرَهُ يَشْتَرِطُ عَكْسَ ذَلِكَ ؟ وَثَالِثاً يَشْتَرِطُ لِإِيمَانِهِ : قَتْلَ فُلَانٍ مِنَ النَّاسِ ، وَمَوْتَ فُلَانٍ ، وَهَلَاكَ الْبَلْدَةِ الْفُلَانِيَّةِ !! وَرَابِعاً بِعَكْسِهِ !! وَعِنْدَئِذٍ تَفْسُدُ الْأَرْضُ ، والسَّمَاءُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ** ﴾[٢] .

لَقَدْ أَقَامَ اللهُ الدَّلَائِلَ الْكَافِيَةَ فِي مَخْلُوقَاتِهِ ، وَخَلَقَ لَنَا أَسْمَاعاً ، وَأَبْصَاراً ، وَأَفْئِدَةً نَعْرِفُ بِهَا تِلْكَ الدَّلَائِلَ ، وَبِهَذَا تَقُومُ الْحُجَّةُ وَتَسْقُطُ الشُّبُهَاتُ .

---

(١) « ينبوعاً » : عيناً لا ينضب ماؤها . « كسفاً » : قطعاً . « قبيلاً » : مقابلة ومعاينة ، سورة الإسراء : الآيات « ٩٠ — ٩٢ » .

(٢) سورة المؤمنون : الآية « ٧١ » .

معرفة الله بأسمائه وصفاته

أَهَمِّيَّةُ مَعْرِفَةِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ :

إِذَا قِيلَ لَكَ : إِنَّ فُلَانَاً مِنَ النَّاسِ كَرِيمٌ ، وَإِنَّ مِنْ صِفَاتِهِ أَنَّهُ : يُعْطِى مَنْ طَلَبَهُ ؛ فَأَنْتَ عِنْدَئِذٍ سَتَطْمَعُ فِي عَطَائه ، وَتُقَدِّرُهُ فِى نَفْسِكَ ، وَتَنْتَفِعُ بِمَعْرِفَتِكَ لِهَذِهِ الصِّفَةِ عِنْدَ حَاجَتِكَ ، وَالْعَكْسُ لَوْ عَلِمْتَ أَنَّهُ بَخِيلٌ . وَإِذَا قِيلَ لَكَ : إِنَّ الحُكُومَةَ عَادِلَةٌ فِي أَحْكَامِهَا ، تَهْتَمُّ بِمَنْ يَسْكُنُ دَاخِلَ بِلَادِهَا ، وَتُعَاقِبُ مَنْ يُخَالِفُ نِظَامَهَا ، فَسَتَرَى النَّاسَ يَسْلُكُونَ دَاخِلَ تِلْكَ الدَّوْلَةِ بِمَا يَجْعَلُهُمْ يَنْتَفِعُون بِمَا تَمْنَحُهُ الدَّوْلَةُ مِنْ خَدَمَاتٍ ، وَبِمَا تَتَّصِفُ بِهِ مِنْ صِفَاتِ الْعَدْلِ ، وَاحْتِرَام النِّظَامِ ، وَتَرَى النَّاسَ يُحِبُّونَ تِلْكَ الحُكُومَة بِقَدْرِ مَا تَمْتَازُ بِهِ مِن صِفَاتِ الْخَيْرِ ، كَمَا تَرَاهُمْ يَحْرِصُونَ عَلَى أَنْ لَا يُعَرِّضُوا أَنْفُسَهُمْ لِلْعِقَابِ وَالتَّأْدِيبِ .

« وللهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى » . فَمَنْ يَعْرِفُ صِفَاتَ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَأَسْمَاءَهُ الْحُسْنَى تَتَّسِعُ دَائِرَةُ مَعْرِفَتِهِ بِمَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، فَتَرَى سُلُوكَهُ وَسَعْيَهُ مُتَنَاسِبَاً مَعَ عِلْمِهِ بِأَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ ، أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولِ عَنْهُمْ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ** ﴾(١) .

وَلَقَدْ حَذَّرَ الْقُرْآنُ مِنْ تَحْرِيفِ أَسْمَاءِ اللهِ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ **وَللهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمٰئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾(٢) . كَمَا حَذَّرَ الْقُرْآنُ مِنْ وَصْفِ اللهِ بِمَا لَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ . فَقَالَ : ﴿ **مَا ٱتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحٰنَ اللهَ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾(٣) .

---

(١) « ما قدروا الله » : ما عظموه حق تعظيمه ولا عرفوه حق معرفته . « عزيز » : غالب لكل شيء ولا يغلبه شيء . سورة الحج : الآي « ٧٤ » .

(٢) « يلحدون » : يميلون بأسمائه إلى غير الصواب ، أو يسمون بأسمائه غيره . سورة الأعراف : الآية « ١٨ » .

(٣) سورة المؤمنون : الآية « ٩١ » .

الوحى الطريق الأمثل

لِمَعْرِفَةِ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ

إِنَّ عِلْمَ الإِنْسَانِ بِمَخْلُوقَاتِ اللهِ مَحْدُودٌ ، وَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحِيطَ بِاللهِ عِلْماً .

فَالسَّمَاوَاتُ السَّبْعُ بِالنِّسْبَةِ لِلْكُرْسِيِّ كَسَبْعَةِ دَرَاهِمَ فِي تِرسٍ ، وَالْكُرْسِيُّ بِالنِّسْبَةِ لِلْعَرْشِ كَحَلْقَةٍ رُمِيَتْ فِي فَلَاةٍ « صَحْرَاءَ » ، و ﴿ **ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ ٱسْتَوَى** ﴾[١] وَعِلْمُنَا لَا يَكَادُ يَبْلُغُ حُدُودَ النُّجُومِ الَّتِى هِىَ زِينَةُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، لِذَلِكَ لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُحِيطَ بِاللهِ عِلْماً ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ ... **وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ** ﴾[٢] . فَلَا نَعْرِفُ اللهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ ، إِلَّا بِتَعْلِيمٍ مِنْهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ ، وَقَدْ جَاءَنَا مِنَ اللهِ البَيَانُ ، والعِلْمُ ، فَعَرَّفَنَا ـ سُبْحَانَهُ ـ بِنَفْسِهِ وَبِأَسْمَائِهِ ، وَصِفَاتِهِ ، فَنَقِفُ عِنْدَهَا وَنُمَجِّدُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ بِذِكْرِهَا .

تَنْزِيهُ اللهِ عَنْ مُشَابَهَتِهِ لِلْخَلْقِ :

وَعِنْدَمَا يُقَالُ : الْمَلِكُ الْفُلَانِي كَرِيمٌ ، وَالبَوَّابُ الَّذِى مَعَهُ كَرِيمٌ ، وَطِفْلُهُ كَرِيمٌ ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ السَّامِعَ سَيُفَرِّقُ : بَيْنَ المَلِكِ ، وَبَوَّابِهِ ، وَطِفْلِهِ ، وَذَلِكَ بِالرَّغْمِ أَنَّ الْجَمِيعَ مِنْ بَنِى آدَمَ ، فَإِذَا قِيلَ لَكَ : اللهُ كَرِيمٌ ، فَلا شَكَّ أَنَّكَ سَتَعْلَمُ أَنَّ كَرَمَ الْمَوْلَى ـ جَلَّ وَعَلَا ـ لَا يُشَابِهُهُ شَىْءٌ مِنْ كَرَمِ عِبَادِهِ ، المَمْلُوكِينَ الضُّعَفَاءَ .

---

(١) « استوى » : استواء يليق بجلاله وعظمته تعالى . سورة طه : الآية « ٥ » .

(٢) « لا يئوده » : ولا يثقله ولا يشق عليه . سورة البقرة الآية « ٢٥٥ » .

وَهكَذَا فِي كُلِّ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ ، فَعِلْمُهُ لَيْسَ كَعْلْمِ عِبَادِهِ ، وَحِكْمَتُهُ لَيْسَتْ كَحِكْمَةِ الْمَخْلُوقِينَ ، وَرَحْمَتُهُ بِالْمُؤْمِنِينَ ، وَانْتِقَامِه مِنَ الْكَافِرِينَ لَيْسَ كَرَحْمَةِ وَانْتِقَامِ عِبَادِهِ الْمَخْلُوقِينَ . كُلُّ ذَلِكَ وَغَيْرُهُ لَهُ فِيهِ الْكَمَالُ الأَعْلَى ، وَلَا يُشْبِهُهُ فِيهِ أَحَدٌ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ ... **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾[1] فَالنَّقْصُ يَلْحَقُ غَيْرَهُ وَلَهُ الكَمَالُ وَحْدَهُ .



(١) سورة الشورى : الآية « ١١ » .

الإيمان باسماء الله وصفاته
كما جاءت فى الكتاب والسنة

وَمِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ بِعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ ، قَدْ عَرَّفنَا بِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ، فَعَرَّفَنَا أَنَّهُ : لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ، وَصِفَاتُ الْكَمَالِ الْعُلْيَا ، وَلَا يُمْكِنُ لأَحَدٍ أَنْ يَصِفَ اللهَ بِأَحْسَنَ وَأَفْضَلَ مِمَّا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ ، كَمَا أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ لأَحَدٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنْ صِفَاتِ اللهِ الَّتِى وَصَفَ نَفْسَهُ بِهَا سُبْحَانَهُ .

اسْتِحَالَةُ إِدْرَاكِ الْكَيْفِ(١) :

بِالأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ نَعْرِفُ أَنَّ اللهَ غَيْرُ مَخْلُوقَاتِهِ ، فَلا بُدَّ أَن تَكُونَ صِفَاتُهُ مُخْتَلِفَةً عَنْ صِفَاتِ مَخْلُوقَاتِهِ ، فَكُلُّ الْمَخْلُوقَاتِ نَاقِصَةُ الصِّفَاتِ ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ صَاحِبُ الْكَمَالِ .

---

(١) جاءت امرأة إنجليزية أسلم زوجها ، على يد الشيخ عبد الله الحكيمى ، تجادل الشيخ ، فقالت : إنها لا تؤمن بالله ، إلا إذا رأت الله — أستغفر الله — بطوله ، وعرضه ، فقال الشيخ الحكيمى : وهل تحبى زوجك هذا ؟

قالت : نعم .

قال : أنا لا أصدق .

قالت : ولماذا ؟

قال : لا أصدق أنك تحبى زوجك إلا إذا رأيت : كيف هذا الحب ؟ وكم رطلاً يزن ؟ وما لونه ؟ وما طوله ؟ وما عرضه ؟ .

قالت : إن الحب موجود . ولكننا لا نستطيع أن نعرف كيفيته .

قال : — ولله المثل الأعلى — فنحن نؤمن به وهو أعلى من أن نحيط به علماً . وكم من الأمور نؤمن بها ولا ندرك كيفيتها ، فهذا النوم يأتى ولا ندرى كيف هو ؟ أو كيف يحدث ؟ وكذلك اليقظة والفرح والسرور ، بل وأغلب الناس لا يعرفون كيف الكهرباء ، وهم بها مؤمنون ، وهكذا فى كثير من الأمور .

وَلَقَدْ جَاءَنَا مِنْهُ الْوَصْفُ وَالْبَيَانُ ، فَنُؤْمِنُ بِهِ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ فِى كِتَابِهِ الْعَزِيزُ وَكَمَا جَاءَ فِى سُنَّةِ رَسُولِهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ دُونَ سُؤَالٍ عَنْ الْكَيْفِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ ... **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ** ﴾[١] . فَهُوَ سَمِيعٌ ، وَهُوَ بَصِيرٌ وَلَكِنَّ سَمْعَهُ لَيْسَ كَسَمْعِ مَخْلُوقَاتِهِ ، وَبَصَرَهُ لَيْسَ كَبَصَرِ مَخْلُوقَاتِهِ ، وَلَا نَسْتَطِيعُ الإِحَاطَةَ بِهِ ، وَهُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَال .

العَقْلُ وَالتَّصَــوُّر :

وَلَقَدْ خَلَقَ اللهُ لِلإِنْسَانِ عَقْلاً يَعْقِلُ بِهِ الحَقَائِقَ ، وَيَعْرِفُ بِهِ الحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ ، والضَّارَّ مِنَ النَّافِعِ ، وَجَعَلَهُ عِمَادَ التَّكْلِيفِ ، فَمَنْ فَقَدَ عَقْلَهُ رُفِعَ عَنْهُ الْقَلَمُ ، وَجَعَلَ اللهُ لِلْعَقْلِ طَاقَاتٍ وَاسِعَةً .

وَخَلَقَ اللهُ لِلإِنْسَانِ قُوَّةً يَتَصَوَّرُ بِهَا الأَشْيَاءَ ، تُعِينُه عَلَى تَنْظِيمِ الْأُمُورِ وَتَخَيُّلِهَا ، وَلَكِنَّ قُوَّةَ التَّصَوُّرِ ضَعِيفَةٌ ، وَمَحْدُودَةٌ ، فَإِذَا وُصِفَتْ لَكَ مَدِينَةٌ ، عَقَلْتَ أَنَّ فِيهَا أَشْيَاءَ ، وَتَصَوَّرتَ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ ، وَلَكِنَّكَ إِذَا رَأَيْتَ تِلْكَ الْمَدِينَةَ سَتَجِدُ أَنَّهَا عَلَى غَيرِ الصُّورَةِ الَّتِى تَصَوَّرْتَهَا مِنْ قَبْلُ .

وَإِذَا طَرَقَ شَخْصٌ الْبَابَ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعْقِلَ أَنَّ طَارِقاً يَطْرُقُ الْبَابَ ، وَلَكِنَّ تَصَوُّرَك يَعْجزُ أَنْ يَتَصَوَّر ، مَنِ الطَّارِقُ حَقِيقَةً ؟ وَمَا طُولُهُ ؟ وَمَا عَرْضُهُ ؟ وَمَا لَوْنُهُ ؟ وَمَا حَجْمُهُ ؟ .. فَقُوَّةُ الْعَقلِ اخْتَرَقَتْ حَاجزَ الْبَابِ ، فَعَقَلتَ أَنَّ طَارِقاً مَوجُودٌ يَطْرُقُ الْبَابَ فَقَط ، بَيْنَمَا عَجِزَتْ قُوَّةُ التَّصَوُّرِ ، وَحَبَسَهَا حَاجِزُ الْبَابَ أَنْ تَنْفُذَ .

﴿ **وَلِلهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى** ﴾ فَالْعَقْلُ يُؤْمِنُ بِاللهِ ، وَقُوَّةُ التَّصُوُّرِ تَعْجَزُ عَنْ تَصُوُّرِ اللهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ ... **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾[٢] .

(١ ــ ٢) سورة الشورى : الآية « ١١ » .

الاسماء الحسنى

للهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ، وَلَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمَاً ، مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَلَهُ أَسْمَاءٌ أُخْرَى غَيْرُهَا ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَللهِ الأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾[١] ، وَمِنْ الأَسْمَاءِ الْحُسْنَى :

« الْوَاحِدُ ، الْأَحَدُ ، الصَّمَدُ[٢] ، الْقَيُّومُ[٣] ، الْخَالِقُ ، المُصَوِّرُ ، الرَّحْمٰنُ ، الرَّحِيمُ ، اللَّطِيفُ ، الرَّزَّاقُ ، الوَاسِعُ[٤] ، الْعَظِيمُ ، الْعَزِيزُ[٥] ، الْحَكِيمُ ، العَلِيمُ ، الْحَافِظُ ، الهَادِي ، الْمُحْيِي ، الْمُمِيتُ ، الوَارِثُ[٦] .

شهادة ان محمدا رسول الله

الأدِلَّةُ البَيِّنَةُ عَلَى صِدْقِ رِسَالَة مُحَمَّد ﷺ :

يُؤَيِّدُ اللهُ رُسُلَهُ بِالْبَيِّنَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى رِسَالَتِهِمْ حَتَّى لَا يُكَذِّبَهُمُ النَّاسُ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَٰتِ** ﴾[٧] ، وَلَقَدْ أَيَّدَ اللهُ مُحَمَّدَاً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم بِبَيِّنَاتٍ وَاضِحَةٍ وَأَدِلَّةٍ قَاطِعَةٍ مُعْجِزَةٍ مِنْهَا :

---

(١) سورة الأعراف ؛ الآية « ١٨٠ » .
(٢) الصمد : الغنى الذى يقصد فى الحوائج ولا يحتاج إلى أحد .
(٣) القيوم : القائم بنفسه والمقيم لغيره .
(٤) الواسع : الذى عمت رحمته ووسع علمه كل شيء .
(٥) العزيز : الغالب الذى لا يذل .
(٦) الوارث : الباقى بعد فناء الموجودات .
(٧) بالبينات : بالمعجزات . سورة الحديد الآية « ٢٥ » .

البيِّنةُ « المعجزة » القُرْآنيَّةُ :

لَقَدْ جَعَلَ اللهُ مُعْجزَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ دائِمَةً لِتُقنِعَ النَّاسَ جَمِيعاً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَجَعَلَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ أَقْوَى الْمُعْجزَاتِ ، وَحَفِظَهُ سُبْحَانَهُ مِنَ التَّحْرِيفِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَٰبُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ** ﴾(١) .

وَلِهَذِهِ البَيِّنَةِ الْقُرْآنِيَّةِ أَوْجُهٌ تُوضِّحُ إِعْجَازَ الْقُرْآنِ نَذْكُرُ مِنْهَا :

فَصَاحَةُ الْقُرْآن وجِدَّتُهُ الدَّائِمَة :

الْقُرْآنُ مُكَوَّنٌ مِنْ أَحْرُفِ الهِجَاءِ « أ ، ب ، ت، ث » وَكَلَامُ النَّاسِ مُكَوَّنٌ مِنْ نَفْسِ الْأَحْرُفِ ، لَكِنَّ فَصَاحَةَ الْقُرْآنِ أَعْجَزَتِ الإِنْسَ ، وَالجِنَّ ، عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ أَقْصَرِ سُورَةٍ مِنْهُ ، فَأَنْتَ إِذَا سَمِعْتَ خُطْبَةً فَصِيحَةً ، أَوْ قَصِيدَةً بَلِيغَةً ، أَعْجَبَتْكَ ، سُرْعَانَ مَا تُصْبِحُ هَذِهِ الْخُطْبَةُ أَوْ الْقَصِيدَةُ بَالِيَةً فِي سَمْعِكَ إِذَا كُرِّرَتْ عَلَيْكَ لِأَنَّهُ مَا مِنْ كَلَامٍ لِبَشَرٍ إِلَّا وَهُوَ يَبْلَى ، إِذَا كُرِّرَ .

وَلَكِنْ ، كَمْ يَقْرَأُ الْمُسْلِمُونَ الْفَاتِحَةَ ، والسُّوَرَ الْقِصَارَ ؟ وَكَمْ يَخْتِمُ الدَّارِسُ لِلْقُرْآنِ كِتَابَ اللهِ ، وَيُعِيدُهُ ، فَمَا أَحَسَّ قَارِىءٌ لِلْقُرْآنِ أَنَّ الفَاتِحَةَ أَوْ أَيَّ سُورَةٍ قَدْ أَصْبَحَتْ بَالِيَةً ، فَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ يَدُلُّ هَذَا ؟ . لَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الظَّاهِرَةُ تَشْهَدُ لِكُلِّ عَاقِلٍ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ ، الَّذِى لَا يَبْلَى .

وَلَقَدْ تَحَدَّى الْقُرْآنُ مَنْ ارْتَابَ فِي صِدْقِهِ أَنْ يَأْتِيَ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَٱدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾(٢) .

---

(١) « أفمن كان على بينة من ربه » : هو النبى ﷺ والبينة : هى القرآن من ربه تعالى . « الأحزاب » : جميع الكفار على اختلافهم فى الملل والنحل . سورة هود : الآية « ١٧ » .

(٢) « شهداءكم » : وهم آلهتهم التى يعبدونها من دون الله . سورة البقرة : الآيتان « ٢٣ ، ٢٤ » .

إِخْبَارُ الْقُرْآن بِالْغَيْبِ :

الغَيْبُ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ ، وَلَقَدْ أَخْبَرَ الْقُرْآنُ بِغُيُوبٍ كَثِيرَةٍ ، فَكَانَ هَذَا دَلِيلاً عَلَى أَنَّ الْقُرْآن مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وَأَنَّ مُحَمَّدَاً الَّذِى بَلَّغَ الْقُرْآن لِلنَّاسِ رَسُولُ اللهِ وَمِنْ هَذِهِ الأَخْبَارِ الْغَيْبِيَّة :

١ ــ عِنْدَمَا انْتَصَرَ الفُرْسُ وَهُمْ عُبَّادُ أَوْثَانٍ عَلَى الرُّومِ وَهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ فِى فِلَسْطِين فَرِحَ الْمُشْرِكُونَ فِى مَكَّةَ ، وَتَوَعَّدُوا الْمُسْلِمِينَ بِمَصِيرٍ كَمَصِيرِ الرُّوم ، فَسَاءَ ذَلِكَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَنْزَلَ اللهُ قَوْلَهُ : ﴿ **الٓمٓ * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِى أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِى بِضْعِ سِنِينَ للهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِن بَعْد وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[١] .

وَعِنْدَمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَاتُ رَدَّدَهَا الْمُسْلِمُونَ ، وَتَهَكَّمَ بِمَا وَعَدَتْ بِهِ الْكَافِرُونَ ، وَتَصَدَّى كَافِرٌ لِأَبِى بَكْرٍ ــ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ــ يُرَاهِنُهُ عَلَى أَنَّ الفُرْسَ ، لَنْ تَنْهزِمُ فِى الْمُدَّةِ الَّتِى حَدَّدَتْهَا الآيَاتُ بِكَلِمَةِ « بِضْعِ سِنِينَ » ، وَهِىَ مُدَّةٌ تَمْتَدُّ مِنْ ثَلَاثِ سَنَوَاتٍ ، إِلَى عَشْرٍ وَلَا تَزِيدُ ، فَقَبِلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ الرِّهَانَ قَبْلَ تَحْرِيمِ الرِّهَانِ ، وَسَمَحَ الرَّسُولُ ﷺ بِمُضِىِّ الرِّهَانِ ، وَوَقَفَ الكَافِرُونَ مَعَ الْكَافِرِ الَّذِى دَخَلَ الرِّهَانَ ، كَمَاوَقَفَ الْمُسْلِمُونَ يَنْتَظِرُونَ تَحَقُّقَ وَعْدِ اللهِ ، والرَّسُولِ ﷺ يَقُولُ : « فَإِنَّ البِضْعَ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى التِّسْعِ »[٢] ، وَوُضِعَتِ النُّبُوَّةُ أَمَامَ امْتِحَانٍ ، فَقَدْ جَاءَ الْخَبْرُ الإِلٰهِى بِانْتِصَارِ الرُّومِ الْمَهْزُومِينَ ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مِنَ الدَّلَائِلِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ يَنْتَصِرُونَ ، وَحُدِّدَ الْمَوْعِدُ بِأَقَلَّ مِنْ عَشْرِ سِنِينَ ، وَكَانَ الْخبْرُ بِصِيغَةٍ لَا تَقْبَلُ التَّأْوِيلَ : ﴿ **وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[٣] ، والْكُفَّارُ جَمِيعَاً يَعْلَمُونَ أَنَّ مُحَمَّدَاً مِنْ

(١) سورة الروم : الآيات « ١ ــ ٦ » .

(٢) رواه الترمذى والطبرانى .

(٣) سورة الروم : الآية « ٦ » .

أَعْقَلِ النَّاسِ ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُوَرِّطَ نَفْسَهُ فِى مِثْلِ هَذَا الامْتِحَانِ ، لَوْ لَمْ يَكُنْ فِى غَايَةِ الثِّقَةِ من رَبِّهِ وَتَصْدِيقِهِ لَهُ .

لِذَلِكَ ، مَا مَرَّتْ سَبْعُ سَنَوَاتٍ حَتَّى تَحَقَّقَ وَعْدُ اللهِ ، وَفَرِحَ الْمُؤْمِنُونَ ، وَظَهَرَ صِدْقَ الرَّسُولِ ﷺ فَآمَنَ جَمْعٌ مِنَ النَّاسِ ، وَدَخَلُوا فِى دِينِ اللهِ .

٢ ــ لَقَدْ كَانَتْ الْمُحَاوَلَاتُ كَثِيرَةً جِدًّا ، لاغْتِيَالِهِ ﷺ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَمِنَ اليَهُودِ ، عَنْ طَرِيقِ الحَرْبِ ، وَعَنْ طَرِيقِ الْمُؤَامَرَةِ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ نَزَلَ قُرْآنٌ ،يَعِدُ رسُولَ اللهِ بِأَنَّ أَعْدَاءَهُ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ** ﴾(١) وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ **يَاأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾(٢) وَبَعْدَ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ ، أَمَرَ الرَّسُولُ ﷺ الصَّحَابَةَ ، الَّذِينَ كَانُوا يَحْرُسُونَه ، فَقَالَ : « يَاأَيُّهَا النَّاسُ انْصَرِفُوا عَنَّا فَقَدْ عَصَمَنَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ »(٣) .

وَلَقَدْ كَثُرَتِ الْمُؤَامَرَاتُ ، وَلَكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَحْبَطَهَا ، تَحْقِيقاً لِوَعْدِهِ ، وَلَقَدْ استُشْهِدَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثَلاثَةٌ مِنَ الْخُلَفَاءِ ، الأَرْبَعَةِ الرَّاشِدِينَ وَالإِسْلَامُ قَوِىٌّ ، وَالكُفْرُ مُنْدَحِرٌ ، وَأَسْبَابُ الْأَمْنِ مُتَوَفِّرَةٌ لِلْخُلَفَاءِ وَلَمْ تَكُنْ مُتَوَفِّرَةً فِى عَهْدِ الرَّسُولِ ، لَكِنَّ الدِّفَاعَ الإِلٰهِىَّ ، هُوَ الَّذِى نَجَّى رَسُولَه الَّذِى وَثِقَ بِوَعْدِ رَبِّهِ ، فَمَضَى فِى دَعْوَتِهِ ، وَصَرَفَ حَرَسَهُ ، فَصَدَقَهُ اللهُ مَا وَعَدَهُ .

٣ ــ لَقَدْ كَانَ الرُّسُلُ يَتَعَاقَبُونَ عَلَى الْأَرْضِ ، وَلَكِنْ مُنْذُ أَنْ ظَهَرَ رَسُولُ اللهِ مُحَمَّدٌ ﷺ انْقَطَعَ الرُّسُلُ ، وَذَلِكَ تَصْدِيقاً لِقَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ وَلٰكِن رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيماً** ﴾(١) فَهَذَا خَبَرٌ غَيْبِىٌّ صَدَّقَتْهُ الْقُرُونَ الَّتِى جَاءَتْ بَعْدَ بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ تَشْهَدُ بِأَنَّهُ لَا نَبِىَّ آخَرَ بَعْدَ خَاتَمِ الأَنْبِيَاءِ .

---

(١) سورة الإسراء : من الآية « ٦٠ » .
(٢) سورة المائدة : الآية « ٦٧ » .
(٣) رواه ابن أبى حاتم وابن جرير والترمذى والحاكم وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .
(٤) سورة الأحزاب : الآية « ٤٠ » .

الإِعْجَازُ الْعِلْمِي الحديث للْقُرْآن :

قَالَ تَعَالَى : ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾(١).

لَقَدْ تَحَقَّقَ الْوَعْدُ مِنْ رَبِّنَا فِي هَذَا الزَّمَان ، فَرَأَى الْكَافِرُونَ الَّذِينَ لَمْ يَتَبَيَّنُوا الْحَقَّ آيَاتِ اللهِ فِي آفَاقِ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَمَا رَأَوْا تِلْكَ الآيَاتِ وَالأَسْرَارَ إِلَّا بِأَدَقِّ الْأَجْهِزَةِ وَالْوَسَائِلِ ، كَالطَّائِرَاتِ وَالْغَوَّاصَاتِ ، وَالَّتِي لَمْ يَمْلِكْهَا الإِنْسَانُ إِلَّا فِي هَذَا الزَّمَانِ . فَكَانَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ بَيِّنَةٌ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِى أَخْبَرَ مُحَمَّداً ﷺ عَنْ هَذِهِ الأَسْرَارِ فِي الْخَلْقِ ، يَوْمَ لَا أَجْهِزَةَ بَحْثٍ عِلْمِيٍّ ، وَلَا طَائِرَاتٍ ، وَلَا غَوَّاصَاتٍ ، فَكَانَ هَذَا لَوْنَاً جَدِيدَاً مِنْ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ ، يُبَيِّنُ لِلْكَافِرِ الْيَوْمِ صِدْقَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وصِدْقَ هَذَا الدِّينِ ، وَمِنْ أَمْثِلَةِ ذَلِكَ :

١ ــ مَا كَانَ أَحَدٌ يَظُنُّ أَنَّ أَصْلَ السَّمَاءِ وَنُجُومَهَا ، وَكَوَاكِبَهَا هُوَ الدُّخَانُ ، حَتَّى تَقَدَّمَتْ أَجْهِزَةُ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ ، وَشَاهَدَ الْبَاحِثُونَ بَقَايَا الدُّخَانِ ، لَا تَزَالُ تَتَكَوَّنُ مِنْهُ النُّجُومُ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا ، واللهُ يَقُولُ : ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعَاً أَوْ كَرْهَاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** ﴾(٢).

٢ ــ وَكَشَفَ البَاحِثُونَ الآنَ : أَنَّ نُجُومَ السَّمَاءِ لَا تَزَالُ تُخْلَقُ ، وَأَنَّ مُدُنَ النُّجُومِ يَتَبَاعِدُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ وَبِهَذَا عُرِفَ أَنَّ السَّمَاءَ لَا تَزَالُ تَتَّسِعُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ** ﴾(٣).

٣ ــ وَكَشَفَ الْبَاحِثُونَ أَخِيرَاً : أَنَّ الْقَمَرَ كَانَ مُشْتَعِلاً ثُمَّ انْطَفَأَ ، ومُحِيَ ضَوْءُهُ ، وَأَنَّ النُّورَ الَّذِى يَخْرُجُ مِنْهُ فِي اللَّيْلِ لَيْسَ إِلَّا انْعِكَاسَاً مِنْ سَرَاجٍ آخر ،

---

(١) سورة فصلت : الآية « ٥٣ » .
(٢) سورة فصلت : الآية « ١١ » .
(٣) « بأيد » : بقوة . سورة الذاريات : الآية « ٤٧ » .

هُوَ الشَّمْسُ ، واللهُ يَقُولُ : ﴿ ... **فَمَحَوْنَا آيَةَ ٱللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً** ﴾(١) ، قَالَ الْمُفَسِّرُونَ : « آيَةُ اللَّيْلِ القمَرُ وَآيَةُ النَّهَارِ الشَمسُ » ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا : « كَانَ الْقَمَرُ يُضِىءُ كَالشَّمْسِ » . وَقَالَ الْمُفَسِّرُونَ : « فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ » أَىْ طَمَسْنَا ضَوْءَهَا .

ثُمَّ ذَكَرَ الْقُرْآنُ الْقَمَرَ وَسِرَاجَهُ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً** ﴾(٢) انظر : قال الله : « سِرَاجاً » ، وَلَوْ كَانَ الْقَمَرُ يُضِىءُ ، لَقَالَ الرَّحْمٰنُ : « سِرَاجَيْن » وَلَمْ يَقُلْ : سِرَاجاً .

٤ ــ وَكَانَ النَّاسُ يَظُنُّونَ : أَنَّ مَنْ صَعَدَ فِى السَّمَاءِ تَنَفَّسَ الْهَوَاءَ الْعَلِيلَ ، فَلَمَّا صَنَعَ الإنْسَانُ الطَّائِرَاتِ الْحَدِيثَةَ وَصَعَدَ فِى السَّمَاءِ ، وَجَدَ : أَنَّ مَنْ صَعَدَ فِى السَّمَاءِ ؛ يَضِيقُ صَدْرُهُ ، وَيَبْلُغُ أَشَدَّ دَرَجَاتِ الضِّيقِ بَسَبَبِ أَنَّ الْهَوَاءَ يَنْقُصُ كُلَّمَا صَعَدَ الإنْسَانُ فِى السَّمَاءِ ، وَاللهُ يَقُولُ : ﴿ **فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلٰمِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى السَّمَاءِ** ﴾(٣) .

٥ ــ وَمَا كَانَ أَحَدٌ يَتَصَوَّرُ أَنَّ الْجِبَالَ تَخْرِقُ الأَرْضَ ، كَالأَوْتَادِ ، حَتَّى اكْتَشَفَ الدَّارِسُونَ ، أَنَّ تَحْتَ الطَّبَقَةِ الأَرْضِيَّةِ الصُّلْبَةِ ، الَّتِى نَعِيشُ عَلَيْهَا ، طَبَقَةً لَيِّنَةً لَزِجَةً تَحْتَهَا ، وَأَنَّ تَحْتَ كُلِّ جَبَلٍ ، جِذْراً يَغُوصُ فِى هَذِهِ الطَّبَقَةِ اللَّيِّنَةِ ، فَيُمْسِكُ الأَرْضَ الصُّلْبَةَ ، الَّتِى نَعِيشُ عَلَيْهَا ، مِنْ أَنْ تَضْطَرِبَ مِنْ تَحْتِنَا ، بِسَبَبِ لِينِ مَا تَحْتَهَا ، وَاللهُ يَقُولُ : ﴿ **وَٱلْجِبَالَ أَوْتَاداً** ﴾(٤) . وَيَقُولُ : ﴿ **وَجَعَلْنَا فِى الأَرْضِ رَوَاسِىَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ** ﴾(٥) .

---

(١) سورة الإسراء : الاية « ١٢ » .
(٢) سورة الفرقان : الاية « ٦١ » .
(٣) « حرجاً » : شديد الضيق ، سورة الأنعام : الآية « ١٢٥ » .
(٤) سورة النبا : الاية « ٧ » .
(٥) « رواسى » : جبال ثوابت : سورة الأنبياء : الآية « ٣١ » .

٦ ـــ وَاكْتَشَفَ الدَّارِسُونَ : أَنَّ الْمَاءَ إِذَا نَزَلَ أَخْرَجَ النَّبَاتَ ، وَأَنَّ النَّبَاتَ يُخْرِجُ مَادَةً خَضْرَاءَ اللَّوْنِ ، هِيَ الَّتِي تُصنَعُ فِيهَا الْحُبُوبُ والثِّمَارُ . وَمِنْ هَذِهِ الْمَادَّةُ الْخَضْرَاءِ تَخْرُجُ الْحُبُوبُ والثِّمَارُ ، وَاللهُ يَقُولُ : ﴿ **وَهُوَ الَّذِى أَنْزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرَاً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبَّاً مُتَرَاكِبَاً** ﴾[١] .

٧ ـــ وَاكْتَشَفَ الْبَاحِثُونَ : أَنَّ فِي النَّبَاتَاتِ جَمِيعَاً زَوجِيَّةً « ذَكَرَاً وَأُنْثَى » وَمَا كَانَ أَحَدٌ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْ قَبْلُ . وَاللهُ يَقُولُ : ﴿ **سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[٢] .

٨ ـــ وَاكْتَشَفَ الْأَطِبَاءُ . أَنَّ الْأَعْصَابَ الَّتِي تَتَأَلَّمُ بِحَرِيقِ النَّارِ وَشِدَّةِ الْبَرْدِ توجَدُ فِي الْجِلْدِ فَقَطْ ، كَمَا تَتَركَّزُ بَاقِي أَعْصَابِ الإِحْسَاسِ فِي الْجِلْدِ ، مِمَّا يَجْعَلُ الإِنْسَانَ يَتَأَلَّمُ عِنْدَ دُخُولِ إِبْرَةِ الطَّبِيبِ فِي مَنْطِقَةِ الْجِلْدِ ، فَإِذَا غَارَتْ فِي اللَّحْم تَلاشَى الْأَلَمُ ، وَقَدْ بَيَّنَ الْقُرْآنُ أَنَّ الْأَلَمَ بِالْحَرْقِ يَكُون فِي الْجِلْدِ ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارَاً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنٰهُمْ جُلُودَاً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزَاً حَكِيمَاً** ﴾[٣] .

٩ ـــ وَاكْتَشَفَ الدَّارِسُونَ أَنَّ اللَّبَنَ فِي الْأَنْعَامِ يُسْتَخْلَصُ مِنْ بَيْنِ الْفَرْثِ فِي الْأَمْعَاءِ الدَّقِيقَةِ ، فَتَبْقَى الفَضَلَاتُ الَّتِي تَخْرُجُ فِي صُورَةِ بَعَرٍ ، وَغَيْرِهِ ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ كُلُّهَا فَرْثَاً سَائِلاً ، ثُمَّ تَدْخُلُ الْمَوَادُّ الْغِذَائِيَّةُ فِي الدَّمِ ، ثُمَّ يُسْتَخْلَصُ اللَّبنُ مِنَ الدَّمِ فِي الضُّرُوعِ ، وَاللهُ يَقُولُ : ﴿ **وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعٰمِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنَاً خَالِصَاً سَائِغَاً لِّلشّٰرِبِينَ** ﴾[٤] .

---

(١) « خضراً » مادة خضراء . « متراكباً » : متراكماً كسنابل الحنطة . سورة الأنعام : الآية « ٩٩ » .

(٢) سورة يس : الآية « ٣٦ » .

(٣) « نضجت » : اجتزئت وتهرأت . سورة النساء ، الآية « ٥٦ » .

(٤) « من بين فرث ودم » : لقد تصفى اللبن مرتين ، مرة من الفرث ثم صار دماً ، ومرة من الدم ثم صار لبناً خالصاً . سورة النحل : الآية « ٦٦ » .

١٠ ـــ مَا كَانَتِ الْبَشَرِيَّةُ تَعْرِفُ أَنَّ فِي الْبَحْرِ مَوْجاً دَاخِلِيًّا ، غَيْرَ الْمَوْجِ السَّطْحِيِّ ، وَمَا كَانَ النَّاسُ يَعْلَمُونَ أَنَّ فِي أَعْمَاقِ الْبِحَارِ ظُلُمَاتٍ ، فَجَعَلَ اللهُ لِلأَسْمَاكِ سُرُجاً تُنِيرُ لَهَا فِي تِلْكَ الظُّلُمَاتِ ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْجَ بِسَطْحِهِ الْمَائِلِ يُشَتِّتُ الضَّوْءَ الَّذِي يَسْقُطُ عَلَيْهِ مِنْ أَعْلَى فَيُكَوِّنُ بِذَلِكَ ظُلْمَةً كَمَا تَفْعَلُ السَّحَابُ فِي مَنْعِ بَعْضِ الأَشِعَّةِ ، مِنَ النَّفَاذِ إِلَى أَسْفَلَ ، لَكِنَّ هَذِهِ الأَسْرَار قَدْ ذَكَرَهَا اللهُ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ** ﴾[1] .

هَذِهِ الأَسْرَارُ وَغَيْرُهَا فِي أَعْمَاقِ السَّمَاءِ ، وَأَعْمَاقِ الْمَاءِ ، وَبَاطِنِ الأَرْضِ ، وَبُطُونِ الأَنْعَامِ ، وَجَوْفِ النَّبَاتِ ، وَفِي تَرْكِيبِ الإِنْسَانِ ، مَا عَرَفَهَا الإِنْسَانُ إِلَّا فِي هَذَا الزَّمَانِ ، بَعْدَ أَنْ صَنَعَ أَدَقَّ الآلاتِ ، الَّتِي تَمَكَّنَ بِهَا ، مِنْ مَعْرِفَةِ هَذِهِ الأَسْرَارِ .

فَمَنْ كَشَفَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ هَذِهِ الأَسْرَارَ قَبْلَ أَلْفٍ وَأَرْبعمائة عَامٍ ، يَوْمَ لَا طَائِرَات ، وَلَا غَوَّاصَات ، وَلا مُخْتَرَعَاتٌ عِلْمِيَّة ؟؟!

إِنَّ هَذَا كُلَّه يَشْهَدُ لِكُلِّ عَاقِلٍ ، فِي أَمْرِيكَا أَوْ رُوسِيا ، فِي الْهِنْدِ أَوْ الصِّينِ ، فِي أُورِبَا أَوْ اسْتُرَالِيَا ، أَنْ هَذَا الْقُرْآن نَزَلَ بِعِلْمِ اللهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾[2] كَمَا يَشْهَدُ لِكُلِّ عَاقِلٍ ، أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ﷺ .

* * *

---

(١) « لجى » : أى عميق كثير الماء . « يغشاه موج » : يعلوه ويغطيه . سورة النور : الآية « ٤٠ » .

(٢) سورة الفرقان : الآية « ٦ » .

علامات الساعة

قَالَ تَعَالَى : ﴿ **عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ** ﴾[1] . وَإِخْبَارُ مُحَمَّدٍ ﷺ بغَيْبِ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ ، الَّتِى لَمْ تَظْهَرْ أَمَارَاتُهَا إِلَّا فِى زَمَانِنَا ، يَشْهَدُ لَهُ بِصِدْقِ الرِّسَالَةِ ، كَمَا يَشْهَدُ بِأَنَّ السَّاعَةَ حَقٌّ ، وَأَنَّهَا قَدْ أَصْبَحَتْ قَرِيبَةً .

وَمِنَ الْعَلَامَاتِ الَّتِى ظَهَرَتْ مَا يَلِى :

١ ـ أُمُورٌ عَظِيمَةٌ لَمْ تَخْطُرْ عَلَى بَالِ أَحَدٍ مِنْ قَبْلُ :

هَذِهِ الْعَجَائِبُ ، وَالأُمُورُ العِظَامُ ، الَّتِى حَدَثَتْ فِى الْمُخْتَرَعَاتِ ، وَفِى عَالَمِ السِّيَاسَةِ ، وَالأَنْظِمَةِ ، والْعُلُومِ ، وَهَذِهِ الأَحْدَاثُ العَالَمِيَّةُ ، الَّتِى مَا كَانَتْ تَخْطُرُ عَلَى بَالِ أَحِدٍ ، سَوَاءٌ فِى أَحْوَالِ المُسْلِمِينَ ، أَوْ الْكَافِرِينَ ، يَصْدُقُ عَلَيْهَا وَصْفَ : الأُمور العَظِيمَةِ ، الَّتِى لَمْ تَخْطُرْ عَلَى بَالِ أَحِدٍ مِنَ السَّابِقِينَ ، وَقَدْ أَخْبَرَنَا عَنْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَرَوْا أُموراً عِظَاماً لَمْ تَكُونُوا تَرَوْنَهَا وَلَا تُحَدِّثُونَ بِهَا أَنْفُسَكُمْ » .

٢ ـ الحُفَاةُ العُرَاةُ رُعَاةُ الْغَنَمِ وَتَطَاوُلُهُمْ فِى البِنَاءِ :

إِنَّ الْحَافِىَ الَّذِى لَا يَمْلِكُ حِذَاءً ، الْعَارِىَ الَّذِى لَا يَجِدُ ثَوْبَاً يَسْتُر كُلَّ جِسْمِهِ ، الْعَالَةَ فِى طَعَامِهِ عَلَى غَيْرِهِ ، الَّذِى لَا يُجِيدُ مِنَ الْعَمَلِ غَيْرَ رَعْى الْغَنَمِ ،

---

(١) سورة الجن : الآيتان « ٢٦ ، ٢٧ » .

إنَّ الَّذِى يَتَّصِفُ بِكُلِّ هَذَا لَا يَتَصَوَّرُ أَحدٌ مِنَ النَّاسِ مِنْ قَبْلُ ، أَنَّهُ سَيَتَمَكَّنُ مِنْ بِنَاءِ أَىِّ بَيْتٍ ، فَضْلاً عَلَى أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ الْبَيْتَ مِنَ الْبُيُوتِ الطَّوِيلَةِ ، وَيُطَاوِلُ غَيْرَهُ فِى الْبِنَاءِ ، وَفَضْلاً عَنْ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ ظَاهِرَةً لَا تَحدُثُ لِشَخْصٍ وَاحِدٍ ، بَلْ تَحْدُثُ لِجَمَاعَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْ رُعَاةِ الغَنَمِ الحُفَاةِ ، العُرَاةِ ، الْعَالَةِ . فَهَذَا أَمْرٌ مَا كَانَ يَخْطُرُ بِبَالِ أَحَدٍ . لَكِنَّ الأَمْرَ وَقَعَ ، فَبَعْدَ أَنْ فَتَحَ اللهُ عَلَى الْمُسْلِمِين وَغَيْرِهِمْ مِنْ ثَرَوَاتِ الأَرْضِ ، وَخَاصَّةً البترُول ، رَأَيْنَا رُعَاةَ الْغَنَمِ الْحُفَاةَ ، العُرَاةَ ، العَالَةَ ، يَتطَاوَلُونَ فِى البُنْيَانِ ، كَمَا أَخبَرَ بِذَلِكَ ، رَسُولُ الله ﷺ وَبَيَّنَ أَنَّ هَذِهِ مِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ ، فَقَالَ : « إِذَا رَأَيْتَ الْحُفَاةَ ، الْعُرَاةَ ، الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتطَاوَلُونَ فِى الْبُنْيَانِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ »(١) .

٣ ــ ظُهُورُ الكَاسِيَاتِ العَارِيَاتِ الْمَائِلَاتِ المُمِيلَاتِ ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْجِمَالِ :

كَانَ هُنَاكَ بَعْضُ الصُّعُوبَةِ فِى فَهْمِ حَالَةِ النِّسَاءِ اللَّائِى وَصَفَهُنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَنَّهُنَّ سَيَخْرُجْنَ فِى آخِرِ هَذِهِ الأُمَّةِ ، وَأَنَّهُنَّ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ . وَقَدْ يَحتَارُ الإِنْسَانُ ، كَيْفَ تَكُونُ الْمَرْأَةُ كَاسِيَةً ، وَعَارِيَةً فِى آنٍ وَاحِدٍ حَتَّى رَأَيْنَا ذَلِكَ فِى زَمَنِنا ، فَلِلْمَرْأَةِ كِسَاءٌ ، وَلَكِنَّهُ ضَيِّقٌ أَوْ شَفَّاف يَصِفُ الجِسْمَ ، وَيُظْهِرُهُ [أولها الملابِسُ الكثيرةُ ، ولكنَّهَا تُفَصِّلُهَا قَصِيرَةً] أَوْ تَكُونَ لَابِسَةً كَاسِيَةً فِى بَعْضِ الأَمَاكِنِ ، مُتَعَرِّيَةً فِى أَمَاكِنَ أُخْرَى . وهُنَّ أَيْضاً مَائِلَاتٌ مُمِيلَاتٌ ، وَقَدْ اكْتَمَلَ المَيْلُ عَنْ الطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ ، والتَّمَايُلُ بالأَجْسَادِ ، حَتَّى وَضَعُوا لَهُنَّ فِى أَحذِيَتِهِنَّ كُعُوباً عَالِيَةً ، لاستِكْمَالِ المَيْلِ فِى الأَجْسَامِ ، وَهُنَّ بِهَذَا المَيْل مُمِيلَاتٌ لِكَثِيرٍ من الشَّبَابِ مُضِلَاتٌ بِفِتْنَتِهِنَّ الْمَعْرُوضَةِ .

وَرُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المَائِلَةِ : أَىْ كَأَسْنِمَةِ الجِمَالِ المَائِلَةِ . وَهَذَا مَا نُشَاهِدُهُ فِى زَمَانِنَا ، مِصْدَاقاً لِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِى كَشَفَ اللهُ لَهُ هَذَا

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

الْغَيْبَ ، قَبْلَ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ عَامٍ ، فَقَالَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَلَاةُ والسَّلَامُ : « صِنْفَانِ مِن أُمَّتِى مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا : قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ(١) ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مَائِلَاتٌ مُمِيلَاتٌ ، رءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المَائِلَةِ ، لَا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ ، وَلَا يَجِدُونَ رِيحَهَا »(٢) .

٤ ــ نُطْقُ الجَمَاد :

قَالَ ــ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ــ : « إِنَّهَا أَمَارَاتٌ مِنْ أَمَارَاتِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ ، أَوْشَكَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ ، فَلَا يَرْجِعَ ، حَتَّى يُحَدِّثُهُ نَعْلَاهُ ، وَسَوْطُهُ ، مَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ مِنْ بَعْدِهِ »(٣) .

النَّعْلُ جَمَادٌ ، والسَّوْطُ جَمَادٌ ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ يَتَصَوَّرُ أَنَّ الجَمَادَ سَيَنْطِقُ ، وَقَدْ نَطَقَ الْجَمَادُ فِعْلاً ، وَأَمَّا كَيْفَ يُحَدِّثُ النَّعلُ ، أَوِ السَّوطُ الرَّجُلَ عَمَّا أَحْدَثَ أَهْلَ بَيْتِهِ بَعْدَه ؟ فَقَدْ اخْتُرِعَتْ الآن أَجْهِزَةٌ يَحْمِلُهَا الإِنْسَانُ فِي يَدِهِ ، فَتَنقُلُ لَهُ الأَصْوَاتَ ، والكَلَامَ مِنْ بَيْتِهِ ، أَوْ مِنْ بَيْتِ غَيْرِهِ ، [وَمَا بَقِيَ إِلَّا أَنْ تُشَكَّل فِي شَكْلِ سَوْطٍ ، لِيَسْهُلَ حَمْلُهَا ، أَوْ تُصْنَعُ فِي الْحِذَاءِ فَلَا تُرَى] وَيُمْكِنُ تَرِكِيبُهَا فِي طَرَفِ العَصَا أَوْ فِي مَكَانٍ مَّا مِنَ الحِذَاءِ بِحَيْثُ لَا تُرَى .

٥ ــ قَبْضُ الْعِلْمِ ، وَكَثْرَةُ الزَّلَازِل ، وَتَقَارُبُ الزَّمَانِ ، وَظُهُورُ الْفِتَن ، وَإِطَالَةِ الْبِنَاءِ :

قَبْضُ الْعِلْمِ هُوَ مَوْتُ العُلَمَاءِ وَعَدَمُ وجُودِ مَنْ يَخْلُفُهم ، والْمَقْصُودُ بِهِمْ عُلَمَاءُ الإِسْلَام ، وَقَدْ دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى ذَلِكَ . وَكَثْرَةُ الزَّلَازِلِ هُوَ مَا نُشَاهِدُهُ ، وَنَسْمعُه فِي هَذِهِ الأَيَّامِ مِنْ الزَّلَازِلِ الْمُدَمِّرَةِ .

---

(١) الذين يعتدون ظلماً على الناس فيضربون بالسياط .

(٢) رواه أحمد ومسلم .

(٣) روى الحديث أحمد فى مسنده ورواه الترمذى والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، ورواه أبو نعيم فى الحلية .

وَتَقَارُبُ الزَّمَانِ ؛ أى أَنَّ الأَيَّامَ تَمُرُّ ، وَكَأَنَّهَا سَاعَاتٌ قَلِيلَةٌ ، وَسَبَبُ ذَلِكَ كَثْرَةُ الأَحْدَاثِ الَّتِي تَجْعَلُ الإِحْسَاسَ بِالزَّمَنِ يَقِلُّ « واللهُ أَعْلَمُ » ، فَإِذَا كُنْتَ مَشْغُولاً فِي عَمَلٍ مَرَّتْ السَّاعَةُ وَكَأَنَّهَا لَحَظَاتٌ ، أَمَّا إِذَا كُنْتَ فَارِغاً فَتُحِسُّ بِطُولِ الزَّمَانِ . وَزَمَانُنَا هَذَا أَيَّامُهُ مَمْلُوءَةٌ بِالأَعْمَالِ ، مِمَّا يَجْعَلُهَا تَمُرُّ بِسُرْعَةٍ . وَظُهُورِ الفِتَنِ ، أى كَثْرَةُ الْفِتَنِ ، الَّتِي تَفْتِنُ الإِنْسَانَ عَنْ دِينِهِ ، والإِعْلَانُ بِهَا .

وَأَمَّا إِطَالَةُ البِنَاءِ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تُقَارِن بَينَ الْمَنَازِلِ قَبْلَ خَمْسِينَ عَاماً والْمَنَازِلِ فِي أَيَّامِنَا هَذِهِ ، وَكَيْفَ اسْتَطَالَتْ . وَهَذَا كُلُّهُ قَدْ أَخْبَرَنَا بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ بقوله : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ ، وَتَكْثُرَ الزَّلازِلُ ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ ، وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَان »[1] .

٦ ــ تَسْليمُ الخاصَّةِ وَفُشُوُّ التِّجارَةِ وَقَطْعُ الأَرْحَامِ وَكَثْرَةُ القِراءَةِ وَشَهَادَةُ الزُّور :

تَسْلِيمُ الخَاصَّةِ : هُوَ أَنْ يَخُصَّ الإِنْسَانُ بِالسَّلَامِ مَنْ يُرِيدُ . وَفُشُوُّ التِّجَارَة انْتِشَارُهَا وَفُشُوُّ الْقَلَمِ أَىْ كَثْرَةُ اسْتِخْدَام الْقَلَم ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى كَثْرَةِ الْقِرَاءةِ وَالْكِتَابَةِ . وَهَذَا كُلُّهُ جَاءَ فِي حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ القَائِلِ : « إِنَّ بَيْنَ يَدَى السَّاعَةِ تَسْلِيمَ الخَاصَّةِ وَفُشُوَّ التِّجَارَةِ حَتَّى تُعِينَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التِّجَارَةِ ، وَقَطْعَ الأَرْحَامِ ، وَفُشُوَّ الْقَلَمِ ، وَظُهُورَ الشَّهَادَةِ بِالزُّورِ ، وَكُتْمَانَ شَهَادَةِ الْحَقِّ »[2] .

٧ ــ كَثْرَةُ الزِّنا وَشُرْبُ الْخَمْر :

قَالَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصلاة والسلام : « إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ ، وَيَكْثُرَ الْجَهْلُ ، وَيَكْثُرَ الزِّنَا ، وَيَكْثُرَ شُرْبُ الخَمْرُ »[3] . وَكَثْرَةُ

(١) رواه البخارى .
(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه البخارى ومسلم .

الْجَهْلِ : أَىْ الْجَهْلِ بالدِّين .

٨ ــ انْتِشَارُ التَّعَامُل بالرِّبَا :

قَالَ عَلَيْهِ وعَلَى آله الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ : « لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَكَلَ الرِّبَا ، فَمَنْ لَمْ يَأْكُلْهُ أَصَابَهُ مِنْ غُبَارِهِ »(١) .

وَقَدْ انْتَشرَ التَّعَامُلُ بِالرِّبَا فِي زَمَانِنَا عَنْ طَرِيقِ الْبُنُوكِ وَغَيْرِهَا . وَإِنْ كُنَّا نَرَى ظُهُورَ بنوكاً إِسْلَامِيَّةً لَا تَتعَامَلُ بِالرِّبَا ، نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُكْثِرَ مِنْ هَذِهِ الْبُنُوكِ الإِسْلَامِيَّة .

٩ ــ التَّحِيَّةُ بِالتَّلَاعُنِ ، وَتَشَبُّهُ الرِّجَالِ بالنِّسَاءِ ، والنِّسَاءِ بالرِّجَالِ :

يَأْمُرُ الإِسْلَامُ بِالتَّحِيَّةِ الْحَسَنَةِ ، والردِّ الأَحْسَنِ ، وَهَكَذَا كَانَ الْمُسْلِمُونَ ، حَتَّى ظَهَرَ فِى زَمَانِنَا من يُحَيِّى غَيْرَهُ باللَّعْنِ ، قَالَ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ الصلاة والسلام : « لَا تَزَالُ الأُمَّةُ عَلَى شَرِيعَةٍ حَسَنَةٍ مَا لَمْ تَظْهَرْ فِيهِمْ ثَلَاثٌ : مَا لَمْ يُقْبَضْ مِنْهُمْ العِلْمُ ، وَيَكْثُرُ فِيهِمْ ولدُ الخُبثِ ، وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السَّقَّارُونَ » قَالُوا : وَمَا السَّقَّارُونَ ؟ قَالَ : « نَشْءٌ يَكُونُونَ فِى آخِرِ الزَّمَانِ تَكُون تَحِيَّتُهُم بَيْنَهُمْ إِذَا تَلَاقَوا التَّلَاعُنَ »(٢) .

وَمَا كَانَ أَحَدٌ يَتَصَوَّرُ أَنَّ الرَّجُلَ سَيَتَشَبَّهُ بِالْمَرْأَةِ ، وَالْعَكْسَ ، حَتَّى فَاجَأَنَا الزمَانُ بِهَذِهِ الْمُصِيبَةِ ، لكنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ أَخْبَرَنَا عَنْ هَذَا ، وَكَشَفَ اللهُ لَهُ مَا سَيَقَعُ ، فَقَالَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ : « مِنْ عَلَامَاتِ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ تشبُّهُ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ ، وَالنِّسَاءِ بِالرِّجَالِ »(٣) .

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجه .
(٢) رواه أحمد والحاكم والطبرانى .
(٣) رواه أبو نعيم فى الحلية وغيره .

١٠ ــ وَطَائِفَةٌ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ :

وَمَهْمَا كَثُرَ الْفَسَادُ ، فَقَدْ شَاءَتْ حِكْمَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ ، أَنْ تَبْقَى طَائِفَةٌ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرَةً ، تُقِيمُ الْحُجَّةَ عَلَى النَّاسِ بِالدَّعْوَةِ إِلَى دِينِ اللهِ ، وَتَتَمَسَّكُ بِكِتَابِ اللهِ ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ ، وَهَذَا مَا نُشَاهِدُهُ ، فَلَا يَخْلُو مَكَانٌ إِلَّا وَفِيهِ مَنْ يُظْهِرُ دِينَ اللهِ ، وَيَتَمَسَّكُ بِكِتَابِ اللهِ ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ .

وَفِى هَؤُلاءِ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ يَخْذُلُهُمْ حَتَّى يَأْتِىَ أَمْرُ اللهِ »(١) .

وَبَعْدُ : فَهَذَا قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ ، مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ رَسُولُ رَبِّنَا ﷺ قَبْلَ أَلْفٍ وَأَرْبعِمَائة عَامٍ ، يَشْهَدُ بِصِدْقِ نُبُوَّتِهِ ، وَبِأَنَّهُ نَذِيرٌ لَنَا وَبَشِيرٌ بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ، فَكَمَا رَأَيْنَا عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الْيَوْمَ فَسَنَرَى السَّاعَةَ غداً ، لِأَنَّ الْمُخبرَ بِهَا وَاحِدٌ ، وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ، مُحَمَّد بنُ عَبْدِ اللهِ ﷺ .

* * *



---

(١) رواه مسلم والترمذى وأبو داود .

بينة تغير نظام الخلق

مِنْ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .

لَقَدْ خَلَقَ اللهُ الْكَوْنَ عَلَى نِظَامٍ ثَابِتٍ ، وَلَكِنَّ اللهَ يُغَيِّرُ هَذَا النِّظَامَ تَأْيِيدًا لِرُسُلِهِ ، وَتَصْدِيقاً لَهُمْ .

وَمِنْ أَمْثِلَةِ ذَلِكَ : مَا حَدَثَ لِرَسُولِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَهِيَ بَيِّنَاتٌ كَثِيرَةٌ أَقْنَعَتِ الْكَثِيرَ مِنَ النَّاسِ ، بِصِدْقِ رِسَالَتِهِ وَنُبُوَّتِهِ ، وَمِنْهَا :

١ ـ انْشِقَاقُ القَمرِ :

نِظَامُ الْخِلْقَةِ الثَّابِتِ هُوَ أَنَّ الْقَمَرَ جِسْمٌ وَاحِدٌ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى شَقِّهِ نِصْفَيْنِ أَحَدٌ إِلَّا اللهُ ، وَلَكِنَّ الْكُفَّارَ لَمَّا كَذَّبُوا مُحَمَّداً ﷺ وَطَالَبُوهُ بِآيَةٍ تُصَدِّقُهُ شَقَّ اللهُ لَهُ الْقَمَرَ نِصْفَيْنِ ، فَقَالَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصلاة والسلام : « اشْهَدُوا » ، فَقَالَ الكَافِرُونَ : سَحَرَنا مُحَمَّدٌ ، وَلَمْ يُكَذِّبُوا الآيَةَ الَّتِى شَاهَدُوهَا فَأَنْزَلَ اللهُ قَوْلَهُ :

﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾[١ ، ٢] .

٢ ـ الإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ :

شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَ رَسُولَهُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَلَمْ يُعَرِجْ بِهِ مِنْ مَكَّةَ ، بَلْ أُسْرِىَ بِهِ مِنْهَا لَيْلاً ، إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ مِنْ

---

(١) سورة القمر : الآية « ١ » .

(٢) روى الحديث أحمد ، ومسلم ، واللفظ للطبرى .

بَيْتِ الْمَقْدِسِ .

وَقَدْ كَانَ فِى إِسْرَائِهِ الدَّلِيلَ لِلْكُفَّارِ عَلَى صِدْقِهِ ، لأَنَّهُمْ كَذَّبُوا الرَّسُولَ ، ثُمَّ امْتَحَنُوا صِدْقَهُ ، فَسَأَلُوهُ عَنْ وَصْفِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَم يَرَهُ مِنْ قَبْلُ ، فَوَصَفَهُ حَجَراً حَجَرَاً ، فَسَأَلُوه عَنْ قَافِلَةٍ لَهُمْ فِى الطَّرِيقِ ، فَحَدَّدَ مَكَانَهَا ، وَعَدَّدَ رِجَالَهَا ، وَمِنْ أَىِّ الْقَبَائِلِ هُمْ ، ووَصفَ الإِبِلَ ، وَذَكَرَ وَصْفَ الجَمَلِ الَّذِى يَتَقَدَّمُ الْقَافِلَةَ وَمَا يَحمِلُ ، بَلْ وحَدَّدَ الزَّمَنَ الَّذِى تَصِلُ فِيهِ القَافِلَةُ ، فَوَصَلَتْ فِى الْمَوْعِدِ الَّذِى حَدَّدَهُ ، فكَان فِى ذَلِكَ كُلِّهِ دَلِيلٌ عَلَى إِسْرَائِهِ ، وَكَانَ الإِسْرَاءُ دَلِيلاً عَلَى الْمِعْرَاجِ فِى السَّمَاءِ ، وَذَكَرَ الْقُرْآنُ الإِسْرَاءَ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ **سُبْحٰنَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ** ﴾[1] ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ عَنِ المِعْرَاجِ : ﴿ **أَفَتَمْرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَى** ﴾[2] وَكَانَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ مِنْ آيَاتِ اللهِ الَّتِى رَآهَا عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام.. إِنَّ الإِسْرَاءَ والْمِعْرَاجَ خَرْقٌ لِنِظَامِ الْخِلْقَةِ، وَقَدْ جَعَلَهُ اللهُ تَصْدِيقاً لِرَسُولِهِ .

٣ ــ الرِّيَاحُ والْجُنُودُ الَّتِى لَا تُرَى تُقَاتِلُ مَعَ الرَّسُولِ وَصَحْبِهِ :

لَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ فِى جَانِبٍ مِنَ الْخَنْدَقِ الَّذِى حَفَرُوه حَوْلَ الْمَدِينَةِ لِمَنْعِ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهَا،وَكَانَ الْكُفَّارُ فِى الْجِهَةِ الأُخْرَى مِنَ الخَنْدَقِ ، فَإِذَا بِرِيَاحٍ شَدِيدَةٍ وَجُنُودٍ لَا تُرَى ، تُطْفِىءُ نَارَ الْكَافِرِينَ وَتُكْفِىءُ قُدُورَهُمْ ، وَتَهْدِمُ

(١) سورة الإسراء : الآية « ١ » .

(٢) « أفتمارونه » : أى تجادلونه . « رآه » أى رأى جبريل على صورته عند سدرة المنتهى التى تنتهى إليها علوم الخلائق ، وهى فى السماء السابعة عن يمين العرش . « جنة المأوى » : هى التى تأوى إليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين . « يغشى السدرة » : يغطيها ويسترها . « ما زاغ البصر » أى ما مال عن ما أمر برؤيته . « ما طغى » : أى ما جاوز النظر إلى غير ما أمر برؤيته . « آيات ربه الكبرى » : أى الآيات العظام ، منها : أنه رأى جبريل على صورته وله ستمائة جناح . ورأى الجنة والنار . ورأى الملائكة على اختلافهم فى خلقهم وفى عبادتهم ، فمنهم الساجد ، ومنهم الراكع ، ومنهم القائم ، يسبحون بحمد ربهم لا يتعبون ولا يفترون . سورة النجم : الآيات « ١٢ ــ ١٨ » .

بِناءَهُمْ ، وَتَقْتَلِعُ خِيَامَهُمْ ، وَتُشَرِّدُ خَيْلَهُمْ وَجِمَالَهُمْ ، وَإِذَا بِالْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ أَمَاكِنَ بَعِيدَةٍ ، وَحَاصَرُوا الْمُسْلِمِينَ لَيَالِي طَوِيلَةً ، يُطْرَدُونَ رَغْمَ أُنُوفِهِمْ ، وَيَعُودُونَ خَائِبِينَ ، وَأَصْبَحَ الْمُسْلِمُونَ يُرَدِّدُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَوْلَهُ : « الْحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ ، صَدَقَ وَعْدَهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ » .. وَفِي ذَلِكَ نَزَلَ قَوْلُ اللهِ سُبْحَانَهُ فِي سُورَةِ الأَحْزَابِ : **﴿ يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً ﴾**(١) .

٤ ــ النُّعَاسُ والمطرُ والْمَلَائِكَةُ تَنْزِلُ لتأْيِيدِ المُسْلِمِينَ :

تَوَجَّه الْمُسْلِمُونَ لِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ فِي بَدْرٍ ، وَهُمْ خَائِفُونَ لِقِلَّتِهِمْ ، وَضَعْفِهِمْ ، فَأَنْزَلَ اللهُ النُّعَاسَ أَمَاناً لَهُمْ ، واحْتَلَم بَعضُهُمْ ، فَأَخَذَ الشَّيْطَانُ يُوَسْوِسُ لَهُمْ ، وَيُخَوِّفُهُمْ مِنَ الْمَوْتِ ، وَهُمْ جُنُبٌ ، لِيَرُدَّهُمْ عَنِ الْمَعْرَكَةِ ، فَأَنْزَلَ اللهُ مَاءً لِيَغْتَسِلُوا بِهِ ، وَلِيُثَبِّتَ الرِّمَالَ بِهِ تَحْتَ أَقْدَامِهِمْ عِنْدَ سَيْرِهِمْ إِلَى الْمَعْرَكَةِ ، ثُمَّ نَزَلَتْ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ اللِّقَاءِ بَيْنَ الْجَيْشَيْنِ فَهُزِمَ الْكُفَّارُ هَزِيمَةً نَكْرَاءَ فِي أَوَّلِ مَعْرَكَةٍ بَيْنَ الْكُفَّارِ والْمُسْلِمِينَ .. وفى ذَلكَ نَزلَ قَوْلُه تَعَالَى : **﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِّنْ السَّمَاءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلأَقْدَامَ * إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا ٱلَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾**(٢) .

٥ ــ جُنُودُ اللهِ تَنصُرُ مُحَمَّداً عَلَى الْكَافِرِينَ أَثْنَاءَ الْهِجْرَة :

قَرَّرَتْ قُرَيْشٌ قَتْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ فَأَحَاطَ شَبَابُهَا بِدَارِه ، لَكِنَّ رَسُولَ اللهِ

---

(١) سورة الأحزاب : الآية « ٩ » .

(٢) « يغشيكم » : أى جعله غاشياً عليكم كالغطاء . « أمنة » : أمناً من الله وتقوية لكم . « رجز الشيطان » : أى وسوسته وتخويفه إياكم . « وليربط » يشد على قلوبكم ويقويها باليقين . « الرعب » : الخوف والفزع والانزعاج . « كل بنان » كل الأطراف أو كل مفصل . سورة الأنفال : الآيتان « ١١ ، ١٢ » .

خَرَجَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَقَدْ أَغْشَى اللهُ أَبصَارَهُمْ ، واخْتَفَى فِي غَارِ حِرَاء وصَاحِبَه أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيق ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ــ يَخْشَى أَنْ يَنْظُرَ الكفَّارُ الَّذِينَ يُطَارِدُونَهُمْ إِلَى دَاخِلِ الْغَارِ فَيَكْتَشِفُونَهُمَا وَلَكِنَّ جُنودَ اللهِ صَرَفَتْهُمْ عَنِ النَّظَرِ إِلَى دَاخِلِ الْغَارِ .

وَطَارَدَ الْفَارِسُ الْمُدرَّبُ سُرَاقَةُ بنُ مَالِكٍ الرَّسُولَ وَصَاحِبَهُ بَعْد خُرُوجِهِمَا مِنَ الْغَارِ ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهُمَا سَاختْ قَوَائِمُ فَرَسِهِ فِي الرِّمَالِ ، حَتَّى لَامَسَتْ بَطْنُ الْفَرَسِ الأَرْضَ ، وَسَقَطَ مِن فَوْق فَرَسِهِ ، فَأَخَذَ سُرَاقَةُ يَطْلُبُ مِنْ رَسُولِ اللهِ الأَمَانَ . وَإِلَى هَذَا تُشِيرُ الآيَةُ : ﴿ **إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾(١) .

سؤَالٌ وَجَوَابٌ :

قَدْ يَسْأَلُ سَائِلٌ فَيَقُولُ : وَكَيْفَ أَجْعَلُ إِيمَانِي بِوُقُوعِ هَذِهِ الْخَوَارِقِ كَإِيمَانِ مَنْ شَاهَدَهَا ؟! وَالْجَوَابُ : بِالتَفكُّرِ فِي الأَمْرِ ، وَاستِخْدَامِ الْعَقْلِ نَصِلُ إِلَى هَذَا الإِيمَانِ ، فَمَثَلاً خَارِقَةُ الرِّيَاحِ وَالْجُنُودِ الَّتِي لَمْ تُرَ ، وَخَارِقَةُ انْشِقَاقِ الْقَمَرُ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْخَوَارِقِ ، لَقَدْ وَقَعَتْ هَذِهِ الْخَوَارِقُ أَمَامَ مِئَاتِ وَآلَافِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ ، ثُمَّ نَزَلَ قُرْآنٌ سَجَّلَ هَذَا الَّذِي وَقَعَ ، وَسَمِعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَسَمِعَهُ الْكَافِرُونَ ، فَصَدَّقَ الْمُسْلِمُونَ مَا ذَكَرَهُ الْقُرْآنُ مِنْ وُقُوعِ تِلْكَ الْخَوَارِقِ أَمَامَهُمْ ، فَثَبَتُوا عَلَى إِيمَانِهِمْ ، وَعِبَادَتِهِمْ ، وَجِهَادِهِمْ ، وَصَدَّقَ الْمُشْرِكُونَ بِمَا حَدَثَ ، فَلَمْ يُكَذِّبُوه ، بَلْ فَسَّرُوا الانْشِقَاقَ وَبَاقِي الْخَوَارِقِ بِأَنَّهُ سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ، ثُمَّ تَحَوَّلُوا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الإِيمَانِ وَالإِسْلَامِ وَأَصْبَحُوا هُمْ الْحَمَلَةَ لِهَذَا الدِّينِ إِلَى مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا .

وَلَقَدْ حَفِظَ اللهُ الْقُرْآنَ مِنْ كُلِّ تَبْدِيلٍ وَتَحْرِيفٍ ، فَأَنْتَ تَرَى أَن النُّسْخَةَ

---

(١) « السكينة » : هى الطمأنينة . « أيده » : أى قواه . سورة التوبة : الآية : « (٤٠) » .

من الْقُرْآنَ الْمَوْجُودَةَ فِى أَمْرِيكَا ، وَالصِّين وَالْهِنْدِ ، وَرُوسْيَا ، وَأُورِبَا ، وَأَفْرِيقيا ، هِىَ نَفْسُ النُّسْخَةِ الَّتِى كَانَ يَقْرَأُهَا الآباءُ ، وَالأَجْدَادُ فِى مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا ، وَهِىَ نَفْسُ النُّسْخَةِ الَّتِى نَزَلَتْ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولُ اللهِ وَبِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّ الْخَوَارِقَ الْبَيِّنَةَ سُجِّلَتْ فِى أَعْظَمِ سِجِّلٍ أَجْمَعَ النَّاسُ عَلى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ وَأَزْمَانِهِمْ عَلَى صِحَّةِ سَنَدِهِ .

وَلَوْ أَنَّ القُرْآنَ أَخْبَرَ بِأَنَّ حَادِثَةً وَقَعَتْ لِلنَّاسِ وَهِىَ لَم تَقَعْ ، مِثْلَ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ أَوْ تَسْلِيطِ الرِّيَاحِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِى غَزْوَةِ الأَحْزَابِ ، لَكَذَّبَ بِهَا الْكَافِرُونَ وَالْمُسْلِمُونَ ، وَعِنْدَئِذٍ لَا يَبْقَى أَحَدٌ عَلَى الإِسْلَامِ لَكِنَّ الَّذِى حَدَثَ هُوَ الْعَكْسُ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَا سَجَّلَهُ الْقُرْآنُ هُوَ الْحَقُّ الَّذِى وَقَعَ وَشَاهَدَهُ وَصَدَّقَهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْكَافِرُونَ وَحَفِظَهُ اللهُ لَنَا فِى الْقُرْآنِ بِدُونِ تَحْرِيفٍ أَوْ تَبْدِيلٍ .



بينة تغير نظام الخلق

مِنَ الْحَدِيثِ الشَـرِيفِ :

وقَدْ حَفِظَ الْمُسْلِمُونَ أَقْوَالَ رَسُولِهِمْ ، وَأَعْمَالَهُ وَتَقْرِيرَاتِهِ ، وَحَفِظُوا أَوْصَافَهُ الخُلُقِيَّةَ وَالْجسَدِيَّةَ ، وَكُلَّ مَا يَتَّصِلُ بِهِ ، وَوَصَفُوا الْخَوَارِقَ الَّتِى أَجْرَاهَا اللهُ عَلَى يَدِهِ ، والَّتِى كَانَتْ سَبَبَاً فِى إِسْلَامِ الْكَثِيرِ مِنْهُمْ ، وَتَنَاقَلُوا ذِكْرَهَا جيلاً بَعْدَ جِيلٍ ، وَانْبَرَى عُلَمَاءُ الْحَدِيثِ يُدَقِّقُونَ فِى الرِّوَايَاتِ فِى كُلِّ جِيلٍ ، ويَضْبْطُونَ الألْفَاظَ ، وَيتَحَرَّوْنَ السَّنَدَ .

وَلقدْ حَدَثَتْ خَوارِقُ كَثِيرةٌ عَلَى يَدِ رسُولِ الله ﷺ ذُكِرَتْ فِى كُتُبِ الْحَدِيثِ ، نَذْكُرُ مِنْهَا الخَوارِقُ التَّالِيَةُ :

١ ـــ تَكْثِيرُ الْمَـــاءِ الْقَلِيلِ :

كانَ الْمُسْلِمُونَ بِحَاجَةٍ إِلَى مَاءٍ وهُمْ فِى الْمَدِينَةِ للوضُوءِ ، قَالَ أَنَسٌ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـــ : « أُتِىَ النَّبِىُّ ﷺ بِإِنَاءٍ ، وَهُوَ بالزَّوراءِ مَعَ أُصْحَابِهِ ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِى الإِنَاءِ ، فَجَعَلَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ، فَتَوَاضَّأَ الْقَوْمُ ، قَالَ قَتَادَةُ : قُلْتُ لِأَنَسٍ كَمْ كُنْتُمْ ؟ قَالَ : ثلاثمائة »(١) .

وَحَدَثَ مِثْلُ هَذَا والرَّسُولُ مُسَافِرٌ مَعَ سَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ . رواه البخارى .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

وَحَدَثَ مِثْلُ هَذَا فِي الْحُدَيْبِيَةِ والْمُسْلِمُونَ أَلْفٌ وَأَرْبَعِمَائة ــ رواه البخارى ــ فَزَادَ مَاءَ الْبِئْرِ .

وَحَدَثَ مِثْلُ هَذَا أَيْضاً فِي سَفَر الرَّسُولِ ﷺ مَعَ أَصْحَابِهِ ، عِنْدَمَا مَسَحَ عَلَى مَزادَتَىْ امْرَأَةٍ كَانَتَا فَارِغَتَيْنِ مِنَ الْمَاءِ ، فَامْتَلأَتَا فَشَرِبَ الْمُسْلِمُونَ وَكَان عددُهُمْ أَرْبَعِينَ رَجُلاً ، ثُمَّ مَلأَكُلّ قربَتَهُ فَعَادَتِ الْمَرْأَةُ تَقُولُ : لَقِيتُ أَسْحَرَ النَّاسِ أَوْ هُوَ نَبِيٌّ كَمَا يَقُولُونَ ، فَأَسْلَمَ قَوْمُها(١) .

٢ ــ تكثيرُ الطَّعَامِ القليل :

كَانَ الرسُولُ ﷺ جَائِعاً ، فَجَاءَهُ أَبُو طَلْحَةَ بِبِضْعَةِ أَقْرَاصٍ مِنْ شَعِيرٍ ، فَأَمَر الرَّسُولُ بِفتِّهَا ودعَا اللهَ ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا عَشَرَةً عَشَرَةً ، حَتَّى شَبعَ الْجَمِيعُ ، وَكَانَ عَدَدُهُم سَبْعِينَ أَوْ ثَمَانِينَ رَجُلاً .

وَاشْتَدَّ الجُوعُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وهُمْ يَحْفُرُونَ الْخَنْدَقَ ، فَذَبَحَ جَابِرٌ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ــ شَاةً لِرَسُولِ اللهِ وَبَعْضِ أَصْحَابِهِ ، فَنَادَى الرَّسُولُ ــ عَلَيْهِ وَعَلَى آله الصَلاَةُ وَالسَّلاَمُ ــ أَهْلَ الْخَنْدَقِ وَكَانُوا أَلْفاً ، فَبَارَكَ اللهُ اللَّحْمَ ، والخُبْزَ ، حَتَّى شَبِعُوا جَمِيعاً(٢) .

فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ ، وَفِي غَزْوَةِ تَبُوك ، أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِمَجَاعَةٍ فاسْتَأْذَنُوا الرَّسُولَ أَنْ يَذْبَحُوا الإبِلَ ، فَاقْتَرَحَ عُمَرُ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ــ أَنْ يَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ بَقَايَا طَعَامِهِمْ وَيَدْعُو الرَّسُولُ بِالْبَرَكَةِ ، فَوَافَقَ الرَّسُولُ ﷺ عَلَى هَذا ، فَبَارَكَ اللهُ لَهُمْ فِي الطَّعَامِ ، فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي العَسْكَرِ وِعَاءً إِلَّا ملأوه(٣). فَقَالَ الرَسُولُ ﷺ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ .

---

(١) رواه البخارى .
(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه مسلم .

٣ ــ حَنِينُ جِذْعِ النَّخْلَةِ وَتَسْبِيحُ الطَّعَامِ :

لَمَّا تَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الاسْتِنَادَ فِى خُطْبَةِ الجُمُعَةِ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ، الَّذِى كَانَ يَسْتَنِدُ إِلَيْهِ ، بَعْدَ أَنْ صُنِعَ لَهُ المِنْبَرُ ، حَنَّ الْجِذْعُ كَحَنِينِ النَّاقَةِ ، حَتَّى كَادَ يَتَصَدَّعُ ، فَجَاءَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ، وَضَمَّهُ حَتَّى سَكَنَ(١).

وَرَوَى الْبُخَارِى وَالتِّرْمِذِىُّ : أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانُوا يَسْمَعُونَ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ بِحَضْرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ .

٤ ــ حِمَايَةُ الرَّسُولِ مِنْ أَعْدَائِهِ :

أَقْسَمَ أَبُو جَهْلٍ ؛ أَنْ يَطَأَ رَقَبَةَ مُحَمَّد بِقَدَمِهِ إِذَا رَآهُ يُصَلِّى ، فَرَآهُ يُصَلِّى فَذَهَبَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيُنَفِّذَ وَعْدَهُ ، فَعَادَ عَلَى عَقِبِهِ وَهُوَ يَتَّقِى بِيَدَيْهِ ، فَقِيلَ لَهُ : مَالَكَ ؟ قَالَ : إِنَّ بَيْنِى وَبَيْنَهُ لخَنْدَقاً مِنْ نَارٍ وَهَوْلاً وَأَجْنِحَةً .

وَتَآمَرَتْ يَهُودِيَّةٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَدَسَّتِ السُّمَّ فِى شَاةٍ قَدَّمَتْهَا لِرَسُولِ اللهِ فَعَلِمَ أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ فَمَجَّهَا ، بَيْنَمَا أَصَابَ السُّمُّ بَعْضَ أَصْحَابِهِ .

٥ ــ إِخْبَارُهُ بِالْغَيْبِ :

لَقَدْ أَخبَرَ الرَّسُولُ ﷺ أَصْحَابَهُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ فِى حَيَاتِهِ ، وَبَعْدَ مَوْتِهِ ، إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ .

لَقَدْ كَانَ سَبَبُ إِسْلَامِ شَعْبِ الْيَمَنِ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ ، أَخْبَرَ الْفُرْسَ وَاليَمَنِيِّينَ بِأَنَّ مَلِكَ الْفُرْسِ قَدْ قَتَلَهُ اللهُ انْتِقَاماً لِرَسُولِهِ ــ عليه وَآلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام ــ وَحَدَّدَ الرَّسُولُ اللَّيْلَةَ الَّتِى قُتِلَ فِيهَا كِسْرَى مَلِكُ الْفُرْسِ ، فَكَانَ هَذَا سَبَباً فِى إِسْلَامِ شَعْبِ اليَمَنِ وَإِسْلَامِ الفُرْسِ الَّذِينَ كَانُوا فِى اليَمَنِ ، وَدَخَلَ الْجَمِيعُ فِى دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً .

---

(١) رواه البخارى والنسائى والترمذى .

البشارات فى الكتب السابقة

لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَزْعُمَ أَنَّ مُحَمَّداً ﷺ هُوَ الَّذِى كَتَبَ لِلْيَهُودِ ، وَالنَّصَارَى ، وَالْمَجُوسِ ، والْهنْدُوسِ فِى كُتُبِهِمُ المُقَدَّسَةِ : أَوْصافَهُ ، واسْمَهُ ، وَأَوْصَافَ زَمَنِه ، وَبِلَادَهُ الَّتِى تَشْهَدُ لَهُ ، بِأَنَّهُ رَسُولٌ مِنْ عِنْدَ اللهِ . لِأَنَّ ذَلِكَ قَدْ كُتِبَ فِى كُتُبِهِمْ قَبْلَ وِلَادَتِهِ بِقُرُونٍ كَثِيرَةٍ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَإِنَّهُ لَفِى زُبُرِ الْأَوَّلِينَ** ﴾(١) .

وَلَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ البِشَارَاتُ سَبَباً فِى إِقْنَاعِ أَجْيَالٍ مِنَ النَّصَارَى ، وَالْمَجُوسِ ، والْيَهُودِ ، والْهُنْدُوسِ ، إِلَّا أَنَّ الَّذِينَ أَصَرُّوا عَلَى عَدَاوَة مُحَمَّدٍ ﷺ قَامُوا بِالتَّحْرِيفِ ، وَالتَّبْدِيلِ لِهَذِهِ البِشَارَاتِ ، وَبِرَغْمِ ذَلِكَ لَا تَزَالُ فِى كُتُبِهِمْ بِشَارَاتٌ ، تَشْهَدُ بِصِدْقِ رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا ، وَمِنْ تِلْكَ البِشَارَاتِ :

فِى التَّوْرَاةِ :

جَاءَ فِى التَّوْرَاةِ : أَنَّ نَبِيًّا سَيَظْهَرُ فِى مَكَّةَ ، « الدِّيَار الَّتِى سَكَنَهَا قَيْدَارُ » وَهُوَ أَحَدُ أَبْنَاءِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السلام ، وَقَيْدَارُ سَكَنَ مَكَّةَ ، كَمَا تَحْكِى التَّوْرَاةُ ذَلِكَ ــ وَأَنَّ اسْمَهُ يَرْتَفِعُ فِيهَا ، وَأَنَّهُ يَرْكَبُ الْجَمَلَ ، وَأَنَّهُ يُحَارِبُ بِالسَّيْفِ ، وَأَنَّهُ يَنْتَصِرُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، وَأَنَّهُ يُبَارَكُ عَلَيْهِ فِى كُلِّ يَوْمٍ ، « وَهَذَا مَا يَفْعَلُهُ الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ التَّشَهُّدِ » ، وَأَنَّ مُلُوكَ الْيَمَنِ تَأْتِيهِ بِالْقَرَابِينَ ، وَأَنَّ عَلَامَةَ سُلْطَانِهِ عَلَى كَتِفِهِ بِقَدْرِ بَيْضَةِ الْحمَامِ « وَهَذِهِ الْعَلَامَةُ كَانَتْ عَلَى كَتِفِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهَذِهِ أَوْصَافٌ لَا تَنْطَبِقُ إِلَّا عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ .

---

(١) « زبر الأولين » : أى كتب الأولين . سورة الشعراء : الآية « ١٩٦ » .

كَمَا جَاءَ فِي التَّوْرَاةِ : أَنَّ اللهَ تَجَلَّى عَلَى النَّاسِ فِي أَمَاكِنَ ثَلاثَةٍ ، وَهِيَ :

سِيْنَاءَ ، حيثُ أُعْطِيَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ التَّوْرَاةَ .

سَاعِير « جِبَال فى فَلَسْطِينَ » ، حيثُ أُعْطِيَ الإنْجيلُ لِعِيسَى عَلَيْهِ السلام .

مَكَّةَ « فَارَان » ، حَيْثُ نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ .

تَقُولُ التَّوْرَاةُ الَّتِي بَيْنَ يَدَى الْيَهُودِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا : « جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سَيْنَاءَ ، وَأَشْرَقَ لَنَا مِنْ سَاعِيرَ ، وَتَلَأْلأَ مِنْ جَبَلِ فَارَان » ، وَفَارَانُ هُوَ الاسْمُ الْقَدِيمُ لِمَكَّةَ . كَمَا تَذْكُرُ التَّوْرَاةُ نَفْسُهَا فِي سِفْرِ التَّكْوِينِ « ٢١ : ٢٢ » .

وَقَدْ أَشَارَ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ ، إِلَى أَنَّ الْقُرْآن قَدْ أَشَارَ إِلَى هَذِهِ الأَمَاكِنِ الثَّلاثَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۞ وَطُورِ سِينِينَ ۞ وَهَذَا ٱلْبَلَدِ ٱلأَمِينِ** ﴾[1] .

التِّين والزَّيتُون : إشَارَةٌ إِلَى مَنابِتِهَا فِي فَلسْطِينَ .

طُور سِينِينَ : سَيْنَاءُ .

هَذَا الْبَلَدِ الأَمِين : مَكَّة .

فِي الإنْجِيـــل :

جَاءَ فِي إِنْجِيلِ بَرْنَابَاً ، فِي البَابِ « ٢٢٠ » : أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، **قَالَ لِأَتْبَاعِهِ** : « وَسَيَبْقَى هَذَا إِلَى أَنْ يَأْتِيَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ الَّذِى مَتَى جَاءَ كَشَفَ هَذَا الْخِدَاعَ لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِشَرِيعَةِ اللهِ » .

وَجَاءَ فِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا : أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السلام ، أَخْبَرَ قَوْمَهُ بالنَّبِى الَّذِى سَيَأْتِى بَعْدَهُ ، فَقَالَ : « إِنَّ لِى أُمُورَاً كَثِيرَةً ، أَيْضَاً لا أَقُولُ لَكُمْ ، وَلَكِنْ لَا تَسْتَطِيعُونَ الآنَ أَنْ تَحْتَمِلُوا ، وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ رُوحُ الْحَقِّ فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى

---

(١) سورة التين الآيات « ١ ، ٢ ، ٣ » .

جَمِيعِ الْحَقِّ لأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ » .

وَمُحَمَّدٌ ﷺ هُوَ الَّذِى جَاءَ بَعْدَ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـــ وَتَكَلَّم بِالْوَحْيِ ، وَأَخْبَرَ النَّاسَ بِالْغَيْبِ الَّذِى سَيَأْتِى .

وَقَالَ أحدُ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ مِنَ النَّصَارَى ، هُو الأَبُ عبْدُالأَحَدِ داود الآشُورِى ، فى كِتَابِهِ (الإِنْجِيلُ والصَّلب) : إِنَّ الْعِبَارَةَ الَّتى يُرَدِّدُهَا النَّصَارَى الآنَ « الْمَجْدُ للهِفى الأَعَالِى وعَلَى الْأَرضِ السَّلَامُ وبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ » لَمْ تَكُنْ هَكَذَا مِنْ الْأَوَّل بَلْ كَانَتْ : « المجدُ للهِ فى الْأعالى وعلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ وللنَّاسِ أحمَدُ » ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَابَنِى إِسْرَائِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى ٱسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِالْبَيِّنَٰتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ** ﴾[1]

* * *

فِى كُتُبِ الهُنْدُوسِ :

جَاءَ فِى كِتَابِ السَّامَافِيدَا : وَهُوَ كِتَابٌ مُقَدَّسٌ عِنْدَ الْبَرَاهِمَةِ فِى الْهِنْدِ فِى الْفَقْرَةِ السَّادِسَةِ وَالثَّامِنَةِ مِنَ الْجُزْءِ الثَّانِى ، مَا نَصُّهُ : « أَحْمَدُ تَلَقَّى الشَّرِيعَةَ مِنْ رَبِّهِ وَهِىَ مَمْلُوءَةٌ بِالْحِكْمَةِ » .

وَجَاءَ فِى كِتَابِ « ادروافيدم » وَهُوَ كِتَابٌ مقدَّسٌ عِنْدَ الهُنْدُوسِ ـــ : « أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا وَعُوا يُبْعَثُ الْمُحَمَّدُ[2] بَيْنَ أَظْهُرِ النَّاسِ ، وَعَظَمتُهُ تُحْمَدُ حَتَّى فِى الْجَنَّةِ ، وَهُوَ المَحَامِدُ »[3] .

وَجَاءَ فِى كِتَابِ « بهوش برانم » مِنْ كُتُبِ الْهُنْدُوسِ المُقَدَّسَةِ : « فِى ذَلِكَ

(١) سورة الصف : الآية « ٦ » .
(٢) المحمد : أى محمد .
(٣) المحامد : أى محمد .

الْحِينِ يُبْعَثُ أَجْنَبِيٌّ مَعَ أَصْحَابِهِ بِاسْمِ مَحَامِد[1] الْمُلَقَّبُ بِأُسْتَاذِ الْعَالَم[2] والْمَلِكُ يُطَهِّرُهُ بِالْخَمْسِ الْمُطَهَّرَةِ »[3] ــ الجزء : ٢ ــ فصل ٣ عبارات ٣ وما بعدها[4] .

فِي كُتُبِ الْمَجُوس :

جَاءَ فِي كِتَابِ « زِنْدَا أفستا » « أَنَّ اللهَ سَيَبْعَثُ رَسُولاً هَذَا وَصْفُهُ : رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ ، وَيَتَصَدَّى لَهُ عَدُوٌّ يُسَمَّى أَبَا لَهَبٍ ، وَيَدْعُو إِلَى إِلٰهٍ ، وَاحِدٍ » . وصَدَقَ اللهُ القَائِلُ : ﴿ **آلَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ آلْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ** ﴾[5] واليَهُودُ وَالنَّصَارَى هُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ ، والهُنْدُوسُ والْمَجُوسُ أَمَرَ الرسُولُ ﷺ أَنْ نَسُنَّ بِهِمْ سُنَّةَ أَهلِ الْكِتَابِ ، غَيْرَ آكِلِي ذَبَائِحِهِمْ وَلَا نَاكِحِي نِسَائِهِمْ ، لأنه ــ والله أعلم ــ قَدْ تَطَاوَلَ الْعَهْدُ عَلَى كُتُبِهِمْ ، وَكَثُر فِيهَا التَّحْرِيفُ ، وَلَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ البَشَارَاتُ وغَيْرُهَا سَبَباً فِي إِسْلَامِ الْكَثِيرِ مِنْ أَسْلَافِ الْيَهُودِ ، والنَّصَارَى ، والْمَجُوسِ ، والهُنْدُوسِ .



(١) محامد : أى محمد ولكنه التحريف .

(٢) أستاذ العالم : أى رسول للعالمين .

(٣) الخمس المطهرة : الصلوات الخمس .

(٤) من كتاب التيارات الخفية فى الديانات الهندية القديمة لمؤلفه « تى محمد » .

(٥) سورة البقرة : الآية « ١٤٦ » .

شهادة احواله بصدق نبوته ﷺ

مَا مِنْ شَخْصٍ يَتَصَدَّى لأَمْرِ النَّاسِ إِلَّا وسلَّطَ النَّاسُ أَنْظَارَهُمْ عَلَيْهِ لِدِرَاسَةِ أَحْوَالِهِ ، فَمَا تَمُرُّ الأَعْوَامُ إِلَّا وَقَدْ انْكَشَفَ عَلَى حَقِيقَتِهِ ، وَخاصةً إذَا تَقَلَّبَ بَيْنَ أَوْضَاعِ الضَّعْفِ وَالْقُوَّةِ ، والْخَوْفِ والأَمْنِ ، والْفَقْرِ وَالْغِنَى ، وقِلَّةِ الأَتْبَاعِ وَكَثْرَتِهِمْ ، والشِّدَةِ والرَّخَاءِ ، كَمَا حَدَثَ فِي حَيَاةِ مُحَمَّدٍ ﷺ . وَإِذَا تَأَمَّلْنَا أَحْوَالَه وَجَدْنَاهَا تَشْهَدُ بِأَنَّهَا أَحْوَالٌ لَا تَكُونُ إِلَّا لِنَبِيٍّ ، وَمِنْ أَبْرَزِ هَذِهِ الأَحْوَالِ :

١ ـ الصِّـدْقُ :

لَقَدْ شَهِدَ لَهُ قَوْمُهُ بِالصِّدْقِ فَسَمَّوهُ قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَهُ اللهُ بِالرِّسَالَةِ « الصَّادِق الأَمِين » وَلَقَدْ قَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ : إِنَّا لَا نُكَذِّبُكَ ، وَلَكِنْ نُكَذِّبُ مَا جِئْتَ بِهِ(١) فَأَنْزَلَ اللهُ قَوْلَهُ : ﴿ **فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ** ﴾(٢) وَلَقَدْ عُرِفَ عَنْهُ الصِّدْقُ فِي كُلِّ أُمُورِهِ حَتَّى فِي مِزَاحِهِ ﷺ الأَمْرُ الَّذِى لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا لِنَبِيٍّ مُرْسَلٍ .

٢ـ الالتزامُ الكَامِلُ بِمَا يدعُو النَّاسَ إِلَيْهِ :

إِنَّ النَّفسَ الْبَشَرِيَّةَ تَكْرَهُ أَنْ يُفْرَضَ عَلَيْهَا قُيُودُ الالْتِزَامِ ، وَخَاصَّةً إِذَا وَصَلَتْ إِلَى دَرَجَةِ التَّمَكُّنْ فِي الْمُجْتَمَعِ ، وَإِذَا تَأَمَّلْنَا حَالَ رَسُولِ الله ﷺ وَجَدْنَا أَنَّ حَالَهُ يَشْهَدُ بِأَنَّهُ أَتْقَى النَّاسِ ، وَأَكْمَلُهُمْ خُلُقاً ، وَأَعْظَمُهُمْ عِبَادَةً ، كَانَ يَصُومُ

(١) أخرجه الترمذى ، وقال ابن كثير : ورواه الحاكم من طريق إسرائيل عن أبى إسحاق . ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .
(٢) سورة الأنعام : الآية « ٣٣ » .

حتَّى يَقُولَ أَهْلُهُ لا يُفْطِرُ ، وَكَانَ يَقُوم اللَّيْلَ فِى صَلَاتِـهِ حتَّى تَفطَّرتْ قَدَمَاهُ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِىَ اللهُ عَنْهَا : لِمَ تَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غفرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ ؟ فقَالَ : « أَفَلا أَكُونُ عَبْدَاً شَكُوراً ؟ »(١) .

كَانَ يُنْفِقُ الْمَالَ فَلَا يُبقِى فِى بَيْتِهِ شَيْئَاً ، وَمَاتَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِىٍّ .

وَمَا حُفِظَ عَنْهُ مِنْ أَذْكَارٍ وَأَدْعِيَةٍ يَشْهَدُ أَنَّهُ كَانَ دَائِمَ الذِّكْرِ لِرَبِّهِ لَيْلاً وَنَهَاراً ، وَعِنْدَ كُلِّ عَمَلٍ مِنَ الأَعْمَالِ ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ هُوَ الرَّسُولُ ، الْمُبَلِّغُ لِدِينِ اللهِ ، قَائِدُ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ إِذَا حَمِىَ الْوَطِيسُ احْتَمَوا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَ مَضْرِبَ الْمَثَلِ فِى الشَّجَاعَةِ وَالإِقْدَامِ .. ثَبَتَ يَوْمَ حُنَيْنٍ مَعَ مِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ لِأَرْبَعَةِ آلافٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَنَصَرَهُمُ اللهُ عَلَى عَدُوِّهِم .

خَيَّرَهُ الْمُشْرِكُونَ فِى مَكَّةَ بَيْنَ إِعْطَائِهِ مَا يُرِيدُ مِنْ الْمَالِ ، وَالْجَاهِ ، والسُّلْطَانِ ، مَعَ تَرْكِ الدِّينِ ، وَبَيْنَ الْحَرْبِ ، والتَّنْكِيلِ بِهِ إِنْ أَصَرَّ عَلَى دِينِهِ ، فَاخْتَارَ أَنْ يُبَلِّغَ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ ، وَبَعْدَ أَنْ خَضَعَتْ لَهُ الدُّنْيَا ، نَزَلَ قَوْلُ اللهِ : ﴿ **يَاأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحَاً جَمِيلاً** ﴾(٢). فَاخْتَرْنَ جَمِيعَاً رَسُولَ اللهِ ، وَزَهِدْنَ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِنَّ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا .

لَقَدْ كَانَ مَثَلاً أَعْلَى لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدْلِ ، فَقَالَ : « لَوْ سَرَقَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا » (٣).

وَكَانَ مَثَلاً أَعْلَى فِى كُلِّ شَىْءٍ ، حَتَّى أَنَّكَ تَجِدُ كُلَّ أَبْنَاءِ أُمَّتِهِ يُحَاوِلُ أَنْ يَتَشَبَّهَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِى أَىِّ جَانِبٍ ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْلُغَ دَرَجَتَهُ . فَاجْتِمَاعُ الْمُثُلِ الْعُلْيَا فِى كُلِّ جَانِبٍ لَا يَكُونُ إِلَّا لِنَبِىٍّ مُرْسَلٍ ، شَهِدَ لَهُ رَبُّهُ بِقَوْلِهِ :

---

(١) متفق عليه .

(٢) سورة الأحزاب : الآية « ٢٨ » .

(٣) متفق عليه .

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[١]، وَجَعَلَهُ أُسْوَةً لِلناسِ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً ﴾[٢].

٣ ــ قِيَامُهُ بِالرِّسَالَةِ وَتَبْلِيغِ النَّاسِ :

لَقَدْ أَدَّى الرَّسُولُ حَقَّ الرِّسَالَةِ والتَّبْلِيغِ ، فَمَرَّةً بِاتِّصَالِهِ الشَّخْصِى ، وَمَرَّةً بِدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى الطَّعَامِ ، وَمَرَّةً بِعَرْضِ نَفْسِهِ عَلَى الْقَبَائِلِ صَابِرَاً ، وَالْقَبَائِلُ تَرُدُّهُ وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ ، وَمَرَّةً بِدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى الاجْتِمَاعِ ، وَمَرَّةً بالتَّصَدِّى للنَّاسِ ، وَمَرَّةً بِإِرْسَالِ الدُّعَاةِ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَمَرَّةً بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ إِلَى الْمُلُوكِ وَالأُمَرَاءِ ، وَمَرَّةً بِجِهَادِ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ، وَلَقَدْ وَاجَهَ الْكُفَّارُ هَذِهِ الدَّعْوَةَ وَأَهْلَهَا بِأَلْوَانٍ مِنَ الْقَسْوَةِ ، وَالشِّدَّةِ ، والأَذَى ، فَهَذِهِ قُرَيْشٌ تَهْزَأُ بِرَسُولِ اللهِ وَأَصْحَابِهِ ، ثُمَّ تَفْتِكُ بِبَعْضِ الْمُسْلِمِينَ حَرْقاً ، وَقَتْلاً ، وَتَعْذِيباً ، وَتُحَاصِرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ثَلاثَ سَنَوَاتٍ فِي شِعْبِ أَبِى طَالِبٍ ، حَتَّى أَكَلَ الْمُسْلِمُونَ الْجِلْدَ والشَّجَرَ وَيَشْتَدُّ الأَذى ، فَيُهَاجِرُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَرَّتَيْنِ إِلَى الْحَبَشَةِ فِرَاراً بِدِينِهِمْ ، ثُمَّ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَتآمَرَتْ قُرَيْشٌ عَلَى قَتْلِ رَسُولِ اللهِ ، وَلَكِنَّ اللهَ أَمَرَهُ بِالْهِجْرَةِ ، لِلنَّجَاةِ مَنْ كَيْدِهِمْ . بَلَّغَ مَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ حَتَّى الَّذِى فِيهِ عِتَابٌ لَهُ مِن رَبِّهِ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ ٱلأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَّا مَنْ آسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى * وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴾[٣] وَذَلِكَ بِسَبَبِ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ يَدْعُو بَعْضَ كِبَارِ الكُفَّارِ ، فَجَاءَهُ الْمُسْلِمُ الأَعْمَى ابْنُ أُمِّ مَكْتُوم يَسْأَلُهُ ، فَكَرِهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَشْغَلَهُ بِسُؤَالِهِ عَنْ دَعْوَةِ كُبَرَاءِ

---

(١) سورة القلم : الاية (٤) .

(٢) سورة الأحزاب : الآية (٢١) .

(٣) « عبس » قطب وجهه الشريف . « تولى » : أعرض . « يزكى » : أى يتطهر بتعليمك إياه من دنس الجهل . « تصدى » : أى تتعرض له بالإقبال عليه . « تلهى » : تتشاغل وتعرض . سورة عبس . الآيات « ١ ــ ١٠ » .

الْقَوْمِ الَّذِينَ إِذَا أَسْلَمُوا كَانَ إِسْلَامُهُمْ خَيرًا لِلْمُسْلِمِينَ ، فَلَمْ يَزِدْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أَنْ عَبَسَ بِوَجْهِهِ ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ أَعْمَى ، لَا يَرَى وَجْه الرَّسُولِ العَابِسِ ، فَلَا يُؤْذِيهِ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْعِتَابَ فَبَلَّغَه الرَّسُولُ كَمَا نَزَلَ(١) .

إِنَّ سَعْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانَ مُنصَبًّا فِي حَيَاتِهِ كُلِّهَا عَلى أَنْ يُبَلِّغَ مَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ أَنْ يُبَلِّغَهُ مَهْمَا كَانَتِ الْمَصَاعِبُ وَالْعَقَبَاتُ ، وَفِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ ، قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ : « أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ » فَيَشْهَدُونَ لَهُ بِأَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ إِلَيْهِمْ دِينَ اللهِ . فَيَقُولُ : « اللَّهُمَّ اشْهَدْ »(٢) . إِنَّ حَالَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِهَا تَشْهَدُ بِأَنَّ صَاحِبَ هَذِهِ الأَحْوَالِ لَا يَكُونُ إِلَّا نَبِيًّا رَسُولاً .

* * *



(١) رواه الترمذى وأبو يعلى . قال الحافظ العراق : رجاله رجال الصحيح .
(٢) رواه أحمد ومسلم .

أحوال أتباعه وأعدائه الشاهدة بصدق رسالته

أَتْبَاعُـهُ :

إِنَّ قُدْرَةَ الأُسْتَاذِ تَظْهَرُ فِى تَلَامِيذِهِ . وَمَهَارَةَ الْمُدَرِّبِ تَظْهَرُ عَلَى مَنْ دَرَّبَهُمْ ، وَصِدْقَ الرَّسُولِ يَظْهَرُ فِى أَحْوَالِ أَتْبَاعِهِ ، فَهُمْ الَّذِينَ عَاشُوا مَعَهُ ، وَرَبَّاهُمْ ، وَزَكَّاهُمْ ، وَعَلَّمَهُمْ . وَمَنْ تَأَمَّلَ فِى أَحْوَالِ الصَّحَابَةِ ، يَجِدُ مِصْدَاقَ وَصْفِ اللهِ لَهُمْ : ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾[1] ، وَلَقَدْ شَهِدَتْ شُعُوبُ الأَرْضِ فِى ذَلِكَ الزَّمَانِ لِلْمُسْلِمِينَ بِأَنَّهُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ عَرَفَتْهَا الْبَشَرِيَّةُ ، ذَلِكَ لأَنَّ الْقَاعِدَةَ فِى مُعَامَلَةِ الشُّعُوبِ والدُّوَلِ أَنَّ أَىَّ شَعْبٍ أَوْ دَوْلَةٍ تَغْزُو دَوْلَةً أُخْرَى وَشَعْبَاً آخَرَ يَنْتُجُ عَنْ هَذَا الْغَزْوِ كَرَاهِيَةٌ ، وَحِقْدٌ بَيْنَ الشُّعُوبِ . نَرَى شَاهِدَاً عَلَيْهِ إِلَى يَوْمِنَا بَيْنَ الْمُسْتَعْمِرِينَ ، وَالْمُسْتَعْمَرِينَ ، لَكِنَّ هَذِهِ الْقَاعِدَةَ نُقِضَتْ مَعَ الفَاتِحِينَ الْمُسْلِمِينَ ، الَّذِينَ سَادُوا الأَرْضَ فِى زَمَنِهِمْ ، لَقَدْ أَحْدَثَ الْفَتْحُ الإِسْلَامِى حُبًّا وَنَصْرَاً ، وَوَلاءً ، وامْتِزَاجاً بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ ، وَأَصْبَحَتْ تِلْكَ الشُّعُوبُ الْمَفْتُوحَةُ تَحْمَدُ اللهَ عَلَى أَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ هَؤُلاءِ الْفَاتِحِينَ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِذَا بَحَثْتَ عَنِ السَّبَبِ سَتَجِدُ أَنَّ الصِّرَاعَ بَيْنَ النَّاسِ يَكُونُ عَلَى الدُّنْيَا ، أَمَّا الْمُسْلِمُونَ فَقَدْ بَذَلُوا دُنْيَاهُمْ ، لِإِسْعَادِ النَّاسِ فِى الآخِرَةِ ، لأَنَّهُمْ آمَنُوا بِالآخِرَةِ حَقَّ الإِيمَانِ ، وَلأَنَّ هَذَا الإِيمَانَ وَالسُّلُوكَ كَانَا ثَمَرَةَ الاقْتِنَاعِ الكَامِلِ بِالأَدِلَّةِ الَّتِى قَدَّمَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى صِدْقِ رِسَالَتِهِ ، وَبِالسُّلُوكِ الْعَمَلِيِّ الَّذِى تَجَسَّدَ فِيهِ الإِيمَانُ فِى حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ .

أَعْـدَاؤُهُ :

بَعْدَ طُولِ الْعِنَادِ تَحَوَّلَ الأَعْدَاءُ إِلَى أَشَدِّ الأَنْصَارِ ، وَأَسْلَمَ الكَثِيرُ مِنْ أَهْلِ الكُتُبِ السَّابِقَةِ ، كُلُّ ذَلِكَ تَصْدِيقاً لِرَسُولِ اللهِ وَإِيمَاناً بِهِ .

---

(١) سورة آل عمران : الآية « ١١٠ » .

صلاح الشريعة لكل زمان ومكان

إِنَّ وَضْعَ القَوَانِين والتَّنْظِيمَاتِ لِأَيِّ شَيْءٍ ، يَتَوَقَّفُ عَلَى الْعِلْمِ بِحَقِيقَةِ مَنْ تُوْضَعُ لَهُ الْقَوَانِينُ ، وَبِالظُّرُوفِ الْمُحِيطَةِ .

وَالإِنْسَانُ يَجْهَلُ حَقِيقَةَ رُوحِهِ ، وَالمُسْتَقْبَلَ الَّذِى سَيُوَاجِهُهُ ، لِذَلِكَ عَجَزَ الإِنْسَانُ أَنْ يَضَعَ تَشْرِيعَاتٍ وَقَوَانِينَ دَائِمَةً تَصْلُحُ لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ، لَكِنَّ الْخَالِقَ سُبْحَانَهُ هُوَ العَلِيمُ بِحَقِيقَةِ خَلْقِ الإِنْسَانِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ** ﴾[1] .

وَهُوَ الْمُحِيطُ عِلْمَاً بِمَا كَانَ وَمَا سَيَكُونُ ، وَلِذَلِكَ لَا يُمْكِنُ لِبَشَرٍ أَنْ يَأْتِى بِشَرِيعَةٍ ثَابِتَةٍ مَرِنَةٍ تَتَنَاسَبُ مَعَ كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ إِلَّا إِذَا كَانَ مُرْسَلاً بِهَا مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ .

وَلَقَدْ حَكَمَ الْمُسْلِمُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا مِئَاتَ السِّنِينَ فَكَانَتْ شَرِيعَةُ الإِسْلَامِ صَالِحَةً لِلْحُكْمِ طِوَالَ القُرُونِ فِى مُخْتَلَفِ البِيئَاتِ وَالأَمَاكِنِ .

وَلَقَدْ فَرَضَتْ شَرِيعَةُ الإِسْلَامِ نَفْسَهَا فِى زَمَانِنَا هَذَا رَغْمَ ضَعْفِ أَهْلِهَا ، فَجَعَلَتْهَا الأُمَمُ الْمُتَحِدَةُ مَصْدَرَاً مِنْ مَصَادِرِ القَانُونِ الدَّوْلِى ،مَعَ أَنَّ القانُونَ الرُّوسِى أَوْ الأَمْرِيكِى لَا يُعْتَبَرُ أَىٌّ مِنْهُمَا مَصْدَرَاً مِنْ مَصَادِرِ القَانُون الدَّولِى .. وَلَقَدْ شَهِدَ خُبَرَاءُ القَانُونِ الدَّوْلِى « الأَجَانِبُ » بِأَنَّ الشَرِيعَة الإِسْلَامِيَةَ صَالِحَةٌ لِكُلِّ زَمَانٍ .

قَالَ الدُّكْتُور « إيزيكو انسابا توحين » أَحدُ عُلَمَاءِ القَانُون « إِنَّ الإِسْلَامَ يَتَمَشَّى مَعَ مُقْتَضَيَاتِ الحَاجَاتِ الظَّاهِرَةِ فَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَطَوَّرَ دُونَ أَنْ يَتَضَاءَلَ فِى خِلَالِ القُرُونِ وَيَبْقَى مُحْتَفِظاً بِكَامِلِ مَالَه مِنْ قُوَّةِ الْحَيَاةِ والمُرُونَةِ . فَهُوَ الَّذِى

(١) سورة الملك الآية « ١٤ » .

أَعْطَى لِلْعَالَمِ أَرْسَخَ الشَّرَائِعِ ثَبَاتاً وَشَرِيعَتُهُ تَفُوقُ فِي كَثِيرٍ الشَّرَائِعَ الأُورُبِيَّةَ .

أَمَّا الْمُؤْتَمَرُ الدَّولِي لِلْقَانُونِ الَّذِى انْعَقَدَ فِي « لَاهَاىْ » عَام ١٩٣٢ فَهُوَ الَّذِى طَالَبَ الأُمَمَ المُتَّحِدَةَ ، أَنْ تَجْعَلَ الشَّرِيعَةَ الإِسْلَامِيَّةَ مَصْدَرَاً مِنْ مَصَادِرِ القَانُونِ الدَّوْلِى بَعْدَ أَنْ اقْتَنَعَ خُبَرَاءُ القَانُونِ الدَّوْلِيِّينَ بِعَظَمَةِ الشَّرِيعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ . وَفَائِدَتِهَا لِلنَّاسِ فِى هَذَا الزَّمَانِ .

وَأَمَّا المُؤْتَمَرُ الدَّولِي لِلْقَانُونِ الْمُقَارَنِ الَّذِى انْعَقَدَ فِى بَارِيسَ عَامَ ١٩٥٢ م . فَقَدْ طَالَبَ مِنَ الجِهَاتِ الْقَانُونِيَّةِ ، الدَّوْلِيَّةِ أَنْ تَسْمَحَ بانْعِقَادِ المُؤْتَمرِ الدَّوْلِى لِلْفِقْهِ الإِسْلَامِي فِى كُلِّ سَنَةٍ بَدَلاً مِنْ عَقْدِهِ فِى كُلِّ عَشْرِ سَنَواتٍ وَعَلَّلُوا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ يَرْغَبُونَ أَنْ يَتَعَلَّمُوا الْفَوَائِدَ الْكَثِيرة مِنْ دِرَاسَتِهِمْ لِلشَّرِيعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ فَقَالُوا فِى مُؤْتَمَرِهِمْ : نَظَراً لِمَا ثَبَتَ لِلْمُؤْتَمِرِينَ مِنَ الْفَائِدَةِ المُحَقَّقَةِ الَّتِى أَتَاحَتْهَا البُحُوثُ الَّتِى عُرِضَتْ فِى خِلَالِ أُسْبُوعِ « الْفِقْهِ الإِسْلَامِيِّ » وَمَا دَارَ حَوْلَ هَذِهِ الْبُحُوثِ مِنْ مُنَاقَشَاتٍ أَثْبَتَتْ بِجَلَاءٍ أَنَّ « الْفِقْهَ الإِسْلَامِيَّ » يَقُومُ عَلَى مَبَادِىء ذَاتِ قِيمَةٍ أَكِيدَةٍ لَا مِرْيَةَ فِى نَفْعِهَا وَإِنَّ اخْتلَافَ الْمَبَادِىءِ فِى هَذَا الْجِهَاز التَشْرِيعِى الضَّخْمِ ، مُنْطَوٍ عَلَى ثَرْوَةٍ مِنَ الآرَاءِ الفِقْهِيَّةِ ، وَعَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ الأُصُولِ الْفَنِّيَّةِ الْبَدِيعَةِ الَّتِى تُتِيحُ لِهَذَا الْفِقْهِ أَنْ يَسْتَجِيبَ بِمُرُونَةٍ هَائِلَةٍ لِجَمِيعِ مَطَالِبِ الحَيَاةِ الْحَدِيثَةِ ، فَإِنَّ أَعْضَاءَ الْمُؤْتَمرِ يُعْلِنُونَ رَغْبَتَهُمْ فِى أَنْ يَظَلَّ أُسْبُوعُ الْفِقْهِ الإِسْلَامِيِّ يُتَابِعُ أَعْمَالَهُ سَنَةً فَسَنَةً » .

فَمِنْ أَيْنَ لأُمِّيٍّ بُعِثَ منذُ أَلْفٍ وَأَرْبعِمائَةِ عَامٍ أَنْ يَأْتِى بِهَذَا التَّشْرِيعِ لَوْ لَمْ يَكُنْ مُرْسَلاً مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ .

وَعَجَباً لِلْجَهَلَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، الَّذِينَ يُرِيدُونَ إِلْغَاءَ الشَّرِيعَةِ الإِلٰهِيَّةِ واسْتِبْدَالَهَا بِالْقَوَانِينِ الْبَشَرِيَّةِ .

* * *

إخلاص العبادة

أَوْلاً : مَا هِىَ الْعِبَادَةُ :

هِىَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ وَأَمَرَ بِهِ فَكُلُّ مَا أَمَرَنَا اللهُ بِهِ فَفِعْلُهُ عِبَادَةٌ وَكُلُّ مَا نَهَانَا عَنْهُ فَالابْتِعَادُ عَنْهُ عِبَادَةٌ ، وَالْعَادَاتُ الْمَشْرُوعَةُ مِثْلُ : الأَكْلِ ، وَالشُّرْبِ ، واللِّبَاسِ ، تِصْبِحُ عِبَادَاتٍ إِذَا قُصِدَ بِهَا امْتِثَالُ أَمْرِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، والاسْتِعَانَةُ بِهَا عَلَى طَاعَتِهِ .

ولَا تَكُونُ الْعِبَادَةُ صَحِيحَةً إِلَّا إِذَا كَانَتْ خَالِصَةً لَهُ ، مُوافِقَةً لِشَرْعِهِ وَجَمَعَتْ بَيْنَ غَايَةِ الخُضُوعِ والذُّلِّ للهِ ، مَعَ كَمَالِ الْمَحَبَّةِ لَهُ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى فِى وَصْفِ الْمُؤْمِنِين :﴿ **وَٱلَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ** ﴾[1] .

والْعِبَادَةُ : هِىَ الغَايَةُ الَّتى خَلَقَ اللهُ لَهَا الْخَلْقَ ، وأَرْسَلَ لَهَا الرُّسُلَ ، وَإِذَا كَانَ اللهُ قَدْ سَخَّرَ لِلإِنْسَانِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ لِيُسَخِّرَ الإِنْسَانُ هَذَا كُلَّهُ فِى طَاعَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِى ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نعمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً** ﴾[2] .. وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّالِيَعْبُدُونِ** ﴾[3] وَقَالَ تعَالَى : ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللهَ وَٱجْتَنِبُوا**

---

(١) سورة البقرة : الآية « ١٦٥ » .

(٢) « سخر » : ذلل لكم ما فى الكون لتنتفعوا به . « أسبغ » : أتم وأوسع وأكمل نعمه : « ظاهرة وباطنة » : النعم الظاهرة : منها حسن الصورة وتسوية الأعضاء واعتدال القامة . والباطنة : منها العقل والهداية إلى الحق . سورة لقمان : الآية : « ٢٠ » .

(٣) سورة الذاريات : الآية « ٥٦ » .

الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَالَةُ ﴾[١]

ولِلْعِبَادَةِ شَرْطَانِ أَسَاسِيَّانِ لَا تُقْبَلُ إِلَّا بِهِمَا :

١ ــ **الإِخْلَاصُ للهِ** : فَلَا يُعْبَدُ إِلَّا اللهُ . وَلَا يُقْصَدُ غَيْرُ وَجْهِ اللهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا ٱللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا ٱلزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ** ﴾[٢] .

٢ ــ **مُتَابَعَةُ الرَّسُولِ ﷺ** : أَىْ لَا يُعْبَدُ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾[٣] وَقَالَ تَعَالَى فِى وَصْفِ الْكَافِرِينَ : ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ** ﴾[٤] فَمَنْ صَلَّى الْمَغْرِبَ أَرْبَعَ رَكْعَاتٍ مَثَلاً بَطَلَتْ صَلَاتُهُ وَمَنْ صَلَّاهَا ثَلَاثاً فَهِىَ صَحِيحَةٌ ، ذَلِكَ لِأَنَّ الثَّانِيَةَ مُوَافِقَةٌ لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ ، وَالأُولَى مُخَالِفَةٌ لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ، قَالَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام : « مَنْ أَحْدَثَ فِى أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ »[٥] .

ثانياً: أَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ :

وَتَتَحَقَّقُ الْعُبُودِيَّةُ للهِ سُبْحَانَهُ بِتَمَامِ خُضُوعِ الإِنْسَانِ بَاطِناً وَظَاهِراً اعْتِقَاداً وَقَوْلاً لِلْمَوْلَى سُبْحَانَهُ .

---

(١) « الطاغوت » : هو كل مايعبد من دون الله من بشر أو حجر أو بقر أو غير ذلك ، حاشا من سبقت لهم من الله الحسنى ، كالملائكة وعيسى بن مريم عليهما السلام ، سورة النحل : الآية « ٣٦ » .

(٢) سورة البينة : الآية « ٥ » .

(٣) سورة آل عمران : الآية « ٣١ » .

(٤) سورة الشورى : الآية « ٢١ » .

(٥) « فهو رد » : مردود وباطل . رواه البخارى ومسلم .

وَالْعِبَادَةُ أَنْوَاعٌ : منها :

أ ـ عِبَادَاتٌ اعْتِقَادِيَّةٌ

١ ـ اعْتِقَادُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ : وَذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ الْعِلْمِ الْقَطْعِيِّ الَّذِى لَا يَبْقَى مَعَهُ رَيْبٌ وَلَا شَكٌّ .. قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلٰه إِلَّا اللهُ واسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ** ﴾[1] وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِّنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ** ﴾[2] .

٢ ـ مَحَبَّةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ :

قَال اللهُ تَعَالَى : ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لله** ﴾[3] وَهِىَ الْمَحَبَّةُ الْمُقْتَرِنَة بالذُّلِّ وَالْخُضُوعِ وَالاسْتِسْلَامِ والَّذِى لَا يَكُونُ إِلَّا باتِّبَاعِ الرَّسُول ﷺ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونى يُحْبِبْكُمُ اللهُ** ﴾[4] ، وَمِنْ مُقْتَضَى حُبِّنَا للهِ أَنْ نُحِبَّ رَسُولَه ﷺ وَأَنْ نُحِبَّ دِينَ الإِسْلَامِ .

وَأَمَّا مَحَبَّةُ الأَبْنَاءِ وَالأَهْلِ فَلَيْسَتْ عِبَادَةً لَهُمْ لِأَنَّهَا لَا تَسْتَلْزِمُ الخُضُوعَ وَالاسْتِسْلَامَ الْكَامِلَ لَهُمْ ، وَهِىَ مَعَ ذَلِكَ لَا تَكُونُ أَكْبَرَ مِنْ مَحَبَّةِ الْمُؤْمِنِينَ للهِ وَلِلرَّسُولِ ، فَإِنْ تَعَارَضَ حُبُّ اللهِ وَرَسُولِهِ مَعَ غَيْرِهِ سَقَطَ الحُبُّ الَّذِى لِغَيْرِ اللهِ مِنْ قَلْبِ الْمُؤْمِنِ .. قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُم وَإِخْوَانِكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِىَ اللهُ**

---

(١) سورة محمد : الآية « ١٩ » .

(٢) سورة الرعد : الآية « ١٩ » .

(٣) سورة البقرة : الآية « ١٦٥ » .

(٤) سورة آل عمران : الآية « ٣١ » .

بِأَمْرِهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ ﴾(١) .

٣ ــ الْخَوْفُ مِنَ اللهِ وَخَشْيَتُهُ مَعَ الرَّجَاءِ وَالطَّمَعِ فِي رَحْمَتِهِ :

قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ ٱلآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٢) وَقَالَ تَعَالَى فِي وَصْفِ الْمُؤْمِنِينَ : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾(٣) .

وَقَدْ يَخَافُ الْعَبْدُ مِنْ أُمُورٍ دُنْيَوِيَّةٍ وَلَكِنَّ هَذَا الخَوْفَ لَيْسَ عِبَادَةً لِتِلْكَ الأَشْيَاءِ لِأَنَّهُ خَوْفٌ فِطْرِيٌّ مِنْ أَسْبَابٍ يَعْتَقِدُ الْمُؤْمِنُ أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِى قَدَّرَهَا ، وَلَا يَصِلُ هَذَا الْخَوْفُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ إِلَى دَرَجَةٍ أَكْبَرَ مِنْ خَوْفِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِذْ أَنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَادِرٌ عَلَى إِنْقَاذِهِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ .. قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٤) .

٤ ــ الإِنَابَةُ إِلَى اللهِ :

وَهِيَ الإِسْرَاعُ إِلَى مَرْضَاةِ اللهِ وَالرُّجُوعُ إِلَيْهِ وَاسْتِغْفَارُهُ وَطَلَبُ تَوْبَتِهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ * وَٱتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّنْ رَبِّكُمْ مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾(٥) . وَقَالَ تَعَالَى فِي وَصْفِ الْمُؤْمِنِينَ :

---

(١) « اقترفتموها » : أى اكتسبتموها . « كسادها » : أى بوارها وعدم رواجها عند الناس . « فتربصوا » : انتظروا . « الفاسقين » : الخارجين عن دين الله سبحانه وتعالى . سورة التوبة : الآية « ٢٤ » .

(٢) « قانت » : مطيع خاضع عابد . « أناء الليل » : ساعاته وأوقاته . سورة الزمر : الآية « ٩ » .

(٣) « مشفقون » : خائفون استعظاماً لله تعالى . سورة المعراج : الآيتان « ٢٧ ، ٢٨ » .

(٤) سورة الأنعام : الآية « ١٧ » .

(٥) « أنيبوا » : ارجعوا إلى ربكم بالتوبة .. « وأسلموا له » : أخلصوا له عبادتكم . « بغتة » : فجأة . سورة الزمر : الآيتان « ٥٤ ، ٥٥ » .

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[1]

٥ ــ التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ وَالأَسْتِعَانَةُ بِهِ :

وَحَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ : هُوَ صِدْقُ اعْتِمَادِ الْقَلْبِ عَلَى اللهِ ــ عَزَّ وَجَلَّ ــ فِى اسْتِجْلَابِ الْمَصَالِحِ ، وَدَفْعِ الْمَضَارِّ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ .

وَلَقَدْ قَدَّرَ اللهُ وَنَظَّمَ الْكَوْنَ بِأَقْدَارٍ وَسُنَنٍ وَأَسْبَابٍ ، وَتَعَبَّدَنَا بِالأَخْذِ بِهَا ، وَمِنْ أَقْوَى هَذِهِ الأَسْبَابِ : التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ﴾[2] وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ ... إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾[3] .. وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَعَلَى آللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ آلْمُؤْمِنُونَ ﴾[4] . وَفَرَضَ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ فِى كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ يَقُولُوا : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[5] وَفِى الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : « ... وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ ... »[6] .

ب ــ عِبَادَاتٌ قَوْلِيَّةٌ

١ ــ النُّطْقُ بِالشَّهَادَتَيْنِ :

إِذْ لَا يَصِحُّ إِسْلَامُ الْمَرْءِ مَا لَمْ يَنْطِقْ بِالشَّهَادَتَيْنِ إِلَّا الأَخْرَسَ فَيُكْتَفَى مِنْهُ بِمَا يَدُلُّ عَلَى إِيمَانِهِ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَٰه إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا

---

(١) « لم يصروا » : لم يستمروا بل يقلعوا عن الفاحشة ، وهى المعصية الكبيرة المتناهية فى القبح . سورة آل عمران : الآية « ١٣٥ » .

(٢) سورة الطلاق : الآية « ٣ » .

(٣) سورة يونس : الآية « ٨٤ » .

(٤) سورة التغابن : الآية « ١٣ » .

(٥) سورة الفاتحة : الآية « ٥ » .

(٦) جزء من حديث صحيح رواه أحمد والترمذى ، عن ابن عباس رضى الله عنهما .

الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّى دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ »[1] .

٢ ـ ذِكْرُ اللهِ وَالتَّسْبِيحُ وَالاسْتِغْفَارُ :

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**﴾[2] . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿**وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَّتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ**﴾[3] وَقَالَ تَعَالَى : ﴿**فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً**﴾[4] .

٣ ـ الدُّعَاءُ وَالاسْتِغَاثَةُ :

إِنَّ الَّذِى يَدْعُو وَيَسْتَغِيثُ لَا يَكُونُ عَاقِلاً إِلَّا إِذَا دَعَا مَنْ يَسْمَعُهُ وَيَسْمَعُ غَيْرَهُ فِى كُلِّ وَقْتٍ ، وَفِى كُلِّ مَكَانٍ ، وَبِأَىِّ لُغَةٍ ، وَأَيْضاً لَا يَكُونُ عَاقِلاً إِلَّا إِذَا دَعَا مَنْ يَعْتَقِد أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى إِجَابَةِ دَعْوَتِهِ ، وَتَفْرِيجِ كُرْبَتِهِ ، وَقَضَاءِ حَاجَتِهِ بِأَسْبَابٍ غَيْبِيَّةٍ ، وَقُدْرَةٍ خَارِقَةٍ تَقْدِرُ عَلَى التَّصرُّفِ فِى هَذَا الْكَوْنِ ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا للهِ ، وَلَا يَكُونُ لأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ حَيًّا أَوْ مَيِّتاً ، وَمَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ غَيْرَ اللهِ يَمْلِكُ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِالدُّعَاءِ فَقَدْ وَقَعَ فِى الشِّرْكِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿**ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**﴾[5] وَقَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ**

---

(١) « إلا بحق الإسلام » ، أى الحدود التى يوجب الإسلام إقامتها على كل مسلم ثبتت عليه بوجه شرعى ، كحد القتل والزنا والسرقة وغيرها من الحدود . الحديث متفق عليه .

(٢) « سبحوه » : نزهوه عما لا يليق به من النواقص . « بكرة » : أول النهار . « أصيلاً » : آخر النهار . سورة الأحزاب : الآيتان « ٤١ ، ٤٢ » .

(٣) سورة هود : الآية « ٣ » .

(٤) سورة النصر : الآية « ٣ » .

(٥) « قطمير » : القشرة التى تخلف نواة الثمرة . سورة فاطر : الآيتان « ١٣ ، ١٤ » .

ٱدْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[1] .. وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** »[2] ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الَّذِى يَتَوَجَّهُ بِالدُّعَاءِ لِغَيْرِ اللهِ جَاهِلاً فَيَجِبُ عَلَى مَنْ يَعْلَمُ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُ وَيَجِبُ عَلَيْهِ الاتِّبَاعُ وَإِنْقَاذُ نَفْسِهِ مِنَ الْوُقُوعِ فِى الشِّرْكِ .

٤ ــ الْحَلِفُ بِاللهِ :

فَالْمُسْلِمُ لَا يَحْلِفُ إِلَّا بِاللهِ تَعْظِيماً لَهُ وَإِجْلَالاً ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ كَانَ حَالِفاً فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ »[3] . وَمَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ مُعَظِّماً لَهُ كَتَعْظِيمِ اللهِ ، خَائِفاً مِنْهُ كَخَوفِهِ مِنَ اللهِ فَقَدْ وَقَعَ فِى الشِّرْكِ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ »[4] وَلَا يَجُوزُ الْحَلِفُ بِالأَمَانَةِ لِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ : « مَنْ حَلَفَ بِالأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا »[5] .

٥ ــ الدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْىُ عَنِ الْمُنْكَرِ :

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾[6] .. وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِى أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِى وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾[7] وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَلْتَكُنْ مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾[8] .

---

(١) « داخرين » : أى صاغرين أذلاء . سورة غافر : الآية « ٦٠ » .

(٢) سورة البقرة : الآية « ١٨٦ » .

(٣) رواه البخارى ومسلم وأحمد والنسائى من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .

(٤) رواه الترمذى وابن ماجه وأحمد والنسائى والدارمى .

(٥) رواه أحمد وأبو داود .

(٦) سورة فصلت : الآية « ٣٣ » .

(٧) سورة يوسف : الآية « ١٠٨ » .

(٨) سورة آل عمران : الآية « ١٠٤ » .

جـ ـ عِبَادَاتٌ عَمَلِيَّةٌ

١ ـ إِقَامَةُ الصَّـلَاةِ :

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا ٱللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَوٰاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ ﴾(١) وَقَالَ تَعَالَى فِي وَصْفِ الْمُؤْمِنِينَ : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴾(٢) وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾(٣) ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ واصْطَبِرْعَلَيْهَا لَا نَسْئَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾(٤) .

٢ ـ إِيتَاءُ الزَّكَاةِ :

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾(٥) .. وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ ... ﴾(٦) وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ لَكِنِ ٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ الآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً ﴾(٧) .

---

(١) سورة البينة : الآية « ٥ » .
(٢) سورة النور : الآية « ٣٧ » .
(٣) سورة الحج : الآية « ٤١ » .
(٤) سورة طه : الآية « ١٣٢ » .
(٥) « حنفاء » : مائلين عن الباطل إلى الإسلام . سورة البينة : الآية « ٥ » .
(٦) سورة البقرة : الآية « ١١٠ » .
(٧) سورة النساء : الآية « ١٦٢ » .

٣ ـــ صَوْمُ رَمَضانَ :

قَالَ اللهُ تَعالَى : ﴿ **يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾(١) وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْآنُ هُدَىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** ﴾(٢) .. وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »(٣) .

٤ ـــ حَجُّ الْبَيْتِ لِمَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً :

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ ٱللهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ** ﴾(٤) ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ** ﴾(٥) ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « بُنِىَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَحَجِّ البَيْتِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ ﴾(٦) .

٥ ـــ الْحُكْمُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ :

لَيْسَ مِنْ حَقِّ أَحِدٍ أَنْ يَضَعَ قَوَانِينَ وَتَشْرِيعَاتٍ لِلإِنْسَانِ إِلَّا الْخَالِقُ سُبْحَانَهُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ** ﴾(٧) ،

---

(١) « كتب » فرض . سورة البقرة : الآية « ١٨٣ » .

(٢) سورة البقرة : الآية « ١٨٥ » .

(٣) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه والنسائى وأحمد عن أبى هريرة .

(٤) سورة آل عمران : الآية « ٩٧ » .

(٥) « وأذن » : ناد فى الناس وأعلمهم . « رجالاً » : مشاة على أقدامهم . « ضامر » : بعير هزيل من بعد الشقة . « فج عميق » : طريق بعيد . سورة الحج : الآية « ٢٧ » .

(٦) متفق عليه .

(٧) سورة الأعراف : الآية « ٥٤ » .

فَمَنْ جعَلَ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ مِنْ غَيْرِهِ مُشَرِّعَاً لِقَوانِينَ وَأَنْظِمَةٍ لَمْ يَأْذَنْ بِهَا اللهُ فَقَدْ أَشْرَكَ بِاللهِ ، وَدَعَا إِلَى عِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰؤُا شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ ٱلدِّينِ ، مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ** ﴾[١] . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا للهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ** ﴾[٢] . وَٱلْمُؤْمِنُ يَسْتَسْلِمُ لِحُكْمِ اللهِ ، وَيَخْضَعُ لِشَرِيعَتِهِ بِنَفْسٍ رَاضِيَةٍ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾[٣] .

٦ ــ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ :

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[٤] . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللهُ ٱلَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ** ﴾[٥] .

٧ ــ النَّذْرُ للهِ :

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمَاً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرَاً** ﴾[٦] وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِهِ »[٧] .

٨ ــ الطَّوَافُ بِبيتِ اللهِ الْحَرَامِ :

قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ**

---

(١) سورة الشورى : الآية « ٢١ » .

(٢) سورة يوسف : الآية « ٤٠ » .

(٣) « شجر » : أشكل والتبس عليهم من الأموز . « حرجاً » ضيقاً أو شكاً . سورة النساء : الآية « ٦٥ » .

(٤) سورة الصف : الآيتان « ١٠ ، ١١ » .

(٥) سورة آل عمران : الآية « ١٤٢ » .

(٦) « مستطيراً » : منتشراً غاية الانتشار . سورة الدهر : الآية « ٧ » .

(٧) رواه أحمد والبخارى والترمذى وغيرهم عن عائشة رضى الله عنها .

وَٱلْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[1] . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾[2] .

٩ ــ الذَّبْحُ لله :

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ** ﴾[3] ، وَالذَّبْحُ مِنَ النُّسُكِ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** ﴾[4] .

وَرَوَى الإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ »[5] .

أولاً ــ صِدْقُ الْعَزِيمَةِ بِالْعِبَادَةِ

وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى عَزِيمَةٍ صَادِقَةٍ يَتَغَلَّبُ بِهَا عَلَى الْكَسَلِ وَالتَّوَانِى ، وَيَتَمَكَّنُ بِهَا مِنْ بَذْلِ الْجُهْدِ فِى طَاعَةِ اللهِ ، حَتَّى يُصَدِّقَ قَوْلَهُ عَمَلُهُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ** ﴾[6] وَمَنْ أَرَادَ عَوْناً لِتَقْوِيَةِ عَزِيمَتِهِ فَعَلَيْهِ بِجُلَسَاءِ الْخَيْرِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً * يَاوَيْلَتَى لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً * لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنْ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِى وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً** ﴾[7] .

---

(١) سورة البقرة : الآية « ١٢٥ » .
(٢) سورة الحج : الآية « ٢٩ » .
(٣) سورة الأنعام : الآية « ١٦١ » .
(٤) سورة الكوثر : الآية « ٢ » .
(٥) رواه مسلم وأحمد والنسائى .
(٦) سورة الصف : الآية « ٢ » .
(٧) « سبيلاً » : طريقاً إلى الهدى والنجاة . « الذكر » : القرآن الكريم . سورة الفرقان : الآيات « ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ » .

ثانياً : الإيمَانُ بالْمَلاَئِكَةِ

الإيمَانُ بالْمَلاَئِكَةِ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الإيمَانِ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ** ﴾[1] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَٱلْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ** ﴾[2] وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ** ﴾[3] وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **مَنْ كَانَ عَدُوًّا للهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ** ﴾[4] وَالأدِلَّةُ كَثِيرَةٌ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى وُجُوبِ الإيمَانِ بِهِمْ وَأَنَّ اللهَ خَلَقَهُمْ مِن نُور .

وَالإيمَانُ بِالْمَلاَئِكَةِ : هُوَ الإِقْرَارُ الجَازِمُ بِوُجُودِهِمْ وَأَنَّهُمْ خَلْقٌ وَعِبَادٌ للهِ مُسَخَّرُونَ وَمُكَرَّمُونَ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ **لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ** ﴾[5] .

وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ **لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾[6] وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ** ﴾[7] وَقَدْ جَعَلَهُمُ اللهُ أَقْسَاماً ، مِنْهُمُ الْمُوَكَّلُ بِأَدَاءِ الْوَحْيِ إِلَى الرُّسُلِ ، وَهُوَ الرُّوحُ الأَمِينُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَمِنْهُمْ الْمُوَكَّلُ بِقَبْضِ الأَرْوَاحِ ، وَهُوَ مَلَكُ الْمَوْتِ وَأَعْوَانُهُ ، وَمِنْهُمْ الْمُوكَّلُ بِالصُّورِ ، وَهُوَ إِسْرَافِيلُ ، وَمِنْهُمْ الْمُوكِّلُ بِالْمَطَرِ ، وَهُوَ مِيكَائِيلُ ، وَمِنْهُم المُوكَّلُ بِأَعْمَالِ الْعِبَادِ ، وَهُمُ الكِرَامُ الكَاتِبُونَ ، وَمِنْهُمُ المَوَكَّلُ بِحِفْظِ العَبْدِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ

(١) سورة البقرة : الآية « ٢٨٥ » .

(٢) سورة الشورى : الآية « ٥ » .

(٣) سورة الأعراف : الآية « ٢٠٦ » .

(٤) سورة البقرة : الآية « ٩٨ » .

(٥) سورة الأنبياء : الآية « ٢٧ » .

(٦) سورة التحريم : الآية « ٦ » .

(٧) « لا يفترون » : لا يكلون ولا يعيون . سورة الأنبياء : الآيتان « ٢٠ ، ٢١ » .

خَلفِهِ وَهُمُ المُعَقِّبَاتُ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ** ﴾[١] وَمِنْهُمُ الْمُوَكَّلُ بِالْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا وَهُمْ رَضْوَانُ وَمَنْ مَعَهُ ، وَمِنْهُمْ الْمُوكَّلُ بِالنَّارِ وَعَذَابِهَا وَهُمْ مَالِكٌ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الزَّبَانِيَةِ وَرُؤَسَائِهِمْ تَسْعَةَ عَشَرَ ، وَمِنْهُمْ المُوكَّلُ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَهُمْ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ ، وَمِنْهُمْ حَمَلَةُ الْعَرْشِ ، وَمِنْهُمْ المُوكَّلُ بِالنُّطَفِ فِى الأَرْحَامِ مِنْ تَخْلِيقِهَا إِلَى كِتَابَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَمِنْهُمْ مَلَائِكَةٌ يَدْخُلُونَ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ ، وَمِنْهُمْ مَلَائِكَةٌ سَيَّاحُونَ يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ ، وَمِنْهُمْ صُفُوفٌ قِيَامٌ لَا يَفْتُرُونَ وَمِنْهُمْ رُكَّعٌ وَسُجَّدٌ لَا يَرْفَعُونَ ، وَمِنْهُمْ غَيْرُ مَا ذُكِرَ ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ** ﴾[٢] وَنُصُوصُ هَذِهِ الأَقْسَامِ مِنَ الْكِتَابِ والسُّنَّةِ كَثِيرَةٌ مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ .

ثالثاً : الإيمَــانُ بِالْكُتُبِ

الإِيمَانُ بِالْكُتُبِ مَعْنَاه التَّصْدِيقُ الْجَازِمُ بِأَنَّ جَمِيعَهَا مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وَأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهَا حَقِيقَةً ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَٱلْكِتَابِ ٱلَّذِى أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً** ﴾[٣] ، فَمِنْهَا مَا كَانَ كَلَاماً إِلَى الرَّسُولِ بِدُونِ وَاسِطَةِ « الرَّسُولِ الْمَلَكِىّ » ، وَمِنْهَا مَا بَلَّغَهُ الرَّسُولُ الْمَلَكِيُّ إِلَى البَشَرِيِّ ، ومِنهَا مَا كَتَبَهُ اللهُ تَعَالَى ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِى بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ** ﴾[٤] وَقَالَ لِمُوسَى : ﴿ **قَالَ يَا مُوسَىٰٓ إِنِّى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى**

(١) سورة الرعد : الآية « ١١ » .
(٢) « ذكرى » : موعظة وعبرة . سورة المدثر : الآية « ٣١ » .
(٣) سورة النساء : الآية « ١٣٦ » .
(٤) سورة الشورى : الآية « ٥١ » .

ٱلنَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِّنَ ٱلشَّاكِرِينَ ﴾(١) وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً ﴾(٢)، وَقَالَ تَعَالَى فِي شَأْنِ التَّوْرَاةِ : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾(٣) وَقَالَ فِي عِيسَى : ﴿ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ ﴾(٤) وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً ﴾(٥)، وَقَالَ تَعَالَى فِي شَأْنَ الْقُرْآنِ : ﴿ لَّكِنِ ٱللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً ﴾(٦)، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً ﴾(٧)، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾(٨) وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(٩).

وَالْكُتُبُ الَّتِي سَمَّاهَا اللهُ فِي الْقُرْآنِ هِيَ :

الْقُرْآنُ، وَالتَّوْرَاةُ، وَالإِنْجِيلُ، وَالزَّبُورُ، وَصُحُفُ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى. قَالَ تَعَالَى : ﴿ ٱللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ ﴾(١٠)، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً ﴾(١١)، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى *

(١) سورة الأعراف : الآية « ١٤٤ ».
(٢) سورة النساء : الآية « ١٤٤ ».
(٣) سورة الأعراف : الآية « ١٤٥ ».
(٤) سورة الحديد : الآية « ٢٧ ».
(٥) سورة النساء : الآية « ١٦٣ ».
(٦) سورة النساء : الآية « ١٦٦ ».
(٧) « مكث » : تؤدة وتأن. سورة الإسراء « ١٠٦ ».
(٨) « الروح الأمين » : هو جبريل عليه السلام. سورة الشعراء : الآيات « ١٩٢ ـ ١٩٥ ».
(٩) سورة فصلت : الآية « ٤٢ ».
(١٠) سورة آل عمران : الآيتان « ٢، ٣ ».
(١١) سورة النساء : الآية « ١٠٦ ».

وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى ﴾[1] وَذَكَرَ البَاقِى مِنْهَا جُمْلَةً فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ** ﴾[2] .

القُــرآنُ العَظِيــمُ

مَنْزِلَتُهُ مِنَ الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ :

يَقُولُ اللّٰهُ تَعَالَى : ﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ** ... ﴾[3] وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ **وَمَا كَانَ هَذَاالْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَّبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾[4] وَمُهَيْمِناً : أى مُؤْتَمناً وَشَاهِدَاً عَلَى مَا قَبلَهُ مِنَ الكُتُبِ ، وَمُصَدِّقاً ، يَعْنِى يُصَدِّقُ مَا فِيهَا مِنَ الصَّحِيحِ ، وَيَنفِى مَا وَقَعَ فِيهَا مِنْ تَحْرِيفٍ ، وَتَبْدِيلٍ ، وَتَغْيِيرٍ ، وَيَحْكُمُ عَلَيهَا بِالنَّسْخ ، أَوْ التَقْرِيرِ ، وَلِهَذَا يَخْضَعُ لَهُ كُلُّ مُتَمَسِّكٍ بِالْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ مِمَّنْ لَمْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبِه ، كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ۞ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَّبِنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ** ﴾[5] .

عَلَى جَمِيعِ الأُمَّةِ الْتِزَامه :

يَجِبُ عَلَى جَمِيعِ الأُمَّةِ اتِّبَاعُهُ ظَاهِراً وَبَاطِناً وَالتَّمَسُّكُ بِهِ ، وَالْقِيَامُ بِحَقِّهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ**

---

(١) سورة النجم : الآيتان « ٣٦ ، ٣٧ » .
(٢) « القسط » : العدل . سورة الحديد : الآية « ٢٥ » .
(٣) سورة المائدة : الآية « ٤٨ » .
(٤) سورة يونس : الآية « ٣٧ » .
(٥) سورة القصص : الآيتان « ٥٢ ، ٥٣ » .

تُرْحَمُونَ ﴾(١) ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ** ... ﴾(٢) ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ **وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ** ﴾(٣) وَالآيَاتُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ ، وَأَوْصَى النَّبِيُّ ﷺ بِكِتَابِ اللهِ فَقَالَ : « فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَتَمَسَّكُوا بِهِ » ، وَفِي حَدِيثِ الإِمَامِ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ مَرْفُوعاً « إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ ، قُلْتُ : فَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : كِتَابُ اللهِ » وَذَكَرَ الْحَدِيثَ(٤) .

التَّمَسُّك بِهِ وَالْقِيَام بِحَقِّهِ :

حثَّ الإِسْلَامُ أَتْبَاعَهُ عَلَى حِفْظِهِ ، وَتِلَاوَتِهِ ، وَالْقِيَامِ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَتَدَبُّرِ آيَاتِهِ ، وَإِحلَالِ حَلَالِهِ ، وَتَحْرِيمِ حَرَامِهِ ، وَالانْقِيَادِ لأَوَامِرِهِ ، وَالانْزِجَارِ بِزَوَاجِرِهِ ، وَالاعْتِبَارِ بِأَمْثَالِهِ ، وَالاتِّعَاظِ بِقَصَصِهِ ، وَالْعَمَلِ بِمُحْكَمِهِ وَالتَّسْلِيمِ بِمُتَشَابِهِهِ ، وَالوُقوفِ عِندَ حُدُودِهِ ، والذَّبِّ عَنْهُ مِنْ تَحْرِيفِ الغَالِينَ ، وانْتِحَالِ المُبْطِلِينَ ، وَالنَّصِيحَةِ لَهُ بِكُلِّ مَعَانِيهَا ، وَالدَّعْوَةِ إِلَى ذَلِكَ عَلَى بَصِيرَةٍ .

وَعْدُ اللهِ بِحِفْظِهِ :

وَلَقَدْ تَكَفَّلَ اللهُ بِحِفْظِ القُرْآنِ ، مِنْ أَنْ تَمتَدَّ إِلَيْهِ يَدُ التَّحْرِيفِ وَالتَّغْيِيرِ ، وَالتَّبْدِيلِ وَالزِّيَادَةِ أَوْ النُّقْصَانِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾(٥) وَالْغَايَةُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَبْقَى حُجَّةُ اللهِ عَلَى الناسِ قَائِمَةً ، حَتَّى يَرِثَ اللهُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا . وَلَا يَكُونُ حُجَّةً كَذَلِكَ إِلَّا بِاسْتِمْرَارِ وُجُوده فِي النَّاسِ مَحْفُوظَاً إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، لِيَرجِعُوا إِلَيْهِ فِي عَقَائِدِ الدِّينِ ، وأُسُسِهِ ، وَمَبادِئِه ،

---

(١) سورة الأنعام : الآية « ١٥٥ » .
(٢) سورة الأعراف : الآية « ٣ » .
(٣) سورة الأعراف : الآية « ١٧٠ » .
(٤) رواه الترمذي وضعفه .
(٥) « الذكر » : القرآن . سورة الحجر : الآية « ٩ » .

وَغَايَاتِهِ ،والتَّعَرُّف عَلَى أَحْكَامِ شَرِيعَةِ اللهِ ، واسْتِبَانَةِ الْوَاجبَاتِ الَّتِى يَأْمُرُهُمْ بِهَا ، والمُحَرَّمَاتِ الَّتِى يَنْهَاهُمْ عَنْهَا ، وَالفَضَائِلِ وَالْكَمَالاَتِ الَّتِى يَحُثُّهُمْ وَيَنْدُبُهم إِلَيْهَا ، وَفِى الاسْتِنْبَاطِ مِنْ نُصُوصِهِ المُخْتَلِفَةِ لِلأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ لِكُلِّ مَا يَجِدُّ فِى حَيَاةِ النَّاسِ ، وَيُطَالِعُوا مَوَاعِظَه ، وَنَصَائِحَهُ وَأَمْثَالَهُ ، وَآدَابَهُ ، وَمَا تَضَمَّنَهُ مِنْ بَشَائِرَ ، وَنُذُرٍ ، وَوَعْدٍ ، وَوَعِيدٍ ، وَسَائِرِ الوَسَائِلِ وَالأَسَالِيبِ التَّرْبَوِيَّةِ المُخْتَلِفَةِ ، الهَادِيَةِ إِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ .

الشَّـاهِد عَلَى حِفْظِهِ :

يَجِبُ عَلَى كُلِّ عَاقِلٍ أَنْ يُؤْمِنَ وَيَطْمِئِنَّ أَنَّ الْقُرْآنَ الَّذى يَقْرَأُهُ اليَوْمَ هُوَ نَفْسُ الْقُرْآنِ الَّذِى نَزَلَ عَلَى مُحَمَّد ﷺ وَلِذَلِكَ لَوْ أَنَّ أَحَداً أَخَذَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ ، وَذَهَبَ إِلَى لَندَن ، وَبَارِيس ، وَمُوسكُو ، وَوَاشُنْطُن ، وَبكِينَ ، وَتَلِّ أَبِيبِ ، وَطَافَ مُدَنَ أَفْرِيقِيَا ، وَاسْتُرَالْيَا ، وَذَهَبَ إِلَى مَكَّةَ ، وَالْمَدينَةَ ، وَأَخَذَ مُصْحَفاً مِنْ كُلِّ هَذِهِ الأَمَاكِنِ والْمُدُنِ ، وَفَتَح السُّورَةَ الْمَأْخُوذَ مِنْهَا تِلْكَ الآيَةَ ، لَوَجَدَ أَنَّ القُرآنَ وَاحِدٌ ، وَالآيَةَ الَّتِى أَخَذَهَا مِنْهُ وَاحِدَةً ، بَلْ إِنَّهُ يَجِدُ أَنَّ كُلَّ مَا بَيْنَ دَفَّتَى الْمَصَاحِفِ كَلاَماً وَاحِداً لَمْ يَتَغَيَّرْ وَلَمْ يَتَبَدَّلْ ، وَصَدَقَ اللهُ الْقَائِلُ : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾(١) .

السُّنَّةُ المُبَيِّنَةُ لِلْقُرْآنِ وَحِفْظِهَا

قَالَ تَعَالَى : ﴿ ... **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾(٢) لَقَدْ بَيَّنَ الرَّسُولُ ﷺ كِتَابَ رَبِّهِ لِلنَّاسِ ، بِأَقْوَالِهِ ، وَأَفْعَالِهِ وَتَقْرِيرَاتِهِ ، وَلَقَدْ حَفِظَ اللهُ هَذَا البَيَانَ النَّبَوِىَّ فِيمَا دَوَّنَتْهُ الأُمَّةُ فِى كُتُبِ السُّنَّةِ النَّبوِيَّةِ ، وَقَدْ حَفِظَ اللهُ سُنَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِجَعْلِ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ حَافِظِينَ لَهَا

---

(١) سورة الحجر : الآية « ٩ » .

(٢) سورة النحل : الآية « ٤٤ » .

عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ ، عَاقِدِينَ لَهَا حلقَاتِ التَّدريسِ مُعَلِّمِينَ إِيَّاهَا كُلَّ مَنْ يَجْهَلُهَا ، حَتَّى وُجِدَ فِي الأُمَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ مَنْ يَحْفَظُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِ الأُلُوفَ مِنْ أَحَادِيثِ الرَّسُولِ ﷺ بِأَسَانِيدِهَا ، وَدَرَجَاتِهَا ، مِثْلَ : الْبُخَارِيِّ ، وَمُسْلِمٍ ، وَمُؤَلِّفِي الأُمَّهَاتِ السِّتِّ ، وغَيْرِهَا ، وَذَلِكَ لأَنَّ أَحَادِيثَ الرَّسُولِ ﷺ مُبَيِّنَةٌ لِلْكِتَابِ المُبِينِ ، وجُزْءٌ مِنَ الدِّينِ ، الَّذِى يُنَظِّمُ كَامِلَ السُّلُوكِ الْيَوْمِيِّ لِلْمُسْلِمِ فِي صَلَاتِهِ ، وَصِيَامِهِ ، وَزَكَاتِهِ وَحَجِّه وَبَيْعِهِ وَشِرَائِهِ وَزَوَاجِهِ وَطَلَاقِهِ ، وَعَلَاقَاتِهِ بِأُسْرَتِهِ وَجِيرَانِهِ ... ، وَمَا الَّذِى يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ نَحْوَ رَبِّهِ وَأُمَّتِهِ ... وَكُلُّ ذَلِكَ مُدَوَّنٌ مَضْبُوطٌ مَحْفُوظٌ .

اخْتِيَارِ اللهِ خَيْرَ أُمَّةٍ لِحِفْظِ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ :

لَمَّا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، فَقَدْ تَكَفَّلَ اللهُ بِحِفْظِ الدِّينِ الَّذِى بُعِثَ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنَ التَّبْدِيلِ أَوْ التَّحْرِيفِ ، فَهَيَّأَ اللهُ لِذَلِكَ صَحَابَةَ رَسُولِ اللهِ الَّذِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِمْ : ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ... ﴾[(١)] ، وَقَالَ فِيهِمْ سُبْحَانَهُ : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾[(٢)] وَوَصَفَهُمْ رَسُولُ اللهِ بِأَنَّهُمْ خَيْرُ القُرُون .

وَإِذَا كَانَ السَّبَبُ الرَّئِيسِيُّ فِي التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ هُوَ الْهَوَى فَإِنَّ اللهَ قَدْ هَيَّأَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَهْيِئَةً خَاصَّةً لِيَسْتَقِيمُوا عَلَى الدِّينِ وَيَحْفَظُوهُ لِلْعَالَمِينَ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ** ﴾[(٣)] .

وَبِهَذَا الإِعْدَادِ اسْتَحَقُّوا أَنْ يَصِفَهُمْ اللهُ سُبْحَانَهُ بِهَذِهِ الأَوْصَافِ :

---

(١) سورة آل عمران : الآية « ١١٠ » .

(٢) « وسطاً » : خياراً عدولاً : سورة البقرة : الآية « ١٤٣ » .

(٣) سورة الحجرات : الآية « ٧ » .

الصَّادِقُونَ الْمُفْلِحُونَ :

قَالَ تَعَالَى ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِن اللهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(١).

الْمُؤمِنُونَ حَقًّا :

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾(٢)

أَنْصَارُ رَسُولِ اللهِ وَمُؤَيِّدُوهُ :

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣).

أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ .. الرُّكَّعُ السُّجَّدُ :

قَالَ تَعَالَى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾(٤).

---

(١) « تبوءوا » : توطنوا المدينة من المؤمنين . « حاجة » أى حزازة وحسداً . « خصاصة » : فقر واحتياج . « يوق » : يجنب . « شح نفسه » : بخل نفسه مع الحرص . سورة الحشر : الآيتان « ٨ ، ٩ » .

(٢) سورة الأنفال : الآية « ٧٤ » .

(٣) سورة الأنفال : الآية « ٦٢ » .

(٤) سورة الفتح : الآية « ٢٩ » .

رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ :

قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً ﴾[1].

أَوْصَافُ الصَّحَابَةِ الَّتِى رَشَّحَتْهُمْ لِلإِمَامَةِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ :

ذَكَرَتِ الآيَاتُ السَّابِقَةُ أَنَّ الصَّحَابَةَ ــ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ ــ يَتَّصِفُونَ بِتِلْكَ الأَوْصَافِ :

* خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ .
* الأُمَّةُ الْوَسَطُ الشَّاهِدَةُ عَلَى النَّاسِ .
* هُمُ الرَّاشِدُونَ الَّذِينَ حَبَّبَ اللهُ إِلَيْهِمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِى قُلُوبِهِمْ ، وَكَرَّهَ إِلَيْهِمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ .
* هُمُ الصَّادِقُونَ وَالْمُفْلِحُونَ والْمُؤْمِنُونَ حَقًّا .
* أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ .
* الرُّكَّعُ السُّجَّدُ الَّذِينَ اطَّلَعَ اللهُ عَلَى مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَرَضِىَ عَنْهُمْ .

فَاسْتَحَقُّوا بِذَلِكَ أَنْ يَسْتَخْلِفَهُمْ اللهُ عَلَى الأَرض ، وَأَنْ يُوفِيَهُمْ مَا وَعَدَهُمْ ، وَقَدْ تَحَقَّقَ ذَلِكَ فِى زَمَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ــ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ[2] ــ

---

(١) « السكينة » الاطمئنان . سورة الفتح : الآية « ١٨ » .

(٢) الخلفاء الراشدون هم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ، رضى الله عنهم فهؤلاء هم أصهار رسول الله ﷺ . فعائشة أم المؤمنين هى بنت أبى بكر . وحفصة أم المؤمنين هى بنت عمر ، ورقية بنت رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله زوجها بعثمان وبعد موتها زوجه بابنته الثانية أم كلثوم . ولذا كان يقال لعثمان : ذو النورين ، وزوج النبى ﷺ على بن أبى طالب بابنته فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنة ، كما زوج على بن أبى طالب ابنته أم كلثوم بنت فاطمة الزهراء عمر بن الخطاب .

وكان هؤلاء الخلفاء الراشدون هم وزراء رسول الله ﷺ ، وكان كثيراً ما يستشيرهم فى مهمات الأمور ، كما أنهم من السابقين الأولين إلى الإسلام بمكة وأولهم إسلاما على بن أبى طالب كرم الله وجهه، ثم أبو بكر ثم عثمان ثم عمر رضى الله عنهم أجمعين ، وقد وردت فيهم أحاديث تدل على فضلهم على سائر الصحابة الأبرار .

كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿**وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنَاً يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئَاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[١] .

وَكَمَا اسْتَحَقُّوا الإِمَامَةَ الدُّنْيَوِيَّةَ ، والتَّمْكِينَ عَلَى أَيْدِيهِمْ لِلدِّينِ الَّذِى يَرْتَضِيهِ اللهُ ، اسْتَحَقُّوا أَنْ يَجْعَلَهُمْ اللهُ أَئِمَّةً لِلدِّينِ يَرْضَى اللهُ عَنْهُمْ وَعَنْ مَنْ يَتْبَعُهمْ بِإِحْسَانٍ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِىَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدَاً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾[٢] .

هَذِهِ هِىَ الأُمَّةُ الَّتِى حَفِظَ اللهُ بِهَا الدِّينَ، وَرَضِىَ عَنْهَا وَأَرْضَى عَنْهَا الأُمَمَ وَالشُّعُوبَ ، فَدَانَتْ لَهَا وَأَحَبَّتْهَا رَغْمَ اخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا وَأَلْوَانِهَا وَلُغَاتِهَا .

رابعاً : الإِيمَــانُ بالرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

الإِيمَانُ بِالرُّسُلِ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ العَقِيدَةِ ، وَعَلَيْهِ فَيَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ أَنْ يُؤْمِنَ بِجَمِيعِ رُسُلِ اللهِ دُونَ تَفْرِيقٍ بَيْنَهُمْ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِىَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِىَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾[٣] .

---

(١) سورة النور : الآية « ٥٥ » .

(٢) سورة التوبة : الآية « ١٠٠ » .

(٣) سورة البقرة : الآية « ١٣٦ » .

وَبَيَّنَ اللهُ أَنَّ هَذَا هُوَ إِيمَانُ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾[1] .

وَأَخْبَرَ أَنَّ البِرَّ فِي هَذَا الإِيمَانِ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ...** ﴾[2] .

وَإِذَا آمَنَ الإِنْسَانُ بِبَعْضِ الرُّسُلِ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالْبَعْضِ الآخَرِ ، وَفَرَّقَ بَيْنَهُمْ فِي الإِيمَانِ بِهِمْ فَهُوَ كَافِرٌ ، قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً * وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً** ﴾[3] .

الحِكْمَةُ مِنْ إِرْسَالِ الرُّسُلِ :

١ ـ أَرسَلَ اللهُ الرُّسُلَ لِتَعْرِيفِ النَّاسِ بِرَبِّهِمْ وَخَالِقِهِمْ ، وَلِدَعْوَتِهِمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ وَالْكُفْرِ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾[4] وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ **وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ** ﴾[5] وقال : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِى إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُون** ﴾[6] .

---

(١) سورة البقرة : الآية « ٢٨٥ » .

(٢) سورة البقرة : الآية « ١٧٧ » .

(٣) سورة النساء : الآيتان « ١٥٠ ـ ١٥٢ » .

(٤) « الطاغوت » : كل معبود باطل يعبد من دون الله ، وكل داع إلى الضلالة . سورة النحل : الآية « ٣٦ » .

(٥) سورة الزخرف : الآية « ٤٥ » .

(٦) سورة الأنبياء : الآية « ٢٥ » .

٢ ـ أَرْسَلَهُم لإقَامَةِ الدِّينِ ، وَلِلْحِفَاظِ عَلَيْهِ ، وَالنَّهْى عَنْ التَّفَرُّق فِيهِ ، وَلِلْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ **شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيه ...** ﴾(١) وَقَالَ : ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلَا تَكُن لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً** ﴾(٢) .

٣ ـ أَرْسَلَهُمْ لِتَبْشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنْ نَعِيمٍ مُقِيمٍ جَزَاءَ طَاعَتِهِمْ ، وَإِنْذَارِ الْكَافِرِينَ بِعَوَاقِبِ كُفْرِهِمْ وَإِسْقَاطِ كُلِّ عُذْرٍ لِلنَّاسِ ، وَإِقَامَةِ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً** ﴾(٣) .

٤ ـ أَرْسَلَهُمْ لإِعْطَاءِ الأُسْوَةِ الْحَسَنَةِ لِلنَّاسِ فِى السُّلُوكِ القَوِيمِ وَالأَخْلَاقِ الفَاضِلَةِ وَالْعِبَادَةِ الصَّحِيحَةِ ، وَالاسْتِقَامَةِ عَلَى هُدَى اللهِ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى فِى نَبِيِّنَا : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُواْ اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً** ﴾(٤) .

٥ ـ أَرْسَلَهُمُ اللهُ لإِنْقَاذِ البَشَرِ مِنَ الاخْتِلَافِ فِى أُصُولِ حَيَاتِهِمْ ، وَهِدَايَتِهِمْ إِلَى الْحَقِّ الَّذِى يُرِيدُ خَالِقُهُمْ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾(٥) .

٦ ـ أَرْسَلَهُم لِبَيَانِ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِى تُزَكِّى النَّفْسَ الإِنْسَانِيَّةَ وَتُطَهِّرُهَا وَتَغْرِسُ فِيهَا الْخَيْرَ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾(٦) .

---

(١) سورة الشورى : الآية « ١٣ » .
(٢) سورة النساء : الآية « ١٠٥ » .
(٣) سورة النساء : الآية « ١٦٥ » .
(٤) « أسوة حسنة » : القدوة الصالحة . سورة الأحزاب : الآية « ٢١ » .
(٥) سورة النحل : الآية « ٦٤ » .
(٦) سورة الجمعة : الاية « ٢ » .

صفات الرسل عليهم السلام

لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ كلّ وَاحِدٍ مِنَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُتَّصِفاً بِسُمُوِّ الفِطْرَةِ وَصِحَّةِ العَقْلِ والصِّدْقِ فِي القَوْلِ ، وَالأَمَانَةِ فِي تَبْلِيغِ مَا عُهِدَ إِلَيْهِ بِتَبْلِيغِهِ ، وَالعِصْمَةِ مِنْ كُلِّ مَا يُشَوِّهُ السِّيرَةَ البَشَرِيَّةَ ، وَسَلَامَةَ البَدَنِ مِمَّا تَنْبُو عَنْهُ الأَبْصَارُ ، وَتَنْفُرُ مِنْهُ الأَذْوَاقُ السَّلِيمَةُ وَقُوَّةِ الرُّوحِ بِحَيْثُ لَا تَسْتَطِيعُ نَفْسٌ إِنْسَانِيَّةٌ أَوْ جِنِّيَّةٌ ، أَنْ تُسَيْطِرَ عَلَيْهِ بِسَطْوَةٍ رُوحِيَّةٍ ، لِأَنَّ الجَلَالَ الإِلٰهِيَّ يَمُدُّهُ بِمَدَدٍ مِنْهُ .

وَإِنَّمَا لَزِمَتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ لِلرُّسُلِ لِأَنَّهُ لَوْ انْحَطَّتْ فِطْرَتُهُمْ عَنْ فِطْرَةِ خِيرَةِ أَهْلِ زَمَانِهِمْ ، أَوْ مَسَّ عُقُولَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الضَّعْفِ ، أَوْ تَضَاءَلَتْ أَرْوَاحُهُمْ لِسُلْطَانِ نُفُوسٍ أُخْرَى أَوْ ضَعُفَتْ نُفُوسُهُمْ وَإِرَادَتُهُمْ عَنْ تَنْفِيذِ أَوَامِرِ اللهِ وَنَوَاهِيهِ وَالْتِزَامِ طَاعَتِهِ ، أَوْ كَانُوا عَاجِزِينَ عَنْ تَبْلِيغِ جَمِيعِ مَا عَهِدَ بِهِ اللهُ إِلَيْهِمْ بِتَبْلِيغِهِ بِسَبَبِ خَوْفٍ أَوْ طَمَعٍ أَوْ نِسْيَانٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ، لَوْ أُصِيبُوا بِنَقْصٍ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذَا لَمَا كَانُوا أَهْلاً لِهَذَا الاخْتِصَاصِ الإِلٰهِيِّ الَّذِي يَفُوقُ كُلَّ اخْتِصَاصٍ وَهُوَ : اخْتِصَاصُهُمْ بِالْوَحْيِ وَالْكَشْفِ لَهُمْ عَنْ أَسْرَارِ عِلْمِ اللهِ الَّتِي أُوحِيَتْ إِلَيْهِمْ ، وَلَمَّا كَانُوا أَهْلاً لِهَذَا الاصْطِفَاءِ الرَّبَّانِيِّ ، وَكَذَا لَوْ لَمْ تَسْلَمْ أَبْدَانُهُمْ عَنِ المُنَفِّرَاتِ لَكَانَ انْزِعَاجُ النُّفُوسِ لِمَنْ رَآهُمْ حُجَّةً لِلْمُنْكِرِ لِدَعَوَاتِهِمْ .

أَمَّا فِيمَا عَدَا ذَلِكَ فَالرَّسُولُ بَشَرٌ يَعْتَرِيهِ مَا يَعتَرِي سَائِرَ أَفْرَادِ هَذَا النَّوْعِ مِنَ المَخْلُوقَاتِ ، فَهُوَ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ ، وَيَنَامُ ، وَيَنْكِحُ ، وَيَمْرَضُ ، وَقَدْ يَنْسَى فِيمَا لَا عَلَاقَةَ لَهُ بِتَبْلِيغِ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِتَبْلِيغِهِ ، وَقَدْ يُخْطِيءُ فِي تَصْرِيفِ بَعْضِ الأُمُورِ الإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي تَدْخُلُ فِي بَابِ الاجْتِهَادِ المَأْذُونِ بِهِ . وَلَكِنَّه يُنَبَّهُ لِلخَطَإِ عَنْ طَرِيقِ الوَحْيِ حَتَّى لَا يَكُونَ الخَطَأُ « بِمُقْتَضَى وُجُوبِ التَأَسِّي بِهِ » هُوَ الصَّوَابُ ، وَقَدْ تَمْتَدُّ إِلَيْهِ أَيْدِي الظَّلَمَةِ ، وَيَنَالُهُ الاضْطِهَادُ وَالتعْذِيبُ وَقَدْ يُقْتَلُ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُؤْمَرْ بِالْجِهَادِ .

الرُّســـلُ السَّابِقُونَ :

مِنْهُمْ مَنْ قَصَّهُ اللهُ عَلَيْنَا ، فَذَكَرَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَقْصُصْهُ عَلَيْنَا ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً** ﴾[1] ، فَنُؤْمِنُ بِجَمِيعِهِمْ تَفْصِيلاً فِيمَا فَصَّلَ اللهُ ، وَإِجْمَالاً فِيمَا أَجْمَلَ .

فَأَمَّا الَّذِينَ قَصَّهُم اللهُ عَلَيْنَا فَهُمْ الْمَذْكُورُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾[2] ، وَفِي قَوْلِهِ : ﴿ **إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾[3] ، وَفِي قَوْلِهِ : ﴿ **وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً** ﴾[4] ، وَفِي قَوْلِهِ : ﴿ **وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ** ﴾[5] وَقَالَ : ﴿ **وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً** ﴾[6] ، وَقَالَ : ﴿ **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِن رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** ﴾[7] .

هَؤُلاءِ الرُّسُلُ أَرْسَلَهُمُ اللهُ إِلَى الأُمَمِ فِي جَمِيعِ الْعُصُورِ الْمُتَطَاوِلَةِ فَلَمْ تَخْلُ أُمَّةٌ مِنَ رَسُولٍ يَدْعُوهَا إِلَى اللهِ وَيُرْشِدُهَا إِلَى الْحَقِّ ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :

---

(١) سورة النساء : الآية « ١٦٤ » .
(٢) سورة الأنعام : الآية « ٨٣ : ٨٦ » .
(٣) سورة ال عمران : الآية « ٣٣ » .
(٤) سورة هود : الآية « ٥٠ » .
(٥) سورة الأنبياء : الآية « ٨٥ » .
(٦) سورة هود : الآية « ٦١ » .
(٧) سورة الأحزاب الآية « ٤٠ » .

﴿ تَاللهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّنْ قَبْلِكَ ﴾(١) ، وَيَقُولُ : ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾(٢) وَقَالَ : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾(٣) .

محمد صلى الله عليه وسلم

كَانَ الرُّسُلُ يُبْعَثُونَ إِلَى أُمَمِهِمْ خاصَّةً ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾(٤) ، وَبُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(٥) وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾(٦) .

وَكَانَتْ بَيِّنَاتُ الرُّسُلِ وَمُعْجِزَاتُهُمْ تَتَجَلَّى لِمَنْ يُشَاهِدُهَا أَوْ يَسْمَعُ عَنْهَا سَمَاعاً مُتَوَاتِراً مِمَّنْ شَاهَدَهَا وَجَعَلَ اللهُ بَيِّنَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمُعْجِزَتَهُ المُصَدِّقَةَ لِرِسَالَتِهِ ثَابِتَةً وَمُتَجَدِّدَةً إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ لِتَقُومَ بِهَا الحُجَّةُ عَلَى النَّاسِ .

وَمُحَمَّدٌ ﷺ هُوَ خَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ ، لِذَلِكَ حَفِظَ اللهُ الدِّينَ الَّذِى بُعِثَ بِهِ وَحَفِظَ بَيِّنَاتِهِ وَمُعْجِزَاتِهِ المُصَدِّقَةَ بِرِسَالَتِهِ ﷺ(٧) .

* * *

---

(١) سورة النحل : الآية « ٦٣ » .

(٢) سورة فاطر : الآية « ٢٤ » .

(٣ ، ٤) سورة الرعد : الآية « ٧ » .

(٥) سورة الأنبياء : الآية « ١٠٧ » .

(٦) سورة الفرقان : الآية « ١ » .

(٧) لاستكمال البحث يعاد إلى ما سبق صفحة ٧٨

خَامِساً : الإيمَانُ بِالْيَوْمِ الآخِرِ

الإيمَانُ بِالْيَوْمِ الآخِرِ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْعَقِيدَةِ ، يَجِبُ التَّصْدِيقُ بِهِ لَا مَحَالَةَ ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ : الإيمَانُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ ، وَأَمَارَاتِهَا الَّتِي تَكُونُ قَبْلَهَا لَا مَحَالَةَ وَبِالْمَوْتِ وَمَا بَعْدَهُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِهِ وَنَعِيمِهِ ، وَبِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ ، وَخُرُوجِ الخَلَائِقِ مِنَ القُبُورِ ، وَمَا فِي مَوْقِفِ القِيَامَةِ مِنَ الأَهْوَالِ ، وَالأَفْزَاعِ ، وَتَفَاصِيلِ الحَشْرِ ، وَنَشْرِ الصُّحُفِ ، وَوَضْعِ الْمَوَازِينِ ، وَبِالصِّرَاطِ ، وَالْحَوْضِ ، وَالشَّفَاعَةِ لِمَنْ أَذِنَ اللهُ ، وَبِالْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا ، وَبِالنَّارِ وَعَذَابِهَا ، وَغَيْرِهَا مِنَ الأُمُورِ الَّتِي وَرَدَ ذِكْرُهَا فِي القُرْآنِ أَوْ فِي الصَّحِيحِ مِنَ السُّنَّةِ .

الأَدِلَّةُ عَلَى الإيمَانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ

الأَدِلَّةُ النَقْلِيَّة :

١ ــ إِخْبَارُهُ تَعَالَى عَنْ الْيَومِ الآخِرِ بِقَوْلِهِ : ﴿ **الٓمٓ * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدَىً لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ **وَبِالآخِرَةِ هِمْ يُوْقِنُونَ** ﴾(١) وَبِقَوْلِهِ : ﴿ **وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيدَاً** ﴾(٢) وَقَوْلِهِ : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾(٣) .. وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٌ * وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ** ﴾(٤) وَقَوْلِهِ : ﴿ **وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ** ﴾(٥) ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى**

---

(١) « لا ريب فيه » : أى لا شك فيه . « المتقين » الذين يأتون بالواجبات ويجتنبون المحرمات والشبهات ، يتخذون ذلك وقاية من غضب الله وعذابه . سورة البقرة : الآية « ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ » .

(٢) سورة النساء : الآية « ١٣٦ » .

(٣) سورة يونس : الآيتان « ٧ ، ٨ » .

(٤) سورة الذاريات : الآية « ٥ » .

(٥) سورة الحج : الآية « ٧ » .

وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ﴾(١)، وَقَوْلِهِ : ﴿ **أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾(٢) وَقَوْلِهِ : ﴿ **لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَاأُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ * أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّىَ بَنَانَهُ** ﴾(٣) وَقَوْلِهِ : ﴿ **وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ * إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾(٤). وغَيْرِهَا مِنَ الآيَاتِ .

٢ ــ إِخْبَارُهُ ﷺ لَمَّا قَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَخْبِرْنِى عَنِ الإِيمَانِ قَالَ : « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ »(٥) ، وَنَحْو ذَلِكَ كَثِيرٌ وَكَثِيرٌ .

٣ ــ اتِّفَاقُ جَمِيعِ الأَدْيَانِ السَّمَاوِيَّةِ ، وَإِيمَانُ المَلَايِينِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ ، وَالْمُرْسَلِينَ ، وَالْحُكَمَاءِ ، وَالْعُلَمَاءِ ، وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِ اللهِ ، بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَبِكُلِّ مَا وَرَدَ فِيهِ ، وَتَصْدِيقِهِمْ الجَازِمُ بِذَلِكَ .

الأَدِلَّةُ الْعَقْلِيَّــةُ :

١ ــ صَلَاحُ قُدْرَةِ اللهِ الخَالِقِ عَلَى إِعَادَةِ الخَلَائِقِ بَعْدَ فَنَائِهِمْ لِأَنَّ إِعَادَتَهُمْ لَيْسَتْ بِأَصْعَبَ مِنْ خَلْقِهِمْ ، وَإِيجَادِهِمْ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ .

٢ ــ تَأَكُّدُنَا مِنْ صِدْقِ الرَّسُولِ صَاحِبِ الآيَاتِ وَالْمُعْجِزَاتِ الَّتِى تَشْهَدُ لِلْعُقُولِ بِصِدْقِ رِسَالَتِهِ ، وَعَلِمْنَا أَنَّ اللهَ أَسْرَى بِرَسُولِ اللهِ ، فَرَأَى الجَنَّةَ وَالنَّارَ ، وَحَمَلَ إِلَيْنَا كَلَامَ اللهِ ، الَّذِى خَلَقَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، وَالْحَيَاةَ الأُخْرَى ، وَأَخْبَرَنَا عَنِ

---

(١) سورة التغابن : الآية « ٧ » .
(٢) سورة المطففين : الآية « ٥ » .
(٣) سورة القيامة : الآيات « ١ ــ ٤ » .
(٤) سورة النحل : الآيات « ٣٨ ــ ٤٠ » .
(٥) رواه البخارى ومسلم .

الحَيَاةِ الَّتِى تَنْتَظِرُنَا بَعْدَ مَوْتِنَا .

فَعِلْمُنَا بِالدَّارِ الآخِرَةِ جَاءَنَا مِنْ أَوْثَقِ الْمَصَادِرِ ، مِنَ الَّذِى خَلَقَ الدُّنْيَا والآخِرَةِ ، وَمِنْ رَسُولِهِ الَّذِى رَأَى الجَنَّةَ وَالنَّارَ ، ذَلِكَ وَعْدُ اللهِ وَاللهُ لَا يُخْلِفُ المِيعَادَ .

٣ ـــ وَلَقَدْ أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللهِ بِأَمَارَاتٍ سَتَقَعُ فِى الدُّنْيَا ، تَكُونُ عَلامَةً عَلى قُرْبِ السَّاعَةِ فَشَاهَدْنَا الْكَثِيرَ مِنْهَا . وَمَا شَاهَدْنَا مِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ يُؤكِدُ لَنَا صِدْقَ مَا أَخْبَرَ الرسُولُ بِهِ عَن السَّاعَةِ والآخِرَةِ ، وَكَمَا رَأَيْنَا هَذِهِ الْعَلامَاتِ فِى الدُّنْيَا حقًّا بَعْدَ أَلْفٍ وَأَرْبعمائَةِ عَامٍ فَسَنَرَى الجَنَّةَ وَالنَّارَ حَقًّا ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾(١) .

٤ ـــ خَالِقُ الإِنْسَانِ أَكْمَلُ مِنَ الإِنْسَانِ ، وَالإِنْسَانُ يُحِبُّ الْعَدْلَ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِى خَلَقَ حُبَّ الْعَدْلِ فِى الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ، وَمَا عَدْلُ النَّاسِ جَمِيعاً إِلَّا قَبَسٌ مِنْ عَدْلِ اللهِ ، فَاللهُ هُوَ الْعَدْلُ الْحَكِيمُ .

وَمِنَ الْعَدْلِ أَنْ يُثَابَ الْمُحْسِنُ ، وَيُعَاقَبَ الْمُسِيءُ ، وَلَكِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا لَا يَتحقَّقُ الْعَدْلُ فِيهَا ـــ وَقَدْ عَلِمْنَا عَدْلَ اللهِ ـــ لِذَلِكَ تَجْزِمُ الْعُقُول بِأَنَّ اللهَ لَا بُدَّ أَنْ يُقِيمَ مَوَازِينَ الْعَدْلِ فِى حَيَاةٍ أُخْرَى ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ** ﴾(٢) وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ : ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً** ﴾(٣) .

٥ ـــ وَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ نَجِدُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ وُضِعَ فِى مَكَانِهِ اللَّائِقِ بِهِ ، فَالسَّمَاءُ وَمَا فِيهَا مِنْ نُجُوم وَكَوَاكِبَ ، وَلَيْلٍ وَنَهَارٍ ،

---

(١) سورة الأعراف : الآية « ٤٤ » .
(٢) سورة ن : الآيتان « ٣٥ ، ٣٦ » .
(٣) سورة الأنبياء : الآية « ٤٧ » .

وَالأَرْضُ وَمَافِيهَا مِنْ نَبَاتٍ وَحَيَوَانٍ ، وَإِنْسَانٍ ، وَجَمَادٍ ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَدْ وُضِعَ فِي مَكَانِهِ اللَّائِق بِهِ بِالْحَقِّ .

فَالْقَلْبُ فِي مَكَانِهِ ، وَالْعَيْنُ فِي مَكَانِهَا ، وَالْوَرَقَةُ فِي مَكَانِهَا عَلَى الشَّجَرَةِ ، والزَّهْرَةُ فِي مَكَانِهَا ، وَهَكَذَا . وَلَا نَجِدُ مُخَالَفَةً لِلْحَقِّ فِي الأَرْضِ وَالسَّماءِ إِلَّا فِي حَالِ الإِنْسَانِ ، فَنَجِدُ الظَّالِمَ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ ، وَقَدْ نَجِدُ النَّبِيَّ المُرْسَلَ مُطَارَدَاً يُؤْذِيهِ السُّفَهَاءُ .

فَلِمَاذَا لَا نَرَى الحَقَّ قَائِمَاً فِي حَيَاةِ النَّاسِ ، كَمَا قَامَ فِي خَلْقِ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ؟!.

إِنَّ العُقُولَ تَدُلُّنَا عَلَى أَنَّ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ ، لَا بُدَّ أَنْ يُقِيمَ الْحَقَّ فِي أَحْوَالِ النَّاسِ ، وَإِذَا كَانَ هَذَا لَا يَكُونُ فِي الدُّنْيَا نَظَرَاً لِكَوْنِهَا دَارَ ابْتِلَاءٍ وَامْتِحَانٍ .. فَلَا بُدَّ أَنَّهُ يَتَحَقَّقُ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * وَخَلَقَ اللهُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴾[1] .

٦ ــ وَإِذَا تَأَمَّلَ الإِنْسَانُ كَيْفَ حَفِظَهُ اللهُ وَلَمْ يضعْهُ وَهُوَ نُطْفَةٌ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ، أَوْ هُوَ عَلَقَةٌ كَمَا تَوَلَّى اللهُ حِفْظَهُ سُبْحَانَهُ طِوَالَ حَيَاتِهِ ، مَنْ تَأَمَّلَ هَذَا تَأَكَّدَ أَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ الإِنْسَانَ بِالْمَوْتِ ، وَيَجْعَلُهُ يَذْهَبُ سُدَىً ، فَالْحَكِيمُ الَّذِي يَحْفَظُ الأَجْزَاءَ الصَّغِيرَةَ لَا يُضِيعُ الْخِلْقَةَ التَّامَّة ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدَىً * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّنْ مَّنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى** ﴾[2] .

(١) سورة الجاثية : الآية « ٢١ ، ٢٢ » .
(٢) سورة القيامة : الآيات « ٣٦ ، ٤٠ » .

الحياة البرزخية

يُؤْمِنُ الْمُسْلِمُ بِأَنَّ نَعِيمَ الْقَبْرِ وَعَذَابَهُ ، وَسُؤَالَ الْمَلَكَيْنِ فِيهِ حَقٌّ وَصِدْقٌ ، لِلأَدِلَّةِ الآتِيَةِ :

الأَدِلَّةُ النَّقْلِيَّةُ :

قَالَ تَعَالَى : ﴿ **كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾(١) ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ ... **وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾(٢) وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ** ... ﴾(٣) وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ التَّثْبِيتَ فِي الْحَيَاةِ يَكُونُ عِنْدَ سُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ فِي الْقَبْرِ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوٓا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ** ﴾(٤) .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، فَإِنَّهُ يَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ ، أَتَاهُ مَلَكَانِ ، فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّد ﷺ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ : أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ ، فَيُقَالُ لَهُ : انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ فِي النَّارِ ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَداً فِي الْجَنَّةِ ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعاً ، فَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ ؛ وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوْ الْكَافِرُ ، فَيُقَالُ لَهُ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ ، فَيَقُولُ : لَا أَدْرِي ، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ ، فَيُقَالُ لَهُ : لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ » وَقَالَ ﷺ : « إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ

---

(١) « برزخ » أى حاجز فلا يرجع إلى الدنيا إلى يوم يبعثون . سورة المؤمنون : الآية « ١٠٠ » .

(٢) « حاق » : أحاط . « غدواً وعشياً » : أى صباحاً ومساءاً فى الدنيا . سورة غافر : الآية « ٤٦ » .

(٣) سورة إبراهيم : الآية « ٢٧ » .

(٤) « الهون » : الهوان الشديد والذل البالغ النهاية . سورة الأنعام : الآية « **٩٣** » .

مَقْعَدَهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ، إنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَيُقَالُ : هَذَا مَقْعَدُكَ ، حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .. وَقَالَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَأَتَمُّ التَسْلِيم ــ لَمَّا مَرَّ بِقَبْرَيْنِ : « إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ ، وَأَمَّا الآخَرِ فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ » ، وَكَانَ ﷺ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ » ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الْبَالِغَةِ حَدَّ التَوَاتُرِ .

الأَدِلَّةُ العَقْلِيَّـــةُ :

١ ــ الإِيمَانُ بِاللهِ ، وَمَلاَئِكَتِه ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، يَسْتَلْزِمُ الإِيمَانَ بِعَذَابِ الْقَبْرِ ، وَنَعِيمِهِ ، وَكُلِّ مَا يَجْرِي فِيهِ ، لأَنَّ الْكُلَّ مِنَ الْغَيْبِ ، فَمَنْ آمَنَ بِالْبَعْضِ لَزِمَهُ عَقْلاً الإِيمَانُ بِالْبَعْضِ الآخَرِ .

٢ ــ لَيْسَ عَذَابُ الْقَبْرِ أَوْ نَعِيمِهِ وَمَا يَقَعُ فِيهِ مِنْ سُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ مِمَّا يَنْفِيهِ الْعَقْلِ أَوْ يَجْعَلُهُ مُسْتَحِيلاً بَلِ الْعَقْلُ يُقِرُّهُ وَيَشْهَدُ بِهِ .

إِنَّ النَّائِمَ قَدْ يَرَى الرُّؤْيَا بِمَا يَسُرُّه فَيَتَلَذَّذُ بِهَا ، وَيَنْعَمُ بِتَأْثِيرِهَا فِي نَفْسِهِ ، الأَمْرُ الَّذِي يَحْزَنُ لَهُ أَوْ يَأْسَفُ إِنْ هُوَ اسْتَيْقَظَ .. كَمَا أَنَّهُ قَدْ يَرَى الرُّؤْيَا بِمَا يَكْرَهُ فَيَسْتَاء لَهَا وَيغْتَمَّ ، الأَمْرُ الَّذِي يَجْعَلُهُ يَحْمَدُ مَنْ أَيْقَظَهُ ، فَهَذَا النَّعِيمُ ، أَوْ الْعَذَابُ فِي النَّوْمِ يَجْرِي عَلَى الرُّوحِ حَقِيقَةً ، وَتَتَأَثَّرُ بِهِ ، وَهُوَ غَيْرُ مَحْسُوسٍ ، وَلَا مُشَاهَدٍ لَنَا ، وَلَا أَنْكَرَهُ أَحَدٌ ، فَكَيْفَ يُنْكِرُ إِذَنْ عَذَابَ الْقَبْرِ أَوْ نَعِيمَه ؟

أَهْوَالُ يَوْمِ القِيَامَةِ

نُشَاهِدُ أَهْوَالَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ خِلَالِ الآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وِمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿ **إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا**

الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءودَةُ سُئِلَتْ * بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾[١] وَقَوْلُهُ : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ * إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ﴾[٢] ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ ﴾[٣] ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾[٤] إِلَى آخِرِ الآيَاتِ : « يُرْجَعُ فِي تَفْسِيرِ مَا سَبَقَ مِنَ الآيَاتِ إِلَى كُتُبِ التَّفْسِيرِ » .

الجَنَّةُ وَالنَّــارُ

الجَنَّــةُ :

هِيَ دَارُ الْمُوَحِّدِينَ ، وَدَارُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَدَارُ الَّذِينَ اتَّقُوا رَبَّهُمْ ، وَدَارُ عِبَادِ اللهِ الْمُخْلَصِينَ ، وَدَارُ الَّذِينَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ ، وَدَارُ

---

(١) « كورت » : طويت ولفت . « انكدرت » : تساقطت وتهاوت . « سيرت » : أزيلت من أماكنها . « العشار » : النوق الحوامل . « عطلت » : أهملت بلا داع من شدة الهول . « حشرت » : جمعت من كل مكان . « سجرت » أوقدت فسارت ناراً تضطرم . « زوجت » قرنت كل نفس بشكلها . أو دخلت الأرواح فى أجسامها . « الموءودة » : البنت تدفن حية . « كشطت » : قلعت كما يقلع السقف . « سعرت » : أوقدت وأضرمت للكفار . « أذلفت » : قربت وأدنيت من المتقين . سورة التكوير : من الآية « ١ ــ ١٣ » .

(٢) « وقعت الواقعة » قامت القيامة بالنفخ فى الصور « خافضة رافعة » : خافضة للأشقياء بدخول النار ورافعة للسعداء بدخول الجنة . « رجت » : زلزلت وحركت تحريكاً شديداً . « بست » : فتتت فتاً « هباءً منبثاً » غباراً منتشراً . سورة الواقعة : من الآية « ١ ــ ٦ » .

(٣) « تذهل » تغفل وتشغل لشدة الهول . سورة الحج : الآية « ١ ، ٢ » .

(٤) « الصاخة » : الصيحة تصم الأذن لشدتها وذلك عندالنفخة الثانية فى الصور . سورة عبس : من الآية « ٣٣ ــ ٣٧ » .

المُوفِينَ بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدُوا ، وَدَارُ الْمُجَاهِدِينَ فِى سَبِيلِ اللهِ بِأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَدَارُ التَّائِبِينَ الْعَابِدِينَ الحَامِدِينَ السَّاجِدِينَ ، الآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ .

وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ تَفْصِيلاً فِى كِتَابِهِ الْعَزِيزِ الجَنَّةَ وَنَعِيمَهَا ، وَأَنْهَارَهَا ، وَأَشْجَارَهَا ، وَثِمَارَهَا ، وَطَعَامَهَا ، وَشَرَابَهَا ، وَثِيَابَهَا ، وَحُلَلَهَا وَمَسَاكِنَهَا وَغُرَفَهَا وَحُورَهَا ، وَذَكَرَ أَنَّ نَعِيمَهَا لَا يُشْبِهُ نَعِيمَ الدُّنْيَا قَالَ جَلَّ شَأْنُهُ : ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[1] . وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : قَالَ تَعَالَى : « أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ » .

وَالنَّـــار :

هِيَ دَارُ الْكَافِرِينَ ، وَالْمُسْتَكْبِرِينَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ وَعِبَادَتِهِ ، وَقَدْ وَصَفَ اللهُ وَقُودَهَا وَنِيرَانَهَا الْمُتَأَجِّجَةَ ، وَوَصَفَ طَعَامَهَا وَشَرَابَهَا ، وَوَصَفَ عَذَابَهَا بِمَا يُدْخِلُ الرُّعْبَ فِى قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ وَبِمَا يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ كُلَّ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ أَثِيمٍ ، لِيَرْتَدِعَ عَمَّا هُوَ فِيهِ .

وَأَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً مَنْ لَهُ نَعْلَانِ أَوْ شِرَاكَانِ ، مِنْ نَارٍ يُغْلَى مِنْهُمَا دِمَاغُهُ ، كَمَا يُغْلَى الْمِرْجَلُ ، مَا يَرَى أَنَّ أَحَداً أَشَدُّ مِنْهُ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وَمَنْ أَرَادَ التَّفْصِيلَ فِى أَوْصَافِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ فَعَلَيْهِ بِمُطَالَعَةِ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ يَجِدُ فِيهِمَا الْكَثِيرَ الكَافِي .

ثَمَرَةُ الإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ

الإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الآخِرِ يَجْعَلُ لِحَيَاتِنَا غَايَةً سَامِيَةً ، وَهَدَفاً أَعْلَى ، وَهَذِهِ الْغَايَةُ هِيَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ ، وَتَرْكُ الْمُنْكَرَاتِ ، وَالتَحَلِّي بِالْفَضَائِلِ ، وَالتَخَلِّي عَنِ الرذَائِلِ الضَّارَّةِ بِالأَبْدَانِ ، وَالأَدْيَانِ ، وَالأَعْرَاضِ ، وَالْعُقُولِ ، وَالأَمْوَالِ .

(١) سورة السجدة : الآية « ١٧ » .

كَيْفَ يَكُونُ البَعْثُ

الأُصُولُ الَّتِى رُكِّبَ مِنْهَا الإِنْسَانُ :

يَتكَوَّنُ الإِنْسَانُ مِنْ ثَلاثَةِ أَشْيَاءٍ :

١ ـ الأَصْلُ الَّذِى تَنَاسَلَ مِن آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَاءَ مَعَ النُّطْفَةِ « الْبَذْرَةِ » .

٢ ـ التُّرَابُ الَّذِى جَاءَ فِى صُورَةِ طَعَامٍ ، فَنَمَّى بِهِ الأَصْلُ الَّذِى تَنَاسَلَ مِن آدَمَ ، وَكُوِّنَ الْجِسْمُ الآدَمِىُّ .

٣ ـ الرُّوحُ الَّتِى نُفِخَتْ فِى الْجَنِينِ وَهُوَ فِى بَطْنِ أُمِّهِ .

فَتْرَةُ الامْتِحَانِ وَنهَايَتُهَا :

وَبِامْتِزَاجِ هَذِهِ الْعَنَاصِرِ الثَّلاثَةِ بِأَمْرِ اللهِ يُوجَدُ الإِنْسَانُ الْحَىُّ الَّذِى يَقْضِى فَتْرَةَ الامْتِحَانِ فِى هَذِهِ الدُّنْيَا ، قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ **الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيٰوةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ﴾[١] .. فَإِذَا جَاءَ أَجَلُ انْتِهَاءِ الامْتِحَانِ وَوَقتُ الخُرُوجِ إِلَى دَارِ الْجَزَاءِ جَاءَ الْمَوْتُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾[٢] وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا** ﴾[٣] .

بِالمَوْتِ تَعُودُ الأُصُولُ إِلَى حَالَتِهَا الأُولَى :

وَبِالْمَوْتِ يَعُودُ التُّرَابُ الَّذِى تَكَوَّنَ مِنْهُ الْجَسَدُ ، إِلَى أَصْلِهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ** ﴾[٤] وَيَبْقَى مِنَ

---

(١) « ليبلوكم » : ليختبركم فيما بين الحياة والموت . سورة تبارك : الآية « ٢ » .
(٢) سورة الأعراف : الآية « ٣٤ » .
(٣) سورة المنافقون الآية « ١١ » .
(٤) سورة ق الآية : « ٤ » .

الْجسَدِ عَجَبُ الذَّنب « الْبَذْرَةُ » وَهُوَ الْجُزْءُ الَّذِى رُكِّبَ الإِنْسَانُ مِنْهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَهُوَ الَّذِى كَانَ فِي صُلْبِ آدَمَ ، وَهُوَ شَىْءٌ صَغِيرٌ جداً ، وَلِهَذَا اتَّسعَ صُلْبُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكُلِّ أُصُولِ بَنِيهِ ، وَهَذَا الْجُزءُ لَا تَأْكُلُهُ الأَرْضُ وَلَا يَبْلَى قَالَ عَلَيْهِ وَآلِهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ : « كُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ الأَرْضُ إِلَّا عَجَبَ الذَّنبِ ، مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُركَّبُ »(١) .

وَأَمَّا الرُّوحُ فَتَعُودُ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللّٰهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وَعِنْدَ الْبَعْثِ تَجْتَمِعُ الأَجْزَاءُ الثَّلَاثَةُ مَرَّةً ثَانِيَةً :

فَإِذَا جَاءَ مَوْعِدُ الْبَعْثِ يُنْزِلُ اللّٰهُ مَطَرَاً مِنَ السَّمَاءِ تَنْبُتُ بِهِ الأُصُولُ « الْبُذُورُ » أَىْ عَجَبُ الذَّنبِ الَّذِى لَمْ يَبْلَ ، قَالَ عَلَيْهِ وَآلَهُ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ : « ... ثُم يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ ، وَلَيْسَ مِنَ الإِنْسَان شَىءٌ إِلَّا بلى إِلَّا عَظْمٌ وَاحِدٌ وَهُوَ عَجَبُ الذَّنَبِ مِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »(٢) .

وَشَبِيهُ بِهَذَا مَا يَحْدُثُ فِي الدُّنْيَا ، فَأَنْتَ تَرَى الأَشْجَارَ تَتَحَطَّمُ إِذَا جَاءَ الْجَفَافُ ، فَلَا يَرَى الإِنْسَانُ لِلأَشْجَارِ وَالنَبَاتَاتِ أَىَّ بَقِيَّةٍ إِلَّا الْبَذْرَةَ الَّتِى تَكُونُ مَدْفُونَةً تَحْتَ التُّرَابِ ، أَو الأَحْجَارِ وَلَا تَرَاهَا الْعُيُونُ ، فَإِذَا نَزَلَ الْمَطَرُ انْفَلَقَتْ تِلْكَ الْبُذُور وَأَنْبَتَتِ الأَشْجَارَ وَسَائِرَ النَّبَاتَاتِ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ **يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ وَيُحْيِى الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ** ﴾(٣) وَقَالَ عَلَيْهِ وَآلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِلَّذِى سَأَلَهُ قَائِلاً : يَا رَسُولَ اللّٰهِ كَيْفَ يُعِيدُ اللّٰهُ الْخَلْقَ وَمَا آيَةُ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ ﷺ : « أَمَا مَرَرْتَ بِوَادِى قَوْمِكَ جَدْبَاً ثُمَّ مَرَرْتَ بِهِ يَهْتَزُّ خضِراً ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَتِلْكَ آيَةُ اللّٰهِ فِي خَلْقِهِ ، كَذَلِكَ يُحْيِى اللّٰهُ الْمَوْتَى »(٤) .

---

(١) رواه البخارى ، ومسلم والنسائى ، ومالك فى الموطأ ، وأبو داود .
(٢) أخرجه البخارى ومسلم ومالك فى الموطأ وأبو داود والنسائى .
(٣) سورة الروم : الآية « ١٩ » .
(٤) رواه أحمد بمعناه .

فَإِذَا نَبتَ عَجَبُ الذَّنبِ مِنَ التُّرَابِ ، وَعَادَ الْجَسَدُ جَاءَتْ كُلُّ رُوحٍ إِلَى جَسَدِهَا ، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ** ﴾(١) .

وَهكَذَا يَعُودُ الْخَلْقُ مَرَّةً ثَانِيَةً كَمَا بَدَأَ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ** ﴾(٢) .

الرَدُّ عَلَى الْمُكَذِّبِينَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ

نَكْتَفِي فِي الرَّدِّ عَلَى الْمُكَذِّبِينَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ بِمَا رَدَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ** ﴾(٣) ، وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **أَوَ لَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِى جَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ**

---

(١) سورة التكوير : الآية « ٧ » .

(٢) سورة الأنبياء : الآية « ١٠٤ » .

(٣) « النطفة » : المنى . « العلقة » : قطعة دم جامدة على شكل العلقة لها رأس وذنب . « مضغة » : قطعة لحم قدر ما يمضغ . « مخلقة » مستبينة الخلق مصورة . « أشدكم » : كمال قوتكم وعقلكم . « أرذل العمر » : الخرف والهرم بحيث لا يعلم ولا يعقل شيئاً . « هامدة » : ميتة يابسة قاحلة . « ربت » : ازدادت وانتفخت . « بهيج » : حسن نضير . « لا ريب فيها » : لا شك فيها . « يبعثُ » : يخرج الموتى من قبورهم بأجسامهم كاملة بلحمها وعظمها وعصبها وعروقها كما بدأهم أول مرة . وهذا هو الفرق بين البعث عند اليهود والنصارى الذين يقولون ــ تحريفاً وزوراً ــ بالبعث الروحانى وبين البعث عند المسلمين الذين يعتقدون بالبعث الجسمانى مع الروح . سورة الحج : الآيات من « ٥ إلى ٧ » .

نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوْقِدُونَ * أَوَ لَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونَ * فَسُبْحَانَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾(1) ، وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ * بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُّنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ * أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ * قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ * بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ * أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾(2) .

سادساً : الإيمان بالقدر

مَعْنَى الْقَدَر :

شَاءَ اللهُ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلَائِقَ وَقَضَى أَنْ تَكُونَ بِأَقْدَارٍ وَأَوْصَافٍ مُحَدَّدَةٍ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴾(3) وَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَا سَيَكُونُ فِي مَخْلُوقَاتِهِ فَأَمَرَ الْقَلَمَ أَنْ يَكْتُبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ، مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ﴾(4) ، وَكُلُّ مَا فِي الْوُجُودِ مِنْ حَرَكَاتٍ وَسَكَنَاتٍ مَا يَشَاءُ إِنَّمَا هُوَ كَائِنٌ بِمَشِيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾(5) وَلَا يَحْدُثُ شَيْءٌ إِلَّا بِقُدْرَةِ اللهِ وَمَشِيئَتِهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ ... ﴾(6) فَمَا شَاءَ اللهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ .

---

(1) « خصيم » مبالغ فى الخصومة بالباطل « رميم » : بالية أشد البلاء . « ملكوت » : أى الملك كله لا يفلت من ذلك مثقال ذرة ولا أصغر . سورة يس : الآيات « ٧٧ إلى ٨٤ » .

(2) سورة ق : الآيات « ١ إلى ٦ » .

(3) « فقدره » : فهيأه لما يصلح له ويليق به بإحكام وإتقان بديع . سورة الفرقان : الآية « ٢ » .

(4) سورة الحج : الآية « ٧٠ » .

(5) سورة الروم : الآية « ٥٤ » .

(6) سورة الكهف : الآيتان « ٢٣ ، ٢٤ » .

الإِيمَانُ بِالْقَدَرِ :

وَالإِيمَانُ بِالْقَدَرِ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الإِيمَانِ كَمَا بَيَّنَهُ الرَّسُولُ ﷺ فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ بِقَوْلِهِ : « وَأَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » ،وَلَا يَسْتَطِيعُ الإِنْسَانُ أَنْ يُحِيطَ عِلْمَاً بِأَسْرَارِ اللهِ سُبْحَانَهُ ، إِلَّا إِذَا كَانَ عِلْمُهُ كَعِلْمِ اللهِ ــ وَهَذَا أَمْرٌ مُسْتَحِيلٌ ــ أَلَا تَرَى إِلَى مَا يَقُومُ بِهِ الأَطِبَّاءُ ، وَالْخُبَرَاءُ ، وَالمُهَنْدِسُونَ مِنْ أَعْمَالٍ ، لَا يَعْرِفُ غَيْرُهُمْ تَمَامَ الْحِكْمَةِ مِنْهَا إِلَّا مَنْ بَلَغَ فِي عِلْمِهِ دَرَجَةَ عِلْمِهِمْ .

وَلَوْ رَأَى أَحَدُ الْجُهَّالِ مَثَلاً طَبِيباً يَفْتَحُ بَطْنَ مَرِيضٍ وَيَقُصُّ الأَمْعَاءَ ، لَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ اعْتِرَاضاً ، لَكِنَّهُ عِنْدَمَا يَعْرِفُ أَنَّ الطَّبِيبَ حَكِيمٌ فِي تَصَرُّفَاتِهِ ، خَبِيرٌ فِي عَمَلِهِ فَإِنَّهُ يَتَنَازَلُ عَنْ رَأْيِهِ وَاعْتِرَاضِهِ ، مُعْتَرِفاً بِجَهْلِهِ أَمَامَ عِلْمِ الطَّبِيبِ .

وَالْمُؤْمِنُ يَعْرِفُ لِرَبِّهِ الْكَمَالَ الأَعْلَى فَتَرَاهُ مُؤْمِناً بِأَنَّ كُلَّ عَمَلٍ لَا يَحْدُثُ إِلَّا وَلَهُ حِكْمَةٌ ، وَإِذَا غَابَت عَنْهُ الْحِكْمَةُ الإِلَهِيَّةُ فِي أَمْرٍ مِنَ الأُمُورِ عَرِفَ جَهْلَهُ أَمَامَ عِلْمِ اللهِ وَتَرَكَ الاعْتِرَاضَ عَلَى الْحَكِيمِ ، الْخَبِيرِ ، الْعَلِيمِ القَائِلِ : ﴿ **لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ** ﴾(١) .

مِنْ ثِمَارِ الإِيمَانِ بِالقَدَرِ :

مَنْ آمَنَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ تَرَاهُ حَرِيصاً عَلَى مَعْرِفَةِ أَقْدَارِ الْخَيْرِ لِيَدْفَعَ بِهَا أَقْدَارَ الشَّرِّ ، فَهُوَ يَدْفَعُ قَدَرَ الجُوعِ بِقَدَرِ الطَّعَامِ ، وَقَدَرَ الْمَرَضِ بِقَدَرِ الدَّوَاءِ ، وَقَدَرَ الْفَقْرِ ، بِقَدَرِ السَّعْيِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ .

وَمَنْ آمَنَ بِقَدَرِ اللهِ سُبْحَانَهُ تَرَاهُ لَا يَأْسَى عَلَى مَا فَاتَهُ ، وَلَا يُصِيبُهُ الْيَأْسُ بِسَبَبِ كَثْرَةِ المَصَائِبِ ، وَلَا يَفْتَخِرُ ، أَوْ يَتَكَبَّرُ مَهْمَا أُوتِيَ مِنْ حُظُوظٍ ، مُؤْمِناً بِقَولِهِ تَعَالَى : ﴿ **مَا أَصَابَ مِّنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ * لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ**

---

(١) سورة الأنبياء : الآية « ٢٣ » .

وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[1] .

وَمَنْ آمَنَ بِقَدَرِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ ، وَعَرَفَ عَجْزَهُ ، وَحَاجَتَهُ إِلَى خَالِقِهِ ، تَرَاهُ صَادِقاً فِي تَوَكُّلِهِ عَلَى رَبِّهِ ، يَأْخُذُ بِالأَسْبَابِ الَّتِي قَدَّرَ اللهُ أَقْدَارَهَا ، وَيَطْلُبُ مِنْ رَبِّهِ الْعَوْنَ عَلَى مَا أَعْجَزَهُ مِنْهَا ، يُرَدِّدُ فِي يَقِينٍ قَوْلَ اللهِ : **﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾**[2] .

شُبْهَتَانِ

الشُّبْهَةُ الأُولَى :

يَزْعُمُ بَعْضُ الْجَهَلَةِ أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي أَضَلَّهُمْ وَأَرْغَمَهُمْ عَلَى عَدَمِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَسَائِرِ الطَّاعَاتِ ، وَهَدَى غَيْرَهُمْ ، مُتَذَرِّعِينَ بِقَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ لِرَسُولِهِ : **﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾**[3] .

إِنَّ الَّذِينَ يُرَدِّدُونَ هَذِهِ الشُّبْهَةَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْهِدَايَةَ قِسْمَانِ :

١ ـ هِدَايَةُ إِرْشَادٍ .
٢ ـ هِدَايَةُ إِعَانَةٍ .

أَمَّا هِدَايَةُ الإِرْشَادِ فَهِيَ كَمَنْ يَدُلُّكَ عَلَى الطَّرِيقِ الَّذِي يُوَصِّلُكَ إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي تُرِيدُ ، ثُمَّ يَتْرُكُكَ فَهُوَ قَدْ هَدَاكَ إِلَى الطَّرِيقِ وَأَرْشَدَكَ .

وَرُسُلُ اللهِ يَقُومُونَ بِهَذِهِ الْهِدَايَةِ لِلْبَشَرِيَّةِ ، فَهُمْ يُرْشِدُونَ النَّاسَ إِلَى الطَّرِيقِ

---

(١) « نبرأها » : نخلقها . « لا تأسوا » : تحزنوا « ولا تفرحوا » : فرح بطر واختيال . « مختال » متكبر مباه متطاول بما أوتى من فضل الله سورة الحديد : الآيتان « ٢٢ ، ٢٣ » .
(٢) سورة التوبة : الآية « ٥١ » .
(٣) سورة القصص : الآية « ٥٦ » .

الَّذِى يُوَصِّلُهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ ، قَالَ تَعَالَى : مُخَاطِبَاً رَسُولَ اللهِ ﷺ : ﴿ **وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾[1] .

أَمَّا هِدَايَةُ الإِعَانَةِ ، فَمَثَلُهَا كَمَثَلِ شَخْصٍ كَرِيمٍ رَحِيمٍ وَدُودٍ ، سَأَلْتَهُ عَنِ الطَّرِيقِ إِلَى الْبَيْتِ الَّذِى تُرِيدُ ، فَأَرْشَدَكَ إِلَيْهِ ، فَطَلَبْتَ مِنْهُ الْعَوْنَ ، فَحَمَلَكَ عَلَى سَيَّارَتِهِ ، وَأَخَذَ بِيَدِكَ إِلَى هَدَفِكَ ، فَهَذِهِ هِدَايَةُ إِعَانَةٍ وَهَذِهِ لَا تَكُونُ إِلَّا لِشَخْصٍ قَبِلَ هِدَايَةَ الإِرْشَادِ وَطَلَبَ الْعَوْنَ .

وَإِذَا كَانَ الرُّسُلُ يَقُومُونَ بِهِدَايَةِ الإِرْشَادِ فَهُمْ لَا يَمْلِكُونَ هِدَايَةَ التَّوْفِيقِ وَالْمَعُونَةِ لأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَا يُعطِيهَا إِلَّا لِمَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَسْتَحِقُّهَا ، قَالَ تَعَالَى : مُخَاطِبَاً نَبِيِّنَا مُحَمدًا ﷺ : ﴿ ... **إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ ، فَهُوَ الْعَادِلُ الَّذِى يَهْدِى مَنْ قَبِلَ هِدَايَةَ الإِرْشَادِ بِهِدَايَةِ التَّوْفِيقِ وَالإِعَانَةِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدَىً وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ** ﴾[2] .

وَلَا يُضِلُّ سُبْحَانَهُ إِلَّا مَنْ يَسْتَحِقُّ الإِضْلَالَ مِمَّنْ رَفَضَ هِدَايَةَ الإِرْشَادِ ، وَزَاغَ عَنِ الطَّرِيقِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الفَاسِقِينَ** ﴾[3] .

الشُّبْهَةُ الثَّانِيَةُ :

يَقُولُ بَعْضُ الْجَهَلَةِ : إِنَّ مَا كَتَبَهُ اللهُ فِى اللَّوْحِ ، هُوَ الَّذِى جَعَلَ تَارِكَ الصَّلَاةِ تَارِكَاً للصَّلَاةِ ، وَجَعَلَ الْمُصلِّى مُصَلِّياً ، وَهَذَا وَهْمٌ لِأَنَّ الْمُصَلِّى يَقُومُ إِلَى الصَّلَاةِ بِاخْتِيَارِهِ ، دُونَ إِجْبَارٍ ، وَتَارِكَ الصَّلَاةِ يَتْرُكُهَا دُونَ إِكْرَاهٍ أَوْ إِجْبَارٍ ، وَهَذَا مَا يَعْرِفُهُ كُلُّ إِنْسَانٍ ، لِأَنَّ اللهَ أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ الإِنْسَانَ وَلَهُ حُرِّيَّةٌ وَاخْتِيَارٌ .

---

(١) سورة الشورى : الآية « ٥٢ » .

(٢) سورة محمد : الآية « ١٧ » .

(٣) « زاغوا » : مالوا عن الحق باختيارهم . « أزاغ الله قلوبهم » : حرمهم التوفيق لاتباع الحق الذى جاء به محمد ﷺ . سورة الصف الآية « ٥ » .

أَمَّا إِذَا سَأَلَ السَّائِلُ : كَيْفَ لَا يَكُونُ مَا قَدْ كُتِبَ فِي اللَّوْحِ مُجْبِراً لِلإِنْسَانِ عَلَى الْعَمَلِ ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ كُتِبَ مُنْذُ الأَزَلِ ؟ فَنَقُولُ : إِنَّ الأَمْرَ سَهْلٌ ، يُوضِّحُهُ هَذَا الْمِثَالُ :

أَلَا تَرَى أَنَّ الأُسْتَاذَ الذَكِيَّ الْخَبِيرَ بِأَحْوَالِ طُلَّابِهِ ، الَّذِى يَضَعُ أَسْئِلَةَ الامْتِحَانِ ، لَوْ أَنَّهُ كَتَبَ فِي وَرَقَةٍ ، أَسْمَاءَ مَنْ هُوَ مُتَأَكِّدٌ أَنَّهُمْ سَيَرْسُبُونَ فِي الامْتِحَانِ ، وَبَيَّنَ أَسْمَاءَ مَنْ هُوَ مُتَأَكِّدٌ مِنْ نَجَاحِهِمْ . ثُمَّ جَاءَ الامْتِحَانُ وَظَهَرَتْ النَتِيجَةُ ، ثُمَّ جَاءَ الَّذِينَ رَسَبُوا مُحْتَجِّينَ بِقَوْلِهِمْ : إِن مَا كَتَبَهُ الأُسْتَاذُ عَلَيْنَا فِي الْوَرَقَةِ بِأَنَّنَا سَنَرْسُبُ هُوَ السَّبَبُ فِي رُسُوبِنَا ! فَهَلْ سَيُقْبَلُ عُذْرُهُمْ ؟ أَمْ أَنَّهُ سَيُقَالُ لَهُمْ : إِنَّ مَا كَتَبَهُ الأُسْتَاذُ فِي الْوَرَقَةِ أَمْرٌ مُتَعَلِّقٌ بِعِلْمِهِ وَخِبْرَتِهِ السَّابِقَةِ بِأَحْوَالِكُمْ . وَرُسُوبُكُمْ مُتَعَلِّقٌ بِإِهْمَالِكُمْ ، فَلَا تَعْتَذِرُوا لإِهْمَالِكُمْ بِعِلْمِ الأُسْتَاذِ وَخِبْرَتِهِ ـــ « وَلله الْمَثَلُ الأَعْلَى » فَهُوَ سُبْحَانَهُ خَالِقُ الْخَلْقِ ، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِأَحْوَالِهِمْ » قَالَ تَعَالَى : ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾(١) ، وَلَقَدْ خَلَقَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ لِقَضَاءِ فَتْرَةِ الامْتِحَانِ عَلَى هَذِهِ الدُّنْيَا وَهُوَ جَلَّ شَأْنُهُ يَعْلَمُ نَتِيجَةَ الامْتِحَانِ ، فَكَتَبَ الشَقَاءَ عَلَى الأَشْقِيَاءِ ، وَكَتَبَ السَعَادَةَ لِلسُّعَدَاءِ . حَسْبَ عِلْمِهِ الْمُحِيطِ بِمَا كَانَ وَمَا سَيَكُونُ .

وَرُبَمَا أَخْطَأَ الأُسْتَاذُ فِي تَقْدِيرِهِ لِنَتَائِجِ طُلَّابِهِ ، لَكِنَّ قَدَرَ اللهِ لَا يُخْطِيءفِي تَقْدِيرِهِ لأَعْمَالِ خَلْقِهِ ، وَالْكِتَابَةُ فِي اللَّوْحِ أَمْرٌ ، مُتَعَلِّقٌ بِعِلْمِ اللهِ السَّابِقِ ، فَتَرْكُ الصَّلَاةِ مَثَلاً أَمْرٌ مُتَعَلِّقٌ بِتَمَرُّدِ وَإِهْمَالِ وَمَعْصِيَةِ تَارِكِ الصَّلَاةِ . وَقَدْ أَرَادَ الْجَاهِلُونَ أَنْ يَعْتَذِرُوا لِلْمَعْصِيَةِ وَالضَّلَالِ بِعِلْمِ اللهِ وَكَمَالِهِ .

إِنَّ عِلْمَ اللهِ سَابِقٌ لَا سَائِقٌ ، وَلَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ رَسُولَهُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَرَأَيْنَا فِيمَا سَبَقَ فِي عَلَامَاتِ السَّاعَةِ ، أَنَّ كَثِيراً مِنَ الأَشْيَاءِ الَّتِي ذَكَرَهَا الرَّسُولُ ﷺ وَكَتَبَهَا الْمُسْلِمُونَ فِي كُتُبِ الْحَدِيثِ ، تَقَعُ الآنَ .

فَهَلْ يَزْعُمُ شَخْصٌ : أَنَّ كِتَابَةَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يَحْدُثُ الآنَ هُوَ الَّذِى أَحْدَثَهَا ؟ إِنَّ الْعِلْمَ سَابِقٌ ، لَا سَائِقٌ .

(١) سورة الملك : الآية « ١٤ » .

مقتضيات الإيمان

١ ــ التَّصْدِيقُ بِكُلِّ مَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ :

فَالْمُؤْمِنُ يُصَدِّقُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ ، أَوْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ ﷺ تَصْدِيقاً جَازِماً لَا يُخَالِطُهُ شَكٌّ وَلَا رَيْبٌ .

وَالْمُؤْمِنُ يُؤْمِنُ أَنَّ كُلَّ مَا خَالف أَوْ يُخَالِفُ مَا أَخْبَرَ بِهِ اللهُ سُبْحَانَهُ فَهُوَ بَاطِلٌ مَهْمَا زَيَّنَهُ أَصْحَابُهُ أَوْ زَيَّفُوهُ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ بِأَنَّ الدِّينَ مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَلِيمِ ، الْحَكِيمِ الَّذِى أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَاً ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ * أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ** ﴾(١) .

٢ ــ طَاعَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَطَاعَةُ رَسُولِهِ ﷺ :

وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ، وَتَيَقَّنَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ، وَأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ رَتَّبَ الأَجْرَ وَالثَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ، وَالامْتِثَالِ لأَوَامِرِهِ وَأَوَامِرِ رَسُولِهِ ﷺ فَإِنَّ إِيمَانَهُ بِذَلِكَ يُلْزِمُهُ الاسْتِسْلَامَ لأَوَامِرِ اللهِ وَرَسُولِهِ فَالْمُؤْمِنُ يَتَحَرَّى فِي كُلِّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ أَنْ يَكُونَ عَمَلُهُ مُوَافِقاً لِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً** ﴾(٢) وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً** ﴾(٣) ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ

---

(١) « بالدين » : بالبعث والجزاء . سورة التين : الآيتان « ٧ ، ٨ » .

(٢) سورة النساء : الآية « ٦٩ » .

(٣) سورة النساء : الآية « ٨٠ » .

الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى » ، قِيلَ : وَمَنْ يَأْبَى ؟ قَالَ : « مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى »(١) .

٣ ــ أَدَاءُ الْفَرَائِضِ :

فَالْقَلْبُ إِذَا عُمِرَ بِالإِيمَانِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَقْتَضِي أَنْ تَنْبَعِثَ الْجَوَارِحُ بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، وَالاجْتِهَادِ فِي أَدَاءِ الْفَرَائِضِ .

وَأَمَّا مَنْ لَا يُؤَدِّي الْفَرَائِضَ ، وَيَدَّعِي أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَلا شَكَّ أَنَّهُ كَاذِبٌ قَدْ خَدَعَهُ الشَّيْطَانُ ، وَزَيَّنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ ، فَلَوْ أَنَّ قَلْبَهُ صَلَحَ بِالإِيمَانِ لَصَلَحَ جَسَدُهُ كُلُّهُ بِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ »(٢) .

٤ ــ الْقِيَامُ بِالْوَاجِبَاتِ وَالانْتِهَاءُ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ :

وَلَا يَتِمُّ إِيمَانُ الْمَرْءِ إِلَّا بِقِيَامِهِ بِمَا أَوْجَبَهُ اللهُ عَلَيْهِ ، وَانْتِهَائِهِ عَمَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَيْهِ ، طِبْقاً لِمَا جَاءَنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾(٣) .

٥ ــ التَّوْبَةُ وَالاسْتِغْفَارُ :

إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا اسْتَزَلَّهُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبَ فَأَوْقَعَهُ فِي شَيْءٍ مِمَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يُسَارِعُ إِلَى التَّوْبَةِ وَذَلِكَ بِالنَّدَمِ عَلَى مَا فَرَّطَ فِي جَنْبِ اللهِ ، وَلَا يُصِرُّ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ، وَيَطْلُبُ الْمَغْفِرَةَ مِنَ اللهِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي وَصْفِ

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة .
(٢) متفق عليه .
(٣) سورة الحشر : الآية « ٧ » .

عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ : ﴿ ... **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾[1] وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾[2] .

٦ ــ الأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَهْىُ عَنِ الْمُنْكَرِ :

وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْىُ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنْ مُقْتَضَيَاتِ الإِيمَانِ ، وَمِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ** ﴾[3] ، وَالارتِبَاطُ بَيْنَ قُوَّةِ الإِيمَانِ فِى قَلْبِ الْمُؤْمِنِ ، وَقِيَامِهِ بِالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ارْتِبَاطٌ وَثِيقٌ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرَاً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ ﴾[4] وَفِى رِوَايَةٍ : « لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ حَبَّةُ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ » .

وَالْمُؤْمِنُ لَا يُفَرِّطُ فِى الْقِيَامِ بِالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، لِأَنَّهُ إِذَا تَرَكَ هَذِهِ الْفَرِيضَةَ فَإِنَّ مَصِيرَهُ إِلَى الْخُسْرَانِ ، فَضْلاً عَنْ أَنْ يَظَلَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِى خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** ﴾[5] .

---

(١) « فاحشة » : معصية كبيرة متناهية فى القبح كالقتل بغير حق والربا وأكل مال اليتيم وغير ذلك « ولم يصروا » : ولم يستمروا على فعل المعاصى بل أقلعوا عنها وندموا على ما فات وعزموا على عدم العودة إلى الذنوب التى تابوا منها . سورة آل عمران : الآية « ١٣٥ » .

(٢) سورة الزمر : الآية « ٥٣ » .

(٣) سورة التوبة الآية « ٧١ » .

(٤) رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى .

(٥) سورة العصر .

٧ ــ دَعْوَةُ النَّاسِ إِلَى دِينِ اللهِ وَجِهَادُ الصَّادِّينَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ :

إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا ذَاقَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ ، وَتَمَكَّنَ حُبُّ اللهِ مِنْ قَلْبِهِ ، فَإِنَّهُ يَسْعَى جَاهِدًا فِي أَنْ يُبْعِدَ نَفْسَهُ وَأَهْلَهُ وَالنَّاسَ جَمِيعاً مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَالإِلْحَادِ وَالْغَفْلَةِ إِلَى نُورِ الإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ وَالْهِدَايَةِ ، فَهُوَ يَدْعُو إِلَى اللهِ مُتَحَمِّلاً أَذَى النَّاسِ ، مُحْتَسِباً الأَجْرَ وَالثَّوَابَ عِنْدَ اللهِ سُبْحَانَهُ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾[1] وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوإِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾[2] . وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ دَعَا إِلَى هُدَىً كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً »[3] .

وَأَمَّا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ، وَيَقِفُونَ حَائِلاً بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَ الدُّخُولِ فِي دِينِ اللهِ ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ مُكَلَّفٌ بِأَنْ يُجَاهِدَهُمْ حَتَّى يُمَكِّنَ لِدِينِ اللهِ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى كَافَّةِ النَّاسِ ، فَيُؤْمِنُ مَنْ آمَنَ عَنْ بَيِّنَةٍ ، وَيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ قَالَ تَعَالَى : ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[4]. وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ** ﴾[5] .

٨ ــ مُوَالَاةُ الْمُؤْمِنِينَ وَالتَّبَرُّؤُ مِنَ الْكَافِرِينَ :

الْوَلَاءُ : هُوَ حُبٌّ وَوُدٌّ وَمُنَاصَرَةٌ وَتَأْيِيدُ الْمُؤْمِنِ لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ ، وَمِنْ أَهَمِّ

---

(١) سورة فصلت : الآية « ٣٣ » .

(٢) سورة يوسف : الآية « ١٠٨ » .

(٣) رواه مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) سورة الصف : الآية « ١٣ » .

(٥) سورة الأنفال : الآية « ٣٩ » .

مُقْتَضَيَاتِ الإِيمَانِ أَنْ يَسْتَكْمِلَ الْمُؤْمِنُ وَلَاءَهُ لِإِخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا يُعْطِى الْمُؤْمِنُ وَلَاءَهُ عَلَى غَيْرِ أَسَاسِ الإِيمَانِ . قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۞ ومَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾(١) وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾(٢) .

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ لِلْمُؤْمِنِ أُسْوَةً حَسَنَةً فِى التَّبَرُّؤِ مِنَ الْكَافِرِينَ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِى إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ** ﴾(٣) .



---

(١) سورة المائدة : الآية « ٥٥ » .

(٢) سورة التوبة : الآية « ٧١ » .

(٣) سورة الممتحنة : الآية « ٤ » .

نَوَاقِضُ الإيمَانِ

أولاً : الْكُفْرُ وَأَنْوَاعُهُ

أ ــ كُفْرُ التَّكْذِيبِ :

وَهُوَ اعْتِقَادُ كذب الرَّسُولِ ﷺ فِى أَىِّ شَىْءٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ * ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ** ﴾(١) .

ب ــ كُفْرُ إِبَاءٍ وَاسْتِكْبَارٍ :

وَهُوَ مِثْلُ كُفْرِ إِبْلِيسَ ، فَإِنهُ لَمْ يَجْحَدْ أَمْرَ اللهِ وَلَا قَابَلَهُ بِالإِنْكَارِ ، وَإِنَّمَا تَلَقَّاهُ بِالإِبَاءِ وَالاسْتِكْبَارِ ، وَهُوَ مِثْلُ حَالِ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ دِينَ الإِسْلَامِ هُوَ دِينُ الْحَقِّ الَّذِى لَا يَقْبَلُ اللهُ سِوَاهُ ، وَالَّذِى فِيهِ صَلَاحُهُ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، ثُمَّ يَتْرُكُهُ ، وَيَتَّخِذُ لَهُ دِيناً أَوْ مَذْهَباً مِنْ صُنْعِ الْبَشَرِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾(٢) .

جـ ــ كُفْرُ الإِعْرَاضِ :

وَهُوَ الإِعْرَاضُ عَمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ فَلَا يُصَدِّقُهُ وَلَا يُكَذِّبُهُ وَلَكِنَّهُ يُعْرِضُ عَنْهُ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ** ﴾(٣) .

---

(١) « زبر » : كتب مكتوبة . سورة فاطر : الاية « ٢٦ » .

(٢) سورة البقرة : الآية « ٣٤ » .

(٣) سورة السجدة : الآية « ٢٢ » .

د ـ كُفْرُ الشَّك :

وَهُوَ الَّذِى يَشُكُّ فِي مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلا يَجْزمُ بِصِدْقِهِ وَلَا بِكَذِبِهِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيب** ﴾(١) .

هـ ـ كُفْرُ الجُحُودِ :

وَهُوَ أَنْ يَجْحَدَ جُمْلَةَ مَا أَنْزَلَهُ اللهُ ، أَوْ يَجْحَدَ شَيْئاً مِمَّا هُوَ مَعْلُومٌ بِالضَّرُورَةِ مِنَ الإِسْلَامِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ** ﴾(٢) .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ** ﴾(٣) .

* * *

ثانياً : الشِّرْكُ وَأَنْوَاعُهُ

قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾(٤) وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً** ﴾(٥) والشِّرْكُ يَتَنَاقَضُ مَعَ الإِيمَانِ ، وَهُوَ أَنْوَاعُ :

---

(١) سورة إبراهيم : الآية « ٩ » .
(٢) سورة النمل : الآية « ١٤ » .
(٣) سورة الأنعام : الآية « ٣٣ » .
(٤) سورة الزمر : الآية « ٦٥ » .
(٥) سورة النساء : الآية « ٤٨ » .

أ ــ شِرْكُ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَلَكِنَّهُ يَجْعَلُ لَهُ شَرِيكاً فِي الْمُلْكِ وَالتَّصَرُّفِ فِي الْمَخْلُوقَاتِ : خَلْقاً ، وَحَيَاةً ، وَرِزْقاً ، وَمَوْتاً ، وَضُرًّا ، وَنَفْعاً :

وَهَذَا الشِّرْكُ كَشِرْكِ النَّصَارَى وَالْمَجُوسِ ، إِذْ يَعْتَقِدُ النَّصَارَى أَنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ ــ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيراً ــ وَيَعْتَقِدُ الْمَجُوسُ أَنَّهُ ثَانِيَ اثْنَيْنِ ــ تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُونَ ــ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَٰاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً** ﴾[1] .

ب ــ شِرْكُ مَنْ يَصِفُ نَفْسَهُ أَوْ غَيْرَهُ بِصِفَاتِ الكَمَالِ :

وَهِيَ الصِّفَاتُ الَّتِي لَا تَكُونُ إِلَّا للهِ ، كَقَوْلِ فِرْعَوْنَ : ﴿ **أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى** ﴾[2] ، أَو مَنْ يَجْحَدُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِ كَمَالِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، كَقَوْلِ فِرْعَوْنَ : ﴿ **وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾[3] ، وَقَولِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً** ﴾[4] وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّى لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ** ﴾[5] .

جـ ــ شِرْكُ مَنْ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ بِأَيِّ لَوْنٍ مِنْ أَلْوَانِ الْعِبَادَةِ :

قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً** ﴾[6] وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّى أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ** ﴾[7] وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَلَقَدْ**

---

(١) سورة الفرقان : الآية « ٢ » .
(٢) سورة النازعات الآية « ٢٤ » .
(٣) سورة الشعراء الآية « ٢٣ » .
(٤) سورة الفرقان : الآية « ٦٠ » .
(٥) سورة الرعد : الآية « ٣٠ » .
(٦) سورة النساء : الآية « ٣٦ » .
(٧) سورة الزمر : الآية « ٦٤ » .

أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾(١) .

* * *

ثالثاً : الــرِّدَّةُ

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(٢) .

وَالْمرْتَدُّ هُوَ مَنْ تَرَكَ دِينَ الإِسْلَامِ وَهُوَ عَاقِلٌ مُخْتَارٌ ، غَيْرَ مُكْرَهٍ إِلَى دِينٍ آخَرَ ، كَالنَّصْرَانِيَّةِ ، أَوْ الْيَهُودِيَّةِ ، أَوْ إِلَى غَيْرِ دِينٍ كَالشُّيُوعِيَّةِ ، أَوْأَنْكَرَ مَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنَ الدِّينِ ضَرُورَةً ، كَوُجُوبِ الصَّلَاةِ وَالزَكَاةِ ، أَوْ عَمِلَ أَعْمَالاً ضِدَّ الإِسْلَامِ وَمَنَاهِجِهِ الْمَعْلُومَةِ أَوْ قَالَ قَوْلاً لَا يَحْتَمِلُ تَأْوِيلاً غَيْرَ الْكُفْرِ .

بِمَاذَا تَحْصُلُ الرِّدَّةُ ؟

أ ــ رِدَّةُ الاعْتِقَادِ وَمِنْهَا مَا يَلِي :

١ ــ اتَّفَقَ عُلَمَاءُ الإِسْلَامِ عَلَى أَنَّ مَنْ أَشْرَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِاللهِ ، أَوْ جَحَدَ بِهِ ، أَوْ نَفَى صِفَةً ثَابِتَةً مِنْ صِفَاتِهِ لَا يَجْهلُهَا مِثْلُهُ ، أَوْ أَثْبَتَ لَهُ شَيْئاً أَنْكَرَهُ كَالْوَلَدِ ، أَوْ كَذَّبَ بِالْمَلَائِكَةِ أَوِ الْكُتُبِ أَو الرُّسُلِ ، أَوِ الْيَوْم الآخِرِ ، أَوِ الْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، أَوْ أىَ أَمْرٍ علم مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ فَهُوَ مُرْتَدٌّ كَافِرٌ .

٢ ــ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنَّهُ مُرْتَدٌّ مَنْ جَحَدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ أَوْ بَعْضَهُ وَلَوْ آيَة مِنْهُ ، كَمَا تَكُونُ الرِّدَّةُ بِاعْتِقَادِ تَنَاقُضِ الْقُرْآنِ وَاخْتِلَافِهِ ، أَوِ الشَّكِّ فِي

---

(١) سورة الزمر : الآيتان « ٦٥ ، ٦٦ » .

(٢) سورة البقرة : الآية « ٢١٧ » .

إِعْجَازِهِ ، أَوِ ادِّعَاءِ الْقُدْرَةِ عَلَى الإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ ، أَوْ إِسْقَاطِ حُرْمَتِهِ ، أَوِ الزِّيَادَةِ فِيهِ ، أَوِ النَّقْصِ مِنْهُ .

٣ ــ يُعْتَبَرُ كَافِراً مُرْتَدًّا مَنِ اعْتَقَدَ كَذِبَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ مَا جَاءَ بِهِ ، وَمَنِ اعْتَقَدَ حِلَّ شَيْءٍ مُجْمَعٍ عَلَى تَحْرِيمِهِ كَالزِّنَا وَشُرْبِ الخَمْرِ .

ب ــ ردة الأَقْوَالِ ، ومنها ما يلي :

١ ــ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ مِلَّةِ الإِسْلَامِ كَاذِباً . فَعَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الإِسْلَامِ كَاذِباً فَهُوَ كَمَا قَالَ »[١] .

وَعَنْ بُرَيْدَةَ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ قَالَ : إِنِّي بريءٌ مِنَ الإِسْلَامِ فَإِنْ كَانَ كَاذِباً فَهُوَ كَمَا قَالَ ، وَإِنْ كَانَ صَادِقاً لَمْ يَعُدْ إِلَى الإِسْلَامِ سَالِماً »[٢] .

٢ ــ مَنْ سَبَّ اللهَ تَعَالَى ، أَوِ الْقُرْآنَ ، أَوِ الرَّسُولَ ، أَوْ أَحَداً مِنَ الأَنْبِيَاءِ فَقَدْ كَفَرَ سَوَاءً كَانَ مَازِحاً أَوْ جَادًّا ، أَوْ مُسْتَهْزِئاً ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ** ﴾[٣] .

٣ ــ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ مَنْ رَمَى أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ــ بِحَدِيثِ الإِفْكِ الَّذِي بَرَّأَهَا اللهُ مِنْهُ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ ، قَالَ سُبْحَانَهُ ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِءٍ مِّنْهُمْ مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ** ﴾

---

(١) رواه الجماعة إلا أبا داود .

(٢) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وإسناده حسن .

(٣) سورة التوبة : الآية « ٦٥ » .

إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ **يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِين** ﴾(١) فَمَنْ عَادَ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ .

٤ ــ الطَّعْنُ فِي الدِّينِ ، فَمَنْ هَاجَمَ الإِسْلَامَ وَطَعَنَ فِي دِينِ اللهِ ، أَوْ دَعَا إِلَى مَبْدَإٍ إِلْحَادِيٍّ أَوْ كُفْرِيٍّ ، فَهُوَ مُرْتَدٌّ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَإِنْ نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُون** ﴾(٢) .

ج ــ رِدَّةُ الأَفْعَالِ ، وَمِنْهَا مَا يَلِي :

١ ــ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ مِمَّا يُوجِبُ كُفْرَ الْمُسْلِمِ إِلْقَاءُ الْمُصْحَفِ أَوْ جُزْءٍ مِنْهُ أَوْ تَلْطِيخُهُ بِالْقَذرِ ، وَمِثْلُهُ كُتُبُ الْحَدِيثِ القُدْسِيِّ وَالنَّبوِيِّ ، وَكَذَا مَنِ اسْتَخَفَّ بِالْقُرْآنِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُون** ﴾(٣) .

٢ ــ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ مَنْ سَجَدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِصَنَمٍ أَوْ شَمْسٍ أَوْ قَمَرٍ ، أَوْ أَتَى بِقَوْلٍ ، أَوْ فِعْلٍ صَرِيحٍ يَدُلُّ عَلَى الاسْتِهْزَاءِ بِالدِّينِ فَقَدْ ارْتَدَّ .

٣ ــ مَنْ هَرَبَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى دَارِ الْحَرْبِ « وَهِيَ بِلَادُ الْكُفَّارِ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ الْمُسْلِمِينَ » مُخْتَاراً ، مُحَارِباً لِلْمُسْلِمِينَ فَقَدْ كَفَرَ ، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِين** ﴾(٤) وَلِنَهْيِهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ وَبَرَاءَتِهِ مِنْهُ .

٤ ــ مَنْ حَارَبَ الشَّرِيعَةَ الإِسْلَامِيَّةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَاسْتَبْدَلَهَا بِالْقَوَانِينِ الْبَشَرِيَّةِ تَعْطِيلاً للأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فَقَدْ كَفَرَ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُون** ﴾(٥) .

---

(١) « الإفك » الكذب . « عصبة : من العشرة إلى الأربعين . سورة النور : الآيات « ١١ ــ ١٧ » .

(٢) سورة التوبة : الآية « ١٢ » .

(٣) سورة التوبة : الآية « ٦٥ » .

(٤) سورة المائدة : الآية « ٥١ » .

(٥) سورة المائدة : الآية « ٤٤ » .

رابعاً : النِفَــاق

وَهُوَ أَنْ يُظْهِرَ لِلْمُسْلِمِينَ إِيمَانَهُ وَهُوَ فِي الْبَاطِنِ كَافِرٌ مُكَذِّبٌ . وَالنِّفَاقُ فِي الْعَقِيدَةِ كُفْرٌ ، غَيْرَ أَنَّ صَاحِبَهُ لَا يُعَامَلُ مُعَامَلَةَ الْكَافِرِينَ لِعَدَمِ إِظْهَارِ كُفْرِهِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ** ﴾(١) ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ** ﴾(٢) .

وَهُنَاكَ نِفَاقٌ عَمَلِيٌّ غَيْرُ النِّفَاقِ فِي العَقِيدَةِ مِثْلُ : خِيَانَةِ الأَمَانَةِ وَالْكَذِبِ ، وَخُلْفِ الْوَعْدِ ، وَلَا يُعْتَبَرُ الْمُنَافِقُ بِالنِّفَاقِ الْعَمَلِيِّ كَافِراً ، وَلَكِنَّهُ يَكُونُ فَاسِقاً عَاصِياً فِيه شُعْبَةٌ مِنْ نِفَاقٍ .

صفات المنافقين

وَمِنْ أَبْرَزِ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ مَا يَلِي :

أ ــ الإِفْسَادُ فِي الأَرْضِ بِتَهْدِيمِ شَرِيعَةِ اللهِ وَاتِّهَامِ الْمُؤْمِنِينَ بِالسَّفَهِ :

قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي وَصْفِ المُنَافِقِينَ : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَا يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَّا يَعْلَمُونَ** ﴾(٣) .

ب ــ خِدَاعُ الْمُؤْمِنِينَ بِإِظْهَارِ الإِيمَانِ إِذَا قَابَلُوهُمْ ، ثُمَّ إِظْهَارُ الْكُفْرِ مَعَ أَوْلِيَائِهِمْ :

---

(١) سورة المنافقون : الآية « ١ » .

(٢) سورة المنافقون الآية « ٣ » .

(٣) « السفهاء » : ضعفاء العقول . سورة البقرة : الآيات « ١١ ــ ١٣ » .

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾(١) .

جـ ــ الإِعْرَاضُ عَنِ التَّحَاكُم إِلَى شَرْعِ اللهِ وَصَدُّ النَّاسِ عَنِ الْحُكْم بِمَا أَنْزَلَ اللهُ :

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيداً * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً ﴾(٢) .

د ــ الأَمْرُ بِالْمَنْكَرِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمَعْرُوفِ :

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَالْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(٣) .

هـ ــ اتِّخَاذُ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ :

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ للهِ جَمِيعاً ﴾(٤) .

---

(١) « خلوا » : انصرفوا إليهم . سورة البقرة : الآية « ١٤ » .

(٢) « الطاغوت » : المراد به هنا الضليل كعب بن الأشرف اليهودى . « يصدون » : يعرضون إعراضاً . سورة النساء : الآية « ٦٠ ، ٦١ » .

(٣) « يقبضون أيديهم » : يبخلون بالإنفاق فى الخير « فنسيهم » : أى حرمهم الله من توفيقه وهدايته . سورة التوبة : الآية « ٦٧ » .

(٤) « أيبتغون » : أيطلبون عندهم المنعة والقوة والنصرة . سورة النساء : الآيتان « ١٣٨ ، ١٣٩ » .

و ـ مُعَادَاةُ الْمُؤْمِنِينَ لإِيمَانِهِمْ ، وَمُوَالاَةُ الْكَافِرِينَ لِكُفْرِهِمْ :

وَمَنْ يُوَالِي الْكَافِرِينَ وَيُحِبُّهُمْ وَيُنَاصِرُهُمْ بِسَبَبِ مَبَادِئِهِمْ الْكُفْرِيَةِ فَقَدْ نَقَضَ إِيمَانَهُ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ** ﴾(١) وَمَنْ يُعَادِي الْمُؤْمِنِينَ فَيُحَارِبُهُمْ وَيُبْغِضُهُمْ ، وَيَنْصُرُ أَعْدَاءَهُمْ عَلَيْهِمْ بِسَبَبِ إِيمَانِهِمْ فَقَدْ نَقَضَ إِيمَانَهُ . قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوٰاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ * إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ** ﴾(٢) .

وَهَؤُلاءِ يَنْدَمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسَبَبِ سُخْرِيَتِهِمْ وَاسْتِهْزَائِهِمْ بِالْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُم ذِكْرِى وَكُنْتُمْ مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّى جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ** ﴾(٣) .

* * *

(١) « يوادون » : يتوددون . « حاد الله » : عاند وعادى الله ورسوله . سورة المجادلة : الآية « ٢٢ » .

(٢) « وما نقموا » وما أنكروا عليهم إلا إيمانهم بالله . « فتنوا » . ابتلوهم بالإيذاء ، وذلك بإحراقهم بالنار . سورة البروج الآيات « ٨ ــ ١٠ » .

(٣) « سخرياً » مهزوءاً بهم . سورة المؤمنون : الآيات « ١١٠ ــ ١١٢ » .

جهالات خطيرة

مُسْلِمُونَ وَلَكِنْ جَهَلَةٌ :

لَقَدْ عَمَّ الْجَهْلُ بِدِينِ اللهِ كَثِيرًا مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ ، حَتَّى وُجِدَ الْمُسْلِمُ الَّذِى يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتِى الزَّكَاةَ ، وَيَصُومُ رَمَضَانَ ، وَيَحُجُّ الْبَيْتَ ، وَيُؤْمِنُ بِكُلِّ مَا فِى الْقُرْآنِ ، يُحِبُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَيُصَدِّقُهُ وَيَغَارُ عَلَى الإِسْلَامِ ، وَمَعَ ذَلِكَ تَرَاهُ يَأْتِى أَعْمَالاً وَيَقُولُ أَقْوَالاً ، وَيَعْتَقِدُ بِمُعْتَقَدَاتٍ تُوقِعُهُ فِى الْكُفْرِ ، أَوِ الشِّرْكِ ، أَوِ النِّفَاقِ ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ حَقِيقَتَهَا بَلْ رُبَّمَا ظَنَّ أَنَّ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ شِرْكٍ وَكُفْرٍ وَنِفَاقٍ هُوَ الصَّوَابُ الَّذِى يُرْضِى اللهَ . فَهُوَ مُسْلِمٌ يَغَارُ عَلَى دِينِهِ وَلَكِنَّهُ وَاقِعٌ فِى الْكُفْرِ أَوِ الشِّرْكِ بِجَهْلِهِ الَّذِى يُعَرِّضُهُ لِعَذَابِ النَّارِ .

الْجَاهِلُ مَعْذُورٌ وَلَكِنْ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ وَيَتَّبِعَ الْحَقَّ إِذَا جَاءَهُ :

إِنَّ مَنْ ثَبَتَ لَهُ الإِسْلَامُ لَا يُنْزَعُ مِنْهُ إِلَّا بِمَا يَنْقُضُ الإِسْلَامَ ، وَالْقَصْدُ وَالنِّيَّةُ شَرْطُ صِحَّةِ الأَعْمَالِ .

وَالْجَاهِلُ الَّذِى وَقَعَ فِى شِرْكٍ أَوْ كُفْرٍ يَنْقُضُ الإِيمَانَ وَلَمْ يَقْصُدْ نَقْضَ إِيمَانِهِ فَهُوَ مَعْذُورٌ ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ وَيُبَادِرَ بِالتَّوْبَةِ ، فَقَدْ سَأَلَ الْحَوَارِيُّونَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ــ جَهْلاً مِنْهُمْ ــ بِقَوْلِهِمْ كَمَا جَاءَ فِى الْقُرْآنِ :

﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(١) .

---

(١) سورة المائدة : الآية « ١١٢ » .

فَهُمْ بِهَذَا يَجْهَلُونَ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ، وَمَنْ كَذَّبَ بِقُدْرَةِ اللهِ فَهُوَ كَافِرٌ ، وَلَكِنَّ الْجَهْلَ كَانَ عُذراً لَهُمْ عِنْدَ اللهِ وَرَسُولِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَ أَصْحَابِهِ إِلَى خَيْبَرَ مَرُّوا بِشَجَرَةٍ ذَاتِ تَعَالِيقَ « ذَاتِ أَنْوَاطٍ » كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا سُيُوفَهُمْ عِنْدَ الْحَرْبِ ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّهَا تُؤَثِّرُ فِى نَصرِهِمْ ، فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ لِرَسُولِ اللهِ : اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « سُبْحَانَ اللهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى : ﴿ **اجْعَل لَنَا إِلَٰهاً كَمَا لَهمْ آلِهَةٌ** ﴾(١) وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ »(٢) .

لَقَدْ وَقَعَ أَصْحَابُ هَذَيْنِ السُّؤَالَيْنِ لِمُوسَى ، وَمُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ جَهْلاً فِيمَا يُوجِبُ الشِّرْكَ ، فَكَانَ جَوَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ : « لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ » .

وَكَانَ جَوَابُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ **إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ** ﴾(٣) وَمَا قَالَ عِيسَى وَلَا مُوسَى ، وَلَا مُحَمَّدٌ ﷺ لِهَؤُلاءِ الَّذِينَ وَقَعُوا جَهْلاً فِى الْكُفْرِ ، وَالشِّرْكِ بَعْدَ أَنْ صَحَّ إِيمَانُهُمْ : إِنَّهُمْ كَافِرُونَ أَوْ مُشْرِكُونَ ، وَاللهُ يَقُول : ﴿ .... **وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَٰكِن مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً** ﴾(٤) .

لَا عُذْرَ لأَحَدٍ بَعْدَ الْعِلْمِ :

وَإِذَا كَانَ الأَمْرُ قَدْ أَصْبَحَ بِهَذِهِ الخُطُورَةِ ، فَيَجِبُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ يُبَيِّنُوا لِلنَّاسِ دِينَ اللهِ ، وَيَجِبُ عَلَى مَنْ وَقَعَ جَهْلاً أَوْ خَطَأً فِى كُفْرٍ أَوْ شِرْكٍ أَنْ يُبَادِرَ بِالتَّوْبَةِ ، قَالَ تَعَالَى عَنِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ دِينَ اللهِ : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا**

(١) سورة الأعراف الآية « ١٣٨ » .

(٢) رواه الترمذى وقال حسن صحيح ورواه أحمد عن أبى راقد .

(٣) سورة الأعراف الآية « ١٣٨ » .

(٤) سورة الأحزاب : الآية « ٥ » .

أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِى الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمْ اللَّاعِنُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ »(١) .

وَقَالَ سُبْحَانَهُ عَنِ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مُخَالَفَةِ دِينِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ، وَيَتَّبِعُونَ طَرِيقاً غَيْرَ طَرِيقِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ أَنْ جَاءَهُمُ الْبَيَانُ : ﴿ **وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً** ﴾(٢) .



---

(١) سورة البقرة : الآية « ١٥٩ » .

(٢) « يشاقق » : يخالف بعد معرفته للحق . « نوله » : نخل بينه وبين ما اختار لنفسه . « نصله » : ندخله جهنم . سورة النساء : الآية « ١١٤ » .

ألوان من الشرك

الإشْرَاكُ مَعَ اللهِ فِي تَصْرِيفِ الْمَخْلُوقَاتِ :

كُلُّ مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ غَيْرَ اللهِ يَتَصَرَّفُ فِي هَذَا الْكَوْنِ ، وَيَضُرُّ وَيَنْفَعُ بِطَرِيقَةٍ غَيْبِيَّة غَيْر طَرِيقَةِ الأَخْذِ بِسُنَنِ اللهِ الَّتِي قَدَّرَ اللهُ بِهَا الْخَلْقَ ، كَأَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ إِنْسَانًا مِنَ الأَحْيَاءِ أَوْ الأَمْوَاتِ يَهَبُ الأَوْلَادَ ، وَيُجِيبُ دُعَاءَ الْمُضْطَرِّ وَيَأْتِي بِالْمَطَرِ ، وَيَحْمِي الْبُيُوتَ أَوْ الأَنْعَامَ ، أَوْ الأَوْلَادَ ، أَوْ الْعُرُوسَ مِنَ الْقُوَى الْخَفِيَّةِ الضَّارَةِ فَقَدْ وَقَعَ فِي الشِّرْكِ ، قَالَ تَعَالَى يَصِفُ نَفْسَهُ : ﴿ **لله مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ** ﴾(١) ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلٰهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ** ﴾(٢) ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾(٣) ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ **قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ** ﴾(٤) وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ** ﴾(٥) . وَالقِطْمِيرُ : هُوَ لَفَافَةُ النَّوَاةِ الرَّقِيقَةِ .

---

(١) سورة الشورى : الآيتان « ٤٩ ، ٥٠ » .

(٢) سورة النمل : الآية « ٦٢ » .

(٣) سورة الأنعام : الآية (١٧) .

(٤) « غوراً » غائر فى الأرض لا ينال . « معين » : حاد على وجه الأرض . سورة الملك : الآية « ٣٠ » .

(٥) « يولج » : يدخل الليل فى النهار والعكس . « سخر » : ذلل . والقطمير : هو لفافة النواة الرقيقة . سورة فاطر : الآية « ١٣ » .

ألوان من الشرك فى العبادات

١ ــ جَعْلُ نَصِيبٍ مِنَ الرِّزْقِ لِغَيْرِ اللهِ :

الَّذِى يُقَدِّمُ السَّمْنَ أَو الْعَسَلَ أَو الْحُبُوبَ لِبَعْضِ الأَشْجَارِ وَالأَحْجَارِ ، وَالقُبُورِ ، وَالَّذِى يُقَدِّمُ اللَّحْمَ وَاللَّبَنَ لِلْجِنّ ، وَالَّذِى يَجْعَلُ أَوَّلَ مَوْلُودٍ مِنْ بَقَرَتِهِ ، أَوْ غَنَمَتِهِ نَذْراً لِغَيْرِ اللهِ والَّذِى يُقَدِّمُ الْبَيْضَةَ « بِكَسْرِهَا » أَمَامَ الْعَرُوسِ إِرْضَاءً لِلْجِنِّ ، وَالَّذِى يُقَدِّمُ شَاةً لِلْجِنِّ فِى كُلِّ عَامٍ أَوْ مَرَّة وَاحِدَة لِحِمَايَةِ بَيْتِهِ أَوْ بِئْرِهِ ، كُلُّ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ يَقَعُ فِى الشِّرْكِ ، لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ **وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ * ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللهِ لَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ** ﴾(١) ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ **وَجَعَلُوا للهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَذَا للهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللهِ وَمَا كَانَ للهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** ﴾(٢) وَدَاخِلٌ فِى هَذَا مَنْ يَرْمِى بِسِنِّهِ لِلشَّمْسِ لِتَمْنَحَهُ سِنًّا أَجْمَلَ .

٢ ــ الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ :

مَنْ ذَبَحَ لِمَكَانٍ مُعَيَّنٍ مِثْلِ شَجَرَةٍ ، أَوْ سُوقٍ ، أَوْ قُبَّةٍ ، أَوْ قَبْرٍ ، فَهَذَا كَذَبْحِ الْجَاهِلِيَّةِ لِلأَنْصَابِ الَّتِى كَانُوا يُقِيمُونَهَا لِلأَصْنَامِ ، وَمَنْ تَقَرَّبَ بِالذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ وَقَعَ فِى الشِّرْكِ لأَنَّ الذَّبْحَ عِبَادَةٌ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ** ﴾(٣) وَقَالَ : ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى للهِ**

---

(١) « تجئرون » : تضجون بالاستغاثة والتضرع . « تفترون » : تكذبون . سورة النحل : الآيات « ٥٣ ــ ٥٦ » .

(٢) سورة الأنعام : الآية « ١٣٦ » .

(٣) سورة الكوثر : الآيتان « ١ ، ٢ » .

رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾(١) .

وَرَوَى الإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِى طَالِب ــ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ــ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ »(٢)وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ حَرَجِ الذَّبْحِ فِى الأَهْجَارِ الَّتِى تُقَدَّمُ للنَّاسِ ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَسُوقَ الهَجرَ وَيُقَدِّمَهُ حَيًّا وَيَذْبَحَهُ مَنْ لَهُ الْهَجرُ وَبِهَذَا لَا يَكُونُ فِى الْهَجرِ ذَبْحٌ لِغَيْرِ اللهِ . وَلَا يَجُوزُ الْهَجرُ لِمَكَانٍ مُعَيَّن بِحَال مِنَ الأَحْوَالِ .

٣ ــ دُعَاءُ غَيْرِ اللهِ :

بَيَّنَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنَّ الدُّعَاءَ عِبَادَةٌ ، فِى قَوْلِهِ تَعَالَى : **﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾**(٣)وَبَيَّنَ الرَّسُولُ ﷺ فِى قَوْلِهِ : **« الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ »**(٤)فمنْ دَعَا غَيْرَ اللهِ سَوَاءَ كَانَ مَلَكاً مُقَرَّباً أَوْ نَبِيّاً مُرْسَلاً ، أَوْ وَلِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ، أَوْ جِنِّيًّا مِنَ الشَّيَاطِينِ ، أَوْ أَىَّ إِنْسَانٍ حَيًّا أَوْ مَيِّتاً فَقَدْ وَقَعَ فِى الشِّرْكِ ، قَالَ تَعَالَى : **﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ * وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾**(٥) ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ : **﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾**(٦) ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ : **﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلاً * أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ**

---

(١) سورة الأنعام : الآية « ١٦٣ » .

(٢) الحديث بتمامه : « لعن الله من ذبح لغير الله . ولعن الله من لعن والديه . ولعن الله من آوى محدثاً . ولعن الله من غير منار الأرض » . أخرجه مسلم فى صحيحه ، وأحمد فى مسنده ، والنسائى فى سننه .

(٣) « داخرين » : صاغرين ذليلين . سورة غافر : الآية « ٦٠ » .

(٤) أخرجه أحمد والترمذى .

(٥) سورة يونس : الآية « ١٠٦ » .

(٦) سورة الأعراف : الآية « ١٩٤ » .

يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً ﴾(١) .

٤ ــ الْحُكْمُ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ :

مَنْ نَبَذَ حُكْمَ اللهِ وَرَفَضَهُ إِلَى حُكْمِ بَشَرٍ أَوْ أَعْرَافٍ وَأَسْلَافٍ تُخَالِفُ الشَّرِيعَةَ أَوْ قَوَانِينَ وَضْعِيَّةٍ فَقَدْ عَبَدَ غَيْرَ اللهِ ، لأَنَّ الْحُكْمَ عِبادَةٌ قَالَ تَعَالَى : **﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا للهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾**(٢) وَيُصْبِحُ الْحُكْمُ حُكْماً بِالطَّاغُوتِ ، قَالَ تَعَالَى : **﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيداً ﴾**(٣)، وَقَالَ تَعَالَى : **﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُم الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾**(٤) .

٥ ــ اسْتِحْلَالُ الْمُنْكَرِ وَالرِّضَا بِانْتِشَارِهِ :

فالرَّاضُونَ ظَاهِرَاً وَبَاطِنَاً بِفُشُوِّ الْمُنْكَرِ وَانْتِشَارِهِ ، مُسْتَحِلِّينَ لَهُ كُفَّارٌ فَاقِدُو الإِيمَانِ ، وَإِنْ هُمْ زَعَمُوا أَنَّهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَكَيْفَ بِمَنْ يُبارِكُ الْمُنْكَرَ وَيُحِبُّهُ ، إِلَى جَانِبِ اسْتِحْلَالِهِ ، كَمَنْ يُنْسَبُ الْيَوْمَ إِلَى الإِسْلَامِ وَهُوَ يَسْتَحِلُّ وَيُحِبُّ وَيَرْضَى وَيُبَارِكُ أَنْ تَتَعَرى النِّسَاءُ فِي الأَسْوَاقِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ الْعَامَّةِ ، وَأَنْ يَتِمَّ اخْتِلَاطُ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ لِيُمَتِّعَ نَفْسَهُ بِالْحَرَامِ ، أَوْ كَمَنْ يَسُبُّ الْمُجْتَمَعَاتِ الإِسْلَامِيَّةَ الْمُحَافِظَةَ بِسَبَبِ إِسْلَامِهَا وَيَسْتَهْزِىءُ بِهَا وَبِأَهْلِهَا

---

(١) سورة الإسراء : الآيتان « ٥٦ و ٥٧ » .

(٢) سورة يوسف : الآية « ٤٠ » .

(٣) سورة النساء : الآية « ٦٠ » .

(٤) سورة البقرة : الآية : « ٢٥٧ » .

وَيَتَّهِمُهُمْ بالرَّجْعِيَّةِ وَالتَّأَخُّرِ ، وَشَتَّى نُعُوتِ النَّقْص ، وَيَخَافُ إِذَا نُودِىَ فِى النَّاسِ بِوُجُوبِ تَحْكِيمِ كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَغَايَةُ خَوْفِهِ أَنْ تَخْتَفِى هَذِهِ الشَّهَوَاتُ الْمُحَرَّمَةُ أَوْ أَنْ تُحَارَبَ الْخُمُورُ .

وَفِى هَؤُلاءِ يَصْدُقُ قَوْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ : « مَا مِنْ نَبِىٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِى أُمَّةٍ قَبْلِى إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ ، وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ ، يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ »(١) .

٦ ـ ادِّعاءُ عِلْمِ الْغَيْبِ :

إِذَا ادَّعَى شَخْصٌ لِنَفْسِهِ أَوْ لِغَيْرِهِ عِلْمَ الْغَيْبِ فَقَدْ وَقَعَ فِى الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَّسُولٍ** ... ﴾(٢)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ **وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ** ... ﴾(٣) ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ مُعَلِّماً رَسُولَهُ أَنْ يَقُولَ : ﴿ **قُلْ لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعاً وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾(٤) .. إِنَّه امْتِحَانٌ بَسِيطٌ يَفْضَحُ بِهِ اللهُ الَّذِينَ يَدَّعُونَ الْغَيْبَ وَهُوَ أَنْ يَعْرِفُوا التِّجَارَةَ الرَّابِحَةَ وَيُتَاجِرُوا بِهَا ، وَعِنْدَئِذٍ يَكُونُونَ أَغْنَى النَّاسِ ، أَوْ يَعْرِفُونَ مَا سَيَقَعُ مِنَ الْمَصَائِبِ فَيَجْتَنِبُونَهَا فَلَا تَقَعُ لَهُمْ مُصِيبَةٌ .

وَيَدْخُلُ فِى هَذَا مَا يَقُومُ بِهِ الْمُنَجِّمُونَ وَالْكُهَّانُ ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « مَنْ أَتَى كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى

---

(١) رواه مسلم وأحمد عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

(٢) سورة الجن : الآية « ٢٧ » .

(٣) سورة الأنعام : الآية « ٥٩ » .

(٤) سورة الأعراف : الآية « ١٨٨ » .

مُحَمَّدٍ »(١) ، وَبَعْضُ الْحَقَائِقِ الَّتِى يَأْتِى بِهَا الْمُنَجِّمُونَ وَالْكُهَّانُ وَهِىَ نَادِرَةٌ إِنَّمَا هِىَ مِنْ خَبَرِ شَيَاطِينِ الْجِنِّ ، الَّذِينَ يَخْلِطُونَ بِالْحَقِيقَةِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ كِذْبَةً . وَالْمُتَّصِلُونَ بِالشَّيَاطِين هُمْ أَخْبَثُ النَّاسِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ** ﴾(٢) .

٧ ــ السِّحْرُ وَالْخِدَاع :

وَمَنْ مَارَسَ السِّحْرَ ، وَدَعَا بِأَسْمَاءِ الشَّيَاطِينِ ، وَعَقَّدَ الْعُقَدَ ، وَوَضَعَ التَّمَائِمَ وَالْحُرُوزَ الَّتِى تَذْكُرُ أَسْمَاءَ الْجِنِّ ، وَفَعَلَ مَحَبَّاتٍ وَمَكَارِهَ لِلأَزْوَاجِ وَالزَّوْجَاتِ فَقَدْ وَقَعَ فِى الْكُفْرِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَالَهُ فِى الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾(٣) .

وَمِنَ السِّحْرِ : مَا يَقُومُ بِهِ الْمَجَاذِيبُ ، الَّذِينَ يَضْرِبُونَ رُءُوسَهُمْ ، وَيَطْعَنُونَ أَجْسَامَهُمْ بِالسُّيُوفِ وَالْخَنَاجِرِ ، وَمَا يَقُومُ بِهِ الْمُقَذِّى الَّذِى يُخَيِّلُ لِلنَّاسِ أَنَّهُ يُخْرِجُ الْحَصَا وَالأَسْحَار مِنْ بُطُونِ النَّاسِ ، قَالَ عَلَيْهِ وَآلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَكَهَّنَ ، أَوْتُكُهِّنَ لَهُ أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ أَوْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ »(٤) .

---

(١) الحديث أخرجه أحمد والترمذى وأبو داود والنسائى وابن ماجه وهو صحيح .

(٢) « أفاك » : كذاب عاص . سورة الشعراء : الآيات « ٢٢١ ــ ٢٢٣ » .

(٣) « فتنة » : ابتلاء واختبار . « من خلاق » : من نصيب فى الثواب والجنة بل هم أهل النار . سورة البقرة : الآية « ١٠٢ » .

(٤) التطير : هو التشاؤم بأصوات أو طيران بعض الطيور . رواه البزار بسند جيد .

٨ ــ الْودعُ ، وَالْقَلَائِدُ ، وَأَكْلُ تُرَابِ الْقُبُور وَالتَّمَسُّحُ بِهَا :

وَمِنَ الْجَهَالَاتِ اعْتِقَادُ بَعْضِ الْجَهَلَةِ أَنَّ لِلْوَدَعِ خَصَائِصَ النَّفْعِ فِى دَفْعِ الْجِنِّ فَيُعَلِّقُونَهَا عَلَى حَيَوَانَاتِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ ، وَهُنَاكَ مَنْ يُعَلِّقُ حِبَالاً وَخُيُوطاً بَدَلاً عَنْهَا أَوْ يُعَلِّقُ حُرُوزاً فِيهَا أَسْمَاءُ الْجِنِّ وَرُسُومٌ مَجْهُولَةٌ ، أَوْ يَأْكُلُ تُرَابَ الْقُبُورِ ، وَيَتَمَسَّحُ بِالتُّرَابِ ، كُلُّ ذَلِكَ مِنَ الضَّلَالِ وَالْجَهْلِ الَّذِى يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَتَجَنَّبَهُ لِإنَّهُ لَا يَمْلِكُ الضُّرَّ وَالنَّفْعَ إِلَّا اللهُ سُبْحَانَهُ .

وَقَدْ قَدَّرَ اللهُ لَنَا أَقْدَاراً ضَارَّةً نَعْرِفُهَا بِعُقُولِنَا ، عَلَيْنَا أَنْ نَدْفَعَهَا بِالأَقْدَارِ النَّافِعَةِ فَنَدْفَعُ قَدَرَ الْجُوعِ بِقَدَرِ الطَّعَامِ ، وَقَدَرَ الْمَرَضِ بِقَدَرِ الدَّوَاءِ ، وَمَا عَجَزْنَا عَنْهُ اسْتَعَنَّا واسْتَغَثْنَا بِمَنْ بِيَدِهِ مَقَالِيدُ كُلِّ شَىْءٍ .



التقدم الذى تخلفنا عنه

إِنَّ الْمُتَأَمِّلَ فِى أَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ ، يَجِدُ أَنَّهُمْ قَدْ أَصْبَحُوا عَالَةً عَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الشُّعُوبِ فِى تَصْرِيفِ أُمُورِ الدُّنْيَا : مِنْ صِنَاعَةٍ ، وَزِرَاعَةٍ ، وَتِجَارَةٍ ، وَخِبْرَاتٍ فَنِّيَّةٍ . فَمَا هُوَ السَّبَبُ فِى هَذَا التَّخَلُّفِ الْمَادِىِّ بَلْ وَالتَّخَلُّفِ الدِّينِىِّ ؟ .

بَعْدَ أَنْ ضَعُفَ الإِيمَانُ فِى النُّفُوسِ ، وَضَعُفَتِ الصِّلَةُ بِاللهِ ، وَضَعُفَتِ الأَخْلَاقُ وَالسُّلُوكُ بَدَأَ الْفَسَادُ يَدُبُّ شَيْئًا فَشَيْئًا ، حَتَّى خَلَفَ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَتَظَالَمَ النَّاسُ ، وَكَثُرَتِ الذُّنُوبُ ، وَنَشَأَ الصِّرَاعُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَتَفَشَّى الْجَهْلُ بِأُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا مَعًا ، وَكَثُرَتِ الْبِدَعُ وَالْخُرَافَاتُ ، وَفَقَدَ الْمُسْلِمُونَ وَحْدَتَهُمْ وَأُخُوَّتَهُمْ ، وَذَهَبَتْ بِذَلِكَ قُوَّتُهُمْ ، وَأَصْبَحُوا يَنْحَدِرُونَ مِنْ سَيِّءٍ إِلَى أَسْوَأ .

الاسْتِعْمَارُ عَمَّقَ جُذُورَ التَّخَلُّفِ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ :

وَإِذَا كَانَ اللهُ يَقُولُ : ﴿ **وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً** ﴾(١) فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ أَنْ فَقَدُوا الإِيمَانَ الصَّحِيحَ ، وَحَلَّتْ مَحَلَّهُ الخُرَافَاتُ وَالْبِدَعُ ــ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ ــ أَصْبَحُوا مُهَيَّئِينَ لِقَبُولِ حُكْمِ الْكَافِرِينَ ، الَّذِينَ بَذَلُوا كُلَّ جُهُودِهِمْ لِمُحَارَبَةِ كُلِّ مَا يَنْهَضُ بِالْمُسْلِمِينَ فِى أَمْرِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ ، وَنَتِيجَةً لِضَعْفِ الإِيمَانِ وُجِدَ مِنَّا مَنْ اسْتَجَابَ لِمُؤَامَرَاتِ الْكَافِرِينَ وَأَعَانَهُمْ عَلَى إِنْجَاحِ مُؤَامَرَاتِهِمْ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ .

---

(١) سورة النساء : الآية « ١٤١ » .

أَسْبَابُ التَّقَدُّمِ فِى الدِّينِ وَالدُّنْيَا :

إِنَّ الأَسْبَابَ الَّتِى تَنْهَضُ بِالْمُسْلِمِينَ فِى أَمْرِ دِينِهِمْ تَتَمَثَّلُ فِى تَعْمِيقِ الإِيمَانِ فِى نُفُوسِهِمْ ، وَتَقْوِيَةِ صِلَتِهِمْ بِخَالِقِهِمْ ، وَإِخْلَاصِ عِبَادَتِهِمْ لَهُ سُبْحَانَهُ ، وَاتِّبَاعِ شَرِيعَتِهِ وَالتَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِ الإِسْلَامِ ، وَتَرْبِيَةِ الأَجْيَالِ عَلَى هَذَا كُلِّهِ ، فَإِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ اجْتَمَعَتْ كَلِمَتُهُمْ وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُمْ ، وَنَصَرَهُمُ اللهُ عَلَى عَدُوِّهِمْ .

وَتَتَمَثَّلُ الأَسْبَابُ الَّتِى تُحَقِّقُ النَّهْضَةَ فِى أَمْرِ الدُّنْيَا فِى أَنْ يُحْسِنَ الْمُسْلِمُونَ الانْتِفَاعَ بِمَا أَوْدَعَ اللهُ فِى أَرْضِهِمْ مِنْ خَيْرَاتٍ .

وَهُمْ يَحْتَاجُونَ لِتَحْقِيقِ هَذَا إِلَى أَسْبَابٍ مِنْ أَهَمِّها :

١ ـــ تَوْفِيرُ الخِبْرَاتِ الْفَنِّيَّةِ وَالأَيْدِى الْعَامِلَةِ الْمُدَرَّبَةِ .

٢ ـــ تَوْفِيرُ الأَمْوَالِ وَالْمَوَادِّ الْخَامِ .

٣ ـــ تَوْفِيرُ الْمَصَانِعِ وَالأَسْوَاقِ الْمُسْتَهْلِكَةِ لِمَا تُنْتِجُهُ الْمَصَانِعُ .

٤ ـــ وُجُودُ النِّظَامِ الْعَادِلِ الَّذِى يُشَجِّعُ الْعَمَلَ ، وَيَمْنَعُ الظُّلْمَ وَالطُّغْيَانَ .

وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الأَسْبَابَ مِنْ أَنْوَاعِ الْبِرِّ الَّذِى يَحُثُّنَا دِينُنَا عَلَى الأَخْذِ بِهَا وَتَحْقِيقِ التَّعَاوُنِ لِلْقِيَامِ بِهَا خَاصَّةً وَالْحَاجَةُ إِلَيْهَا مَاسَّةٌ ، لأَنَّ الْمُسْلِمِينَ إِنْ أَهْمَلُوهَا ـــ كَمَا هُوَ الْوَاقِعُ ـــ احْتَاجُوا وَذَلُّوا لِلْكَافِرِينَ ، وَاللهُ يَقُولُ : ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾[1] إِنَّ اللهَ قَدْ أَمَرَنَا أَنْ نَتَعَاوَنَ عَلَى الْبِرِّ الَّذِى يَتَّسِعُ لِهَذَا كُلِّهِ وَيَتَّسِعُ لِغَيْرِهِ ، وَنَهَانَا عَنِ الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ، بِكُلِّ صُوَرِهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ واتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾[2] .

بِإِمْكَانِنَا مثلاً أَنْ نُقِيمَ كُلِّيَّةً لِلشَّرِيعَةِ ، أَوِ الْهَنْدَسَةِ ، أَوِ الصَّيْدَلَةِ ،

---

(١) سورة الحج : الآية « ٧٨ » .

(٢) سورة المائدة : الآية « ٢ » .

أَوِ الْعُلُومِ ، أَوِ الزِّرَاعَةِ أَوِ الطبِّ فِى كُلِّ شَهْرٍ ، لَوْ دَفَعَ كُلُّ يَمَنِىٍّ نِصْفَ رِيَالٍ ، وَمِنْ هَذِهِ الْكُلِّيَّاتِ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْصُلَ عَلَى الْخِبْرَاتِ الْفَنِّيَّةِ اللَّازِمَةِ لإِيجَادِ الصِّنَاعَةِ ، وَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَكْتَشِفَ خَيْرَاتِ الْبِلَادِ ، وَأَنْ نُحْسِنَ الانْتِفَاعَ بِهَا ، وَبِإِمْكَانِنَا أَنْ نَجِدَ الْمُدَرَّبِينَ لِلأَيْدِى الْعَامِلَةِ .

لَوْ دَفَعَ كُلُّ يَمَنِىٍّ رِيَالاً فِى كُلِّ شَهْرٍ ، عِنْدَئِذٍ نَسْتَطِيعُ أَنْ نُقِيمَ شَرِكَةً أَوْ مَصْنَعاً نَافِعاً فَكَيْفَ لَوْ دَفَعَ كُلٌّ مِنَّا مَا يَسْتَطِيعُ ؟! عِنْدَئِذٍ نَخْتَصِرُ طَرِيقَ النَّهْضَةِ الْمَادِيَّةِ فِى سَنَوَاتٍ مَعْدُودَةٍ .

لَقَدْ جَعَلَ اللهُ بِلادَ الْمُسْلِمِينَ غَنِيَّةً بِالثَّرَوَاتِ ، وَلَكِنَّنَا لِضَعْفِنَا عَجَزْنَا عَنْ الانْتِفَاعِ بِهَذِهِ الْخَيْرَاتِ ، إِلَّا تَحْتَ إِشْرَاف غَيْرِنَا مِنَ الْكَافِرِينَ .

مُحَارَبَةُ الْمُسْتَعْمِرِينَ لأَسْبَابِ تَقَدُّمِ الْمُسْلِمِينَ :

لَقَدْ خَضَعَتْ مُعْظَمُ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ عَشَرَاتِ السِّنِينَ لِحُكْمِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ لَمْ يَتْرُكُوا فُرْصَةً لِحَرْبِ الإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ إِلَّا وَانْتَهَزُوهَا ، فَحَارَبُوا الدِّينَ فِى كَثِيرٍ مِنَ الْمَيَادِينِ ، وَمِنْ أَهَمِّهَا :

١ ــ إِلْغَاءُ الشَّرِيعَةِ مِنْ أَنْ تَحْكُمَ بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ .

٢ ــ مُحَارَبَةُ التَّعْلِيمِ الدِّينِىِّ فِى الْمَدَارِسِ وَالْمَعَاهِدِ وَالْجَامِعَاتِ .

٣ ــ مُحَارَبَةُ عُلَمَاءِ الإِسْلَامِ الْعَامِلِينَ .

٤ ــ إِنْشَاءُ الأَحْزَابِ الإِلْحَادِيَّةِ الْمُحَارِبَةِ للدِّيْنِ .

٥ ــ تَشْجِيعُ الْبِدَعِ والْخُرَافَاتُ ، والْمُتَاجَرَةِ بِاسْمِ الدِّينِ .

٦ ــ إِفْسَادُ الْمَرْأَةِ وَأَحْوَالِ الأُسْرَةِ ، وَنَشْرُ الْخَلَاعَةِ وَالْفَسَادِ الْخُلُقِى .

٧ ــ بَعْثُ أَسْبَابِ الْخِلَافِ وَالْفُرْقَةِ وَالْعَدَاوَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ .

وَلَقَدْ حَذَّرَنَا اللهُ مِنْ طَاعَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ**

آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾[1] .

وَأَمَّا مُحَارَبَةُ الْمُسْتَعْمِرِينَ لِقُوَّةِ الْمُسْلِمِينِ الْمَادِيَّةِ فَقَدْ كَانَ مِنْ أَبْرَزِهَا :

١ ــ إِيجَادُ الْحُدُودِ الْمُفَرِّقَةِ الْفَاصِلَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ .

٢ ــ الاسْتِيلَاءُ عَلَى ثَرَوَاتِ الْمُسْلِمِينَ .

٣ ــ إِيجَادُ جِيلٍ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ رَبَّاهُمْ عَلَى يَدِ عُمَلَائِهِ مِنَ الْمُنَصِّرِينَ « الْمُبَشِّرِينَ » وَالْمُسْتَشْرِقِينَ ، وَأَوْهَمُوهُمْ أَنَّ تَقَدُّمَ الْمُسْلِمِينَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِمُحَارَبَةِ الدِّينِ وَإِفْسَادِ الْمَرْأَةِ بِاسْمِ « تَحْرِيرِ الْمَرْأَةِ » مِنْ قُيُودِ الأَخْلَاقِ وَالْفَضِيلَةِ وَالْعِفَّةِ ، وَبِإِبَاحَةِ الْخُمُورِ وَالزِّنَا وَبِمُحَارَبَةِ الشَّرِيعَةِ وَاسْتِبْدَالِهَا بِالْقَوَانِينِ الْوَضْعِيَّةِ .

وَبَدَلاً مِنْ أَنْ يَتَوَجَّهَ هَؤُلَاءِ إِلَى إِقَامَةِ الْمَصَانِعِ وَالشَّرِكَاتِ ، وَالْكُلِّيَّاتِ وَالْجَامِعَاتِ وَالْمُخْتَبَرَاتِ تَوَجَّهُوا إِلَى مُحَارَبَةِ الشُّعُوبِ الإِسْلَامِيَّةِ ، فِي عَقَائِدِهَا وَأَخْلَاقِهَا وَشَرِيعَتِهَا وَمَبَادِئِهَا ، وَأَصْبَحَ الْمُصَلِّي فِي نَظَرِ هَؤُلَاءِ رَجْعِيًّا مُتَخَلِّفاً ، وَتَارِكُ الصَّلَاةِ تَقَدُّمِيًّا ، وَالْمَرْأَةُ الْعَفِيفَةُ الشَّرِيفَةُ رَجْعِيَّةً مُتَأَخِّرَةً ، وَالْفَاسِقَةُ الْفَاجِرَةُ تَقَدُّمِيَّةً ، وَالَّذِى يَصُونُ عَقْلَهُ وَبَدَنَهُ مِنَ الْخَمْرِ رَجْعِيًّا مُتَزَمِّتاً ، وَالْعِرْبِيدُ تَقَدُّمِيًّا مُتَحَرِّراً .

أَيْنَ الْمَصَانِعُ ؟ .... أَيْنَ الشَّرِكَاتُ ؟ .... أَيْنَ الْمُخْتَبَرَاتُ ؟

لَقَدْ صَرَفَنَا الْمُسْتَعْمِرُونَ وَتَلَامِيذُهُمْ عَنِ الأَخْذِ بِأَسْبَابِ التَّقَدُّمِ الْمَادِيِّ الصَّحِيحِ .

٤ ــ جَعَلَ أَعْدَاءُ الإِسْلَامِ الْمُسْلِمِينَ مُعْتَمِدِينَ عَلَيْهِمْ وَعَلَى مَصَانِعِهِمْ وَإِنْتَاجِهِمْ .

---

(١) سورة آل عمران : الآية « ١٠٠ » .

وَعَلَيْنَا أَنْ نَفْهَمَ أَنَّ التَّقَدُّمَ الذِى وَقَعَ فِى بِلَادِ الْكَافِرِينَ لَمْ يَكُنْ بِفَضْلِ الْكُفْرِ ، لأَنَّ الْكُفْرَ قَدِيمٌ مِنْ قَبْلِ ظُهُورِ الإِسْلَامِ ، وَلَمْ يُنْتِجْ الْكُفْرُ لِأَهْلِهِ فِى الْقَدِيمِ طَائِرَاتٍ أَوْ صَوَارِيخَ أَوْ كَهْرَبَاءَ أَوْ غَيْرَهَا ، لَكِنَّ تَقَدُّمَهُمْ الْمَادِىَّ تَحَقَّقَ لَهُمْ لِأَنَّهُمْ أَخَذُوا بِالأَسْبَابِ الَّتِى جَعَلَتْهُمْ يَتَمَكَّنُونَ مِنَ النِّعَمِ الَّتِى بَسَطَهَا اللهُ لِعِبَادِهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ **كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً** ﴾(١) فَأَخَذُوا عَطَاءَ اللهِ لِأَنَّهُمْ عَمِلُوا ، وَحُرِمْنَا لِأَنَّنَا تَكَاسَلْنَا .

طريق النجاح

وَيَوْمَ أَنْ يَتَمَسَّكَ الْمُسْلِمُونَ بِدِينِهِمْ عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ ، عِنْدَئِذٍ يَعُودُ لَهُمْ مَجْدُهُمْ وَيَنْصُرُهُم اللهُ على عَدُوِّهِمْ ، فَيَسْهُلُ هم عِنْدَئِذٍ أَنْ يَأْخُذُوا بِكُلِّ أَسْبَابِ النَّجَاحِ فَى أُمُورِ الدِّينِ والدُّنْيَا .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ .

وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .



(١) سورة الإسراء : الآية « ٢٠ » .

الفهرس

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة



جدة : ميدان الجامعة - ص.ب ٤٠٨٤٥ جدة ٢١٥١١
تليفون الإدارة : ٦٨٩١٤١٧
تليفون المكتبة : ٦٨٩٤٤٦١
فرع الخبر: شارع الأمير نايف تقاطع ١٦ - ص.ب ٢٢١ الخبر ٣١٩٥٢ ت ٨٩٤١١٢٦

مطابع الوفاء - المنصورة
شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت : ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠
تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN

دار المجتمع للنشر والتوزيع

جدة : ميدان الجامعة ـ ص . ب . ٤٠٨٤٥ جدة ٢١٥١١ ت : الإدارة ٦٨٩١٤١٧
المكتبة ٦٨٩٤٤٦١
الخبر : ش الأمير نايف ص . ب ٢٣٢١ الخبر ٣١٩٥٢ ت ٨٩٤١١٣٦
فرع المدينة المنورة ـ شارع الستين